

إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن

للسائلين عن :

أخلاق وطبائع بني إسرائيل
في قصة يوسف عليه السلام
في القرآن الكريم والعهد القديم

الناشر: المكتبة العصرية

قد كانت حياة يوسف سلسلة متصلة من الحلقات المتتابعة، في كل منها مشهد لوقائع كان أخوة يوسف وهم الأصول والجذور لبني إسرائيل ينسجون له من أحابيلهم ومكرهم، وظلوا في إجرامهم وغيهم والكيد له بل والغدر به. ولكن في كل حلقة منها كانت تصطمم بالعناية الألهية التي أحاطت بيوسف حاكوا له المؤمرات، وكذبوا وزيفوا الحقائق، وأختلقوا الوقائع الكاذبة، ولم يعبأوا بصلات القربى ولم يراعوا إنسانية وداسوا كل القيم في سبيل تحقيق مآربهم الرخيصة بكل الخبث وكل قسوة فكان منهم الإجرام والإفساد في الأرض والغدر والجنوح الى القتل .. وكل هذه الرذائل ورثوها بني اسرائيل جيلا بعد جيل. لذلك لعنوا من الله على السنة الأنبياء والمرسلين.

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه .. المائدة ١٣

علم له في الملة اعتبار
ما جاءنا من قصص القرآن

وبعد فالتاريخ والأخبار
وقد كفى فيه من البرهان

وفي هذه السورة من القرآن (سورة يوسف) كما تفضح أخلاق اليهود ففيها أيضا إنتهج أصحاب الفطر السليمة منهج الأخلاق القويمة التي تحلى بها يوسف وتحلى عنها أخوته .. حقا (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين).



MODERN BOOKSHOP

إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن

للسائلين عن :

أخلاق وطباع بني إسرائيل

في

قصة يوسف عليه السلام

{ في القرآن الكريم والعهد القديم }

❖ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِئِنَ ﴿٧﴾

دراسة : " نصية تحليلية - مقارنة نقدية "

الناشر: المكتبة العصرية للنشر و التوزيع.
جمهورية مصر العربية- المنصورة- برج المعمورة- شـ حسني مبارك
(المنشأة) بجوار فندق مارشال الجزيرة.

هاتف: +20 50 2221875 - +20 50 2342006
فاكس: +20 50 2355055 رقم بريدي: 35111
بريد الكتروني: m_bindary@yahoo.com

اسم الكتاب: للبهائين عن أخلاق وطبائع بني إسرائيل في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم
والعهد القديم.

المؤلف: إبراهيم الدسوقي عبدالرحمن

الطبعة الأولى : ٢٠١٣

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٢/٨٣٢٩

I.S.B.N 978-977-410-275-2:

حقوق الطبع والنشر: جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للمؤلف و لا يجوز
اقتباس جزء من هذا الكتاب، أو تصويره، أو إعادة طبعه،
أو اختزاله بأية وسيلة إلا بإذن مكتوب و مسجل رسميا من
المؤلف.

لقد وجدت في هذه السورة كل ما تحتاجه مناهج التربية السليمة
لشبابنا الذين يتخبطون في دروب الحياة ، فهم في أشد الحاجة إلى
الهادي المرشد الراشد حتى يسيروا بثقة وثبات في طرق الحياة المليئة
بالألغام والمفاجآت لذا كان للدرس والعبرة في هذه القصة قصة يوسف
عليه السلام.

نقمتها لشبابنا وكل أجيال أمتنا نمونجا ومثلا لما يجب أن يكون
عليه شبابنا من تربية أخلاقية سامية ، وكذلك وبنفس الأهمية أن يكون
على علم يقيني بطبائع وأخلاق اليهود وما يخططون لنا ، وما يدبرونه
لنا في الحال والمآل، فالجهل بطبائع وأخلاق العدو جريمة ، فعلى الحدود
سفاحون متربصون.

وأنا لا أقدم هذا البحث ولا أسعى به ليعلم للذين يعلمون إذ يكفي
أنهم يعلمون ولكني أقدمه وأسعى به ليعلم للذين لا يعلمون أو أحاول ما
استطعت أن يفهم للذين يجهلون.

لذلك تجولت في عقول العلماء وتعمقت في بطون الكتب لأقطف
من ثمارها ما يفيد العقول ، ومن عصاريتها ما ينشئ القلب ، فجمعت
من كل عقل فكرة ، وقطفت من أفنان كل كتاب زهرة ، ومن نتيجة ذلك
ما أودعته بين دفتي هذا البحث الذي أرجو أن يحقق الهدف المرجو.
والله أسأل التوفيق والسداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِذَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَأَقْصِيَنَّ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

لقد كان في قصة يوسف واخوته آيات وأمارات علي حقائق كثيرة لمن ينقب عن الآيات ويسأل ويهتم. وهذا الافتتاح كفيلا بتحريك الانتباه والاهتمام^(١).

سوره يوسف فيها كل ما يريد أن يعرفه اي متدبر لها عن اخلاق الاسوياء و اخلاق بني اسرائيل سواء من وجهة النظر الإسلامية اعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم , أو من وجهة نظر أهل الكتاب اعتمادا على ما ورد في كتبهم المقدسة أو ما كتب حولها , إذ فيها نقاط إتفاق , ولكن نقاط الإختلاف أكبر وأعمق , وذلك ما إستحق منا الوقوف أمام النصوص , دراسة وتحليل ما وراء النصوص من معان وتصورات , وعبر ودروس , ثم وضعها في ميزان المقارنة والنقد .

وإنّما للفائدة كان لا بد من تقديم بعض المعلومات عن القرآن الكريم وكذلك عن التوراة والعهد القديم وعرض النصوص الخاصة بموضوع البحث - قصة يوسف - فيهما حتى يكون القارئ أيا كانت ديانتة أو ثقافته على علم ومعرفة تمكنه من متابعة البحث .. و الله ولي التوفيق

(الباحث)



(١) (في ظلال القرآن) مجلد ٤ ص ١٩٧٣

- إلى كل الكيانات البشرية في عالم اليوم .
 - أفراد و جماعات , العامة منهم و الخاصة .
 - إلى كل أفراد الأمة الإسلامية فرداً فرداً .
 - إلى كل اصحاب الفكر و صناع الرأي العام .
 - إلى واضعي مناهج التربية و دعاة الإصلاح ليقروا بفهم و عمق هذه الآيات من الكتاب المبين .
 - ثم ليتدبروها و يعوها عندئذ فقط يعرفون كل :
 - ما يجب التخلصي عنه .
 - او التحلي به من الاخلاق .
- و من ذلك :

- ١- كل ما يجب التحلي به من كمالات الاخلاق و التمسك بالقيم كما فعل يوسف .
 - ٢- كل ما يجب التحلي به من التوكل على الله و الصبر على الشدائد كما فعل يعقوب .
 - ٣- كل ما يجب التخلصي عنه من فاسد السلوك والتحلل كأفعال اخوة يوسف .
 - ٤- الوقوف على ما خفي علي معظم الناس من اخلاق و طباع بني اسرائيل وبصفة خاصة مستوطني الكيان الصهيوني .
- فإلي البشر عامة والعرب خاصة أهدي هذا البحث لتشيط الذاكرة للعرب حتي لا يتحقق فيهم قول (بيريذ) و قبله (موشي ديان) :
- " إن العرب لا يقرأون و إذا قرأوا فأفهم لا يفهمون و إذا فهموا فأنهم سرعان ما ينسون "
- لذلك قصدت من هذا البحث أن يكون نذيراً و تذكيراً .

التمهيد:

أولاً :- معلومات التعريف بالقرآن :

هو كلام الله ، الذي أنزله علي قلب سيدنا محمد - صلي الله عليه و سلم - بواسطة الوحي (روح القدس) ، و نزل خلال فترة الرسالة ثلاث و عشرون عاماً منجماً ، في شكل آيات ، حسب مناسبات الروول ، و ذلك لحكمة تقتضيها متابعة أحداث الدعوة ، و مواجهة مقتضياتها المختلفة ، و أهمها التدبر ، و التطبيق و التعليم لأنه نزل في قوم أميين فيصعب كتابته إذا نزل دفعه واحده .

و القرآن مبدوءاً بفاتحة الكتاب محتوماً بسورة الناس و نقل عبر الأجيال بالتواتر المطلق فنقلته جماعة المؤمنين عن الرسول - صلي الله عليه و سلم - بطريق المشاهدة ، و بالكتابة من جيل إلي جيل بالتواتر الذي لا يحتمل معه أي تغيير أو إختلاف .

و كانت مدة التبريل ثلاث و عشرون عاماً ، ثلاث عشر عام في مكة و عشرة في المدينة.

و انتقال نصوص القرآن بالتواتر - بنفس الفاظه - الذي نزل به هو أهم ما يميزه عن غيره من الكتب السابقة ، فهو ثابت الأصل متصل السند .

و قد شكل التبريل - آيات و سور- منها المكّي و منها المدني و أرن ما نزل من آياته ، الآيات الأول من سورة العلق " اقرأ باسم ربك الذي خلق " ، و آخر ما نزل من آياته ليس علي سبيل المقطع فمن قائل إنها سورة انصر .

ر من قائل إنها آيات الربا في سورة البقرة من أول الآية ٢٧٥ وما بعدها.

ر من قائل إنها قوله تعالى (و اتقوا يوماً ترجعون فيه إلي الله) البقرة ٢٨١ .

و مجموع سور القرآن مائة و أربع عشرة سورة ، تفتح كل منها بالبسملة ، ماعدا سورة براءة .

و ما نزل فيها في مكة خمس و ثمانون سورة .

و ما نزل فيها في المدينة تسع و عشرون سورة .

مجموع آياته ستة آلاف و مئتان و ست عشرة آية .

و مجموع كلمات القرآن سبع و سبعين ألفاً و تسعمائة و أربعة و ثلاثين كلمة.

و يتميز القرآن بسهولة حفظ نصوصه , و إنتقاله بين الأجيال بالواتر

لذلك حفظه المسلمون في الصدور كما حفظوه في السطور . بمجرد نزول آياته (و تستمر هذه الحالة مادام الوحي حتى إذا تم أخير الرسول - صلي الله عليه وسلم - أصحابه بنفس ألفاظ الملك فيحفظونها علي الفور عن ظهر قلب حرفياً , وكانوا يعتون بذلك الاعتناء الذي لا مزيد عليه لأن الحفظ الحرفي للسور و آيات القرآن كان عندهم من أعظم العبادات و أقرب القرب وكان أصحاب الرسول - صلي الله عليه وسلم - تفرغ وسعها و تبذل جهدهما المستطاع لتقش في حافظتها ألفاظ الوحي مضبوطة محكمة بمجرد نزوله , حتى كانوا من مزيد عنايتهم به بعد حفظ الآية من الرسول - صلي الله عليه وسلم - يترددون عليه غير مرة و يتلوها أمامه حتى يزداد تشبهم في حفظها و أدائها كما هي)^(١)

أما عن كتابته فتمت في مراحل مترتبة علي بعضها حيث جمع بواسطة أكابر الحفاظ بإجراءات تدقيق غاية في الدقة و التحري , و أن المصحف الذي أرسله عثمان هو نسخة من جمع أبي بكر الذي أخذ عن صلور الرجال و عن العصب واللخاف التي كتبت علي عهد رسول الله , وأن زيداً لم يتفرد بالعمل بل شركه فيه جمع كبير من الصحابه , و أجمع عليه المسلمون جميعاً وافق اقتناعاً أولاً و حفاظاً علي وحدة الأمة ثانياً .^(٢)

وبذلك ليس هناك مجالاً لأدني شك في نهاية الضبط التام الكرم .^(٣)

وكذلك حافظ المسلمون منذ ذلك العهد للآن علي رسم المصحف , فلا يجوز لأحد أن يغير رسمه , و أصبح شرطاً لصحة طباعته و قراءته .

وإن كانت الأمم السابقة استحفظوا علي كتبهم فضيوعها و بدلوا فيها و غيروا فإن القرآن لم يستحفظ عليه أحد بل الله هو الذي حفظه و تعهد بحفظه فقال تعالى (إنا نزلنا الذكر و إنا له لحافظون) .

لذلك لم ينله أي تغيير أو تبديل بل ظل يتلى كما تلاه الذي أنزل عليه الذكر .

والقرآن معجز في ألفاظه , معجز في معانيه , معجز في نظمه , و اسلوبه ومن إعجاز القرآن كان قصص القرآن .

(١) وردت في كتاب الإسلام و الأديان دراسة مقارنة للدكتور مصطفى حلمي ص ٢١١ - دار الدعوة نقلا عن كتاب أصول الفقه الإسلامي للأستاذ سيصاف الأورثونكسي عضو الجمعية بأوروبا .

(٢) د / عبد الصبور شاهين - تاريخ القرآن - ص ١٨٩ مطبوعات المعهد العلمي للدراسات الإسلامية .

(٣) د / مصطفى حلمي - مرجع سابق ص ٢١٢ .

جاء القصص في القرآن بهذه الوفرة ، و بهذا التنوع ، و بهذا الإيحاء ، و قصص بني إسرائيل في المقدمة ، هو أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم ، لعنادهم و قسوة قلوبهم ، و نضيف إليها : لأن أجيالاً من هذه الأمة المسلمة ستمر بأدوار كالتى مر فيها بنو إسرائيل ، و تقف من دينها و عقيدتها مواقف شبيهة بموقف بني إسرائيل ، فعرض القرآن الكريم عليها مزالق الطريق ، مصورة في تاريخ بني إسرائيل ، لتكون لها عظة و عبرة ، و لتري صورتها في هذه المرأة المرفوعة لها بيد الحق قبل الوقوع في تلك المزالق أو اللجاج فيها علي مدار الطريق.

إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ و أن يتدبر علي أنه توجهات حية ، كأنها تتحول اليوم ، لتعالج مسائل اليوم ، و لتتري الطريق إلي المستقبل . لا علي إنه مجرد كلام جميل يرتل ، أو علي إنه سجل لحقيقة مضت و لن تعود !

و لن نتفع بهذا القرآن حتى نقرأه لنلتبس عنده توجهات حياتنا الواقعة في يومنا و في غدنا ، كما كانت الجماعة المسلمة الأولى تتلقاه ، لنلتبس عنده التوجيه الحاضر في شئون حياتنا الواقعة.^(١)

هذا عن قصص القرآن عامة ، أما عن سورة يوسف خاصة و هي موضوع هذا البحث فإن سورة يوسف قد احتوت علي (رواية) هائلة .. لم يسبقها مثيل ، و لم يلحقها شبيه بعد كل ما ألفه البشر من قصص و روايات فإذا اعتبرنا أن كل آية هي جملة فإننا نستطيع أن نقول إنه في تسع و تسعين جملة هي مجموع الآيات التي تناولت أخبار يوسف في السورة ، و فيما لا يزيد تقريباً عن عشر صفحات مكتوبة بخط مخصوص يستغرق مساحة أكبر من (...) في هذا الحيز الضيق الحدود الذي لا يستطيع واحد من كبار الأدباء أصحاب المواهب النادرة إلا أن يكتب قصة قصيرة (...) .

في هذا الحيز استطاع القرآن أن ينشيء رواية تناولت عدداً كبيراً من الشخصيات المحورية " يوسف " نفسه و أبوه يعقوب و امرأة العزيز و زوجها الملك و طباخه و ساقيه بالإضافة إلي الشخصيات الهامشية التي تلعب أدواراً هامة لا يمكن الاستغناء عنها في بناء الرواية مثل إخوة يوسف الاحد عشر كوكباً و الرجل الحكيم من أهل امرأة العزيز ، الذي أظهر براءة يوسف من الزنا ، و حاشية الملك و الموظفين و العمال و الخدم الذين كانوا تحت إدارة يوسف بعد أن صار العزيز الأول في السلطة ، و نساء القصر ، و علية القوم اللاتي تكلمن في عرض المرأة المفتونة بحسن يوسف

(١) د/ سعد المرصفي - أسطورة الوطن اليهودي ص ١٠٧ - مكتبة المزار الإسلامية - الكويت

و رجال القافلة العرب الذين انتقدوا يوسف و الباعة والمشتريين في سوق العبيد , و رجال القوافل التجارية التي كانت تواصل الترحال بين مصر والشام.^(١)

إن اختيار الله عز وجل لوسيلة القصة كأكثر وسيلة و تقنية لإيصال أوامر الرب جل و علا و إجتناّب توأهيه لأكبر دليل علي أهميتها بين الوسائل الأخرى في تقنية الإيصال الفكري , و يمكن القول أن وسيلة القصة هي الملكة بين الوسائل وتستحق تاج الملوكية بينهم , و لذلك كان لزاماً علي من يختارها كوسيلة مواصلات لمعلوماته أن يجاهد و يبذل السبب لكي تكون في نهاية صياغتها ذات حبكة فنية تليق بمنصبها كملكة بين الوسائل .^(٢)

و كانت قصة يوسف عليه السلام أحسن القصص ...

(لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)

لقد بين العليم الحكيم في قصص القرآن الكريم و في قصة يوسف علي وجه الخصوص .. كثيراً من الأمثلة و العبر , لينهل منها من شاء أن ينهل (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل).^(٣)

وعندما نستعرض قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف. متعمقين فيها بالتحليل لبعض نصوص آياتها سنشير إلي بعض الدروس والعبر والله ولي التوفيق..



(١) د/ توحيد الزهيري . القرآن معجزة كل عصر ص ٧١ مؤسسة دار الشعب .
(٢) نسيبة عبد العزيز العلي المطوع - قصة يوسف عليه السلام - نموذج حياة ص ٦٥ الكويت
(٣) الكهف (٥٤)

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِذَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَأَقْصِيَنَّ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّالِتِينَ (٧) إِذْ قَالَوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَأَقْتُلَنَّوهُ يُوْسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَأَقَامُنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلْنَا مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِلُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيخْزَنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذْ لَنَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَنَّهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبُّ وَمَا آتَيْتُ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ يُعَذَّبَ أَلَيْمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ ذُبُرٍ فَكَلَبْتَهُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ ذُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَطْفَرِيَ لِذَلِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْرِهَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَصَمَّ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْتَجِنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السُّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السُّجُنَ فَتَبَانَ قَالَ أَحُلِّقُنِّي إِنِّي آرَانِي أَغْصِرُ خَيْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي آرَانِي أَخْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خَيْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبِئَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ فَأَوْفَىٰ مَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعَتْ مَلَّةٌ أَبَاهُ يُزَاهِمُهُمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَأَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السُّجُنُ أَرَأَيْتَ أَنْ تَضْرِبَ خَيْرَ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِي السُّجُنُ أَمَا أَحَدُكُمَا قَيْسَتِي رَبُّهُ خَيْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَلَسَّاءُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السُّجُنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَلَاتٍ خُضِرٌ وَأُخْرَىٰ يَابَسَاتٌ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَثَرِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُتَلَاتٍ خُضِرٌ وَأُخْرَىٰ يَابَسَاتٍ لِعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرَّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ الْمَلِكُ اتَّبِعْنِي يَهْ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

(٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْتَا مَكِينٍ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ لَنُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُولِي الْأَكْبَالِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَتَرْنَاؤُا عَنُّهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاذْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلِمَتَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَرَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ رُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) قَبَدُوا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدَبْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا

يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
نَأْخُذَ إِنَّا مِنْ وَجْدَتِنَا مَتَاعَتَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلْمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا لَفُظْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ
حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِن
ابْتِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ آبَاؤُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَإِيضَتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْحَرًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْمُهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِي
أَدْهُوَا فَتَحَسَّبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْنِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْنِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ
الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةِ مُرْجَاةٍ قَلَوَف
لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ
أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَنْتَ نَأْتِ بِيُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ
وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ عِلْمًا وَإِنَّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ
(٩١) قَالَ لَا تَعْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا
فَالْقَوَةَ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ أَنَّا تَفَنَّوْنَا (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا
أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
(٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ
أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي
إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبُّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ
(١٠١) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)
وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ
(١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١).

صدق الله العظيم

وسورة يوسف هي:

سورة مكية ، عدد آياتها ١١١ آية ، وعددا كلماتها ١٧٩٥ كلمة وعدد حروفها ٧١١٥ حرفا وترتيب نزولها هو ٥٣.

ثانياً :- معلومات التعريف بالعهد القديم و التوراة :-

العهد القديم هو الكتاب المقدس لدي اليهود ، و كذلك لدي المسيحيين و هو مع الأناجيل ورسائل الرسل يطلق عليها جميعا الكتاب المقدس ، ويتكون العهد القديم بصورته الحالية من مجموعة (كتب) أسفار .

سبب تسمية بالعهد القديم :- تأسيسا على النص :

" وأخذ موسى الدم ورش على الشعب ، وقال : هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال " . سفر الخروج (٨:٢٤)

وتسمية بالعهد القديم غير مقبولة عند اليهود ، لأن فيها إشارة إلى أن العهد الجديد المعطى للمسيحيين حل محله ، وأن التسمية اليهودية فهي (الكتاب العبري **The Hebrew Bible**) أو الكتاب للإختصار **The Bible** ويعرف أيضا " بالمقرا " أى المقروء .^(١)

(١) أ.د محمد خليفة حسن احمد - مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم ص ٩ دار الثقافة العربية

العهد القديم والتوراة :

الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم يزعمون أنها التوراة ، و تسمى الناموس - ويطلقون علي العهد القديم كله إسم التوراة تجزئاً - و المعروف لدي أصحاب الديانات السماوية الأخرى (المسيحية و الإسلام) أن التوراة من الكتب السماوية المزلّة .

تلك التوراة التي نزلت علي سيدنا موسى - عليه السلام - في جبل الطور في صحراء سيناء عام (١٥٧١ ق.م تقريباً)^(١) .

والتوراة : هي تلك الأرواح التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه حينما ذهب إلي ميقات ربه.

أما العهد القديم ، فهو عبارة عن تاريخ بني إسرائيل مع التمهيد له بالكلام عن خلق الإنسان و تناسل آدم و ذريته .

وهذا التاريخ (العهد القديم) كتبه اليهود بعد موسى بأزمان متطاولة إعتماًداً علي الرواية الشفوية التي عدت عليها عوادي النسيان . و التزويد و النقص و التحريف ، و عبث الأهواء بما أفاض فيه العلماء .^(٢)

وكانت التوراة ، تشتمل علي عقيدة التوحيد و الشريعة . و يقولون إنه بعد نزولها كتب موسى منها ثلاث عشرة نسخة ، و أعطي لكل سبط نسخة ، و وضع في التابوت - حسب تعاليم الرب - نسخة .

أسفار العهد القديم :

رتبت أسفار العهد القديم و عددها ٣٩ سفيراً بحيث تشتمل التوراة منه الأسفار الخمسة الأولى أما بقية أسفار العهد القديم فتقسم - طبقاً لتقاليد اليهودية - إلي ثلاثة أقسام كما هي موضحة كالتالي :- أسفار العهد القديم و تاريخ التدوين (قرون ما قبل الميلاد) .

^(١) د/ أحمد حجازي السقا - علي التوراة ص ٧ دار الانصر .
^(٢) د/ ابراهيم عطية - سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ص ٢٩ .

قرن التدوين	أسفار الأنبياء ١٢+٥	قرن التدوين	الأسفار الشعرية	قرن التدوين	الأسفار التاريخية	تاريخ التدوين بالقرن	أسفار التوراة (الشريعة)
٨	اشعيا	غير محدد	أيوب	١٤	يشوع	١٥	التكوين
٧/٦	ارميا	١٥	المزامير	١١	القضاة	١٥	الخروج
٦	مراثي ارميا	١٠	الأمثال	١١	راعوث	١٥	الملاوين
٦	حزقيال	١٠	الجامعة	١٠	صموئيل ١	١٥	العدد
٦	دانيال	١٠	نشيد الأنشاد	١٠	صموئيل ٢	١٥	الثنية
٨	هوشع			٦	الملوك ١		
٩/٨	يونيل			٦	الملوك ٢		
٨	عاموس			٥	أخبار الأيام ١		
٨	عوبديا			٥	أخبار الأيام ٢		
٦	يونان			٥	عذرا		
٨	ميخا			٥	نحميا		
٨	ناحوم			٥	أستير		
٧	حقوق						
٧	صافينيا						
٦	حجي						
٦	زكريا						
٥	ملاحي						

ملاحظات علي مناسبات استخدام الأسفار :

١- يستخدم سفر راغوث في عيد الأسابيع مع نهاية موسم الحصاد و الإحتفال بذكري عطاء الشريعة علي جبل سيناء .

٢- نشيد الإنشاد يقرأ في عيد الفصح - و هو الإحتفال بذكري الخروج من مصر .

٣- سفر المراثي يقرأ في التاسع من شهر آب في ذكري سقوط أورشاليم سنة ٥٨٦ ق.م .

٤- سفر الجامعة يقرأ في عيد المظال بعد عيد الفصح بستة شهور وهو إحتفال بعيد الحصاد.

٥- سفر استر يقرأ في عيد اليوريم و هو إحتفال الخلاص من العدو وتحقيق النصر.

و كل هذه الأسفار مختلف في كاتبها و تاريخ تدوينها و إن كان كلها قبل الميلاد و كذلك مختلف في اعتمادها من الطوائف المختلفة يهودية كانت أو مسيحية .

أضواء علي موضوعات أسفار التوراة (الخمسة):-

سفر التكوين : تتناول إصحاحاته الخمسين قصة (اسطورة) خلق الكون و الإنسان كما تتناول قصص الأنبياء من آدم و حواء و هبوطهما إلي الأرض ثم نوح و الطوفان و نسل سام . و تهتم ببداية التاريخ العبراني من عهد إبراهيم حتى يوسف و هجرهم إلي مصر حتى وفاة يعقوب و يوسف .

و يتم عرض الموضوعات بنصوص توضح الحياة الخاصة لبني إسرائيل من النواحي الدينية و الإجتماعية و ما كان من حروب مع جيرانهم الكنعانيين أصحاب الأرض الأصليين ..

سفر الخروج : تتناول إصحاحاته الأربعين تاريخ بني إسرائيل في مصر و يكمل قصة موت يوسف عليه السلام و ظهور موسى و خروج بني إسرائيل مع موسى و سنوات التيه الأربعين في سيناء و نزول الوصايا العشر علي موسى عني جبل الطور بسيناء كما توضح إنحراف بني إسرائيل عن تعاليم موسى كما تصف التابوت و صناعته .. و بعض أحكام الشريعة في العبادات المبنية علي أساس عقيدة العهد ...

و سفر الخروج يمكن النظر إليه كإمتداد تاريخي لحركة بني إسرائيل ونزوحهم من مصر .

سفر اللاويين :- اللاويون هم نسل لاوي أو (ليفي) الأبن الثالث ليعقوب و منهم بعد ذلك موسى و هارون وكانوا هم سدنة الهيكل و المشرقين علي المذابح و القرابين , و تهتم معظم

إصحاحاته السبعة والعشرين بشئون العبادات و بوجه خاص بما يتعلق بالأصاحي و القرابين - وكذلك تنظيم الحياة الدينية و الإجتماعية ولا يعتبر سفر اللاويين عملاً مستقلاً ووحده أدبية مستقلة عن بقية أسفار التوراة , فعلي الرغم من إنه يتكون من مجموعة مواد ذات تواريخ و خلفيات متباينة فقد اتخذ شكلاً محدداً و ترتيباً معيناً علي يد الكهنة . و مادته انتجها الكهنة الذين انتجوا أيضاً مواد المصدر الكهنوتي في أسفار التكوين و الخروج و العدد و ربطوا بينها جميعاً لتمثل مصدرأ مستقلاً من مصادر التوراه .^(١)

سفر العدد :- يتناول أسفار الست والثلاثون إحصاءات بقبايل بني إسرائيل و جيوشهم التي تحركوا في عهد موسى وحله بني إسرائيل من جبل سيناء إلي مشارف أرض كنعان كأمر الرب (وكلم الرب موسى في بركة سيناء في خيمة الإجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثالثة لخروجهم من أرض مصر قائلاً : احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم و بيوت أبنائهم بعدد الأسماء...) ولكنهم لم يدخلوها ... فكان عقابهم علي ذلك التيه في صحراء سيناء أربعين عاماً كما شملت إصحاحاته أيضاً أحكام تتعلق ببعض العبادات و المعاملات و بذكر خبر موت هارون عليه السلام و ينتهي السفر ببعض الأحكام و الوصايا

سفر التثنية : بداية لإن من وقفة إزاء سفر التثنية إذ توصل علماء نقد الكتاب المقدس إلي حقيقة إختلاف سفر التثنية عن بقية أسفار التوراة , و خاصة في لغته وإسلوبه الأمر الذي أدى إلي اعتبار سفر التثنية كتاباً مستقلاً عن أسفار التوراه ولا ينتمي إليها . و يستمر أسلوب سفر التثنية في الأسفار التاريخية التالية بداية من سفر يشوع و حتى أسفار الملوك و علي هذا الأساس سمي علماء نقد الكتاب المقدس الأسفار الأربعة الأولي من التوراة باسم **Tetrateuch** (الأسفار الأربعة) واطلقوا علي أسفار التثنية و القضاة و صموئيل الأول و الثاني و الملوك الأول و الثاني اسم العمل التثوي و لم يتم ضم سفر التثنية إلي التوراة إلا بعد السبي البابلي^(٢).

قصة سفر التثنية : إنه في عهد مملكة يهوذا و هي تحت حكم الملك (يوشياهو) سنة ٦٢١ ق.م قيل الأسر البابلي وكان هذا الملك متديناً صالحاً , و يكون يبحث عن التوراة - بعد فقدتها بعدة قرون , وكان يعاصره كاهن اسمه حلقياً , انتهز فرصة هذا الميل فأدعي بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا , إنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس و أعطاهها شافان الكاتب^(٣) حسب رواية

(١) أ.د/ محمد خليفه حسن محمد سعد مدخل نقدي إلي أسفار العهد القديم ص ٤٣ - دار الثقافة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) د/ يحيى محمد علي ربيع ط الكتب المقمتة بين الصحة و التخريف - ص ٩٨ دار الوفاء .

الإصحاح من سفر الملوك الثاني (٨/٢٢) و كان لهذا الكشف كبير الأثر علي هذا الملك , ويشكل الكثير في هذا الكشف الآن البيت فهب مرتين قبل عهد آحاز , ثم جعل بيتاً للأصنام , وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم , و ما سمع أحد إلي سبعة عشر عاماً من سلطنة يوشيا أيضاً اسم التوراة و لا رآها ^(١) و ليس من دليل علي أن هذا الكتاب المدعي إنه توراة موسى , و هو علي أحسن الفروض , لن يكون إلا بعض أجزاء كان يحفظها الأحبار مع إضافات أخرى من عندياقم أو إما من صنع هذا الكاهن لينال الحظوة عند هذا الملك المتدين الذي سارع فدعا كبار القوم إلي البيت و تلا عليهم من سفر الشريعة أمام جموع غفيرة من الشعب - حسب روان سفر الملوك - و أقسم علي الالتزام بما جاء في هذا السفر .

و قد اعتبره اليهود - بعد السبي - إنه من التوراة باعتباره الكتاب - السفر - الخامس منها و إنه من تأليف موسى و لكن الأمر لا يحتاج إلي بعيد سفر لإثبات إنه ليس من تأليف موسى بدليل إنه و إن كان يجوي كلمات موسى الأخيرة (خطبة الأحداث) التي القاها موسى في سهل مؤاب قبل الدخول أرض كنعان فإنه يجوي السفر خبر وفاة موسى و خلافة يشوع لموسى في قيادة بني إسرائيل فهل كتب أو أملي موسى عن وفاته .. ودفنه .. أم إنه التديس والتزوير اليهودي !!

هذا ما ذكرناه ينصب فقط علي التوراة الذي عبر عنه بالكلمة الفرنسية **pantaleuque** التي تعني المكون من خمسة أجزاء .

أما بالنسبة للعهد القديم فإن المجال لا يسمح بتناولها لكن يكفي أن نشير إلي أسفاره فهو يتكون من:

١- الأسفار التاريخية و التي تتناول تاريخ الشعب اليهودي منذ دخوله إلي أرض الميعاد - حسب زعمهم - و يحدد بنهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتى النفي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد ^(٢) و يتكون من ١٢ سفر تبدأ بسفر يشوع و تنتهي بسفر أستير .

٢- أسفار (كتب الشعر و الحكمة) و هي خمسة أسفار تبدأ بسفر أيوب و تنتهي بسفر نشيد الإنشاد . و هي مجموعة متنافرة المضمون كتبت علي مدي سبعة قرون علي

^(١) المرجع السابق ص ٩٩ نقلا عن أظهر الحق .
^(٢) مورس بوكاي - القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم ص ٣٦ مكتبة مدبولي .

الأقل و أتت من مصادر شديدة التنوع ثم تجمعت داخل مؤلف واحد , و هي عموماً ينظر إليها علي إنها اناشيد و مواعظ معظمها ديني .

٣- أسفار الأنبياء : أو الكتب النبوية و عددها سبعة عشر سفاً - و يحوي أسفارها وصايا مختلف الأنبياء , في العهد القديم باستثناء كبار الأنبياء والمشار إلي تعاليمهم في كتب أخري مثل موسي و يوشع و صموئيل . وهذه الأسفار النبوية تعطي فترة زمنية طويلة تمتد من القرن الثاني حتى القرن الثاني ق.م لذلك فهي تعطي أيضاً فترة النفي إلي بابل وما بعده .

ضياح أصل التوراة - و إعادة إختلاقها :

وضع موسي نسخة التوراة في التابوت , و خصص موسي - بناء علي وحي - سبط لاوي ليقوم بتعليم التوراة للناس , و إنه جعل الرياسة لنسل هارون عليه السلام فكانت لهم صلاحية استنباط الأحكام التشريعية من نصوص التوراة , و أوكل إلي نسل هارون لها حفظ التوراة .. فهم الذين استحفظوا عليها ... فهل حفظوها ..؟

لقد ضاعت التوراة ... أو فقدت ... أو أحرقت ... أو أخفيت .

فلو ضاعت يؤلف غيرها ...

ولو أحرقت يخلق غيرها ...

ولو أخفيت تستبدل بغيرها ...

وفي كل الأحوال تصنع علي أعين الخاطامات و لتتحقق مصالحهم !!..

كيف ضاعت .. و كيف اختلقت ؟

بعد موت هارون و موسي .. بقرن من الزمان , و أثناء قتال اليهود للفلسطينيين في عصر القضاة .. أنزل الفلسطينيون باليهود خسائر فادحة .. وأسروا التابوت و قد كان اليهود يستنصرون بالتابوت فيأخذونه معهم في الحرب و يقدمون لتبوت إليهم الشجاعة و يتمكنوا من عدوهم , و لكن لما ضعف يقينهم بالله و فسدت أخلاقهم , غلبوا .. ولم ينفعهم تابوتهم , بل أخذ منهم .

هكذا عللوا فقدهم للتابوت و بداخله التوراة , و كان ذلك علي عهد الكاهن (عالي) إذ إنتصر الفلسطينيون و نكلوا ببني إسرائيل و أخذ منهم التابوت فمات الكاهن (عالي) حزناً ومدماً .

وكما ورد في سفر صموئيل الأول (١:٦) إنهم - اليهود - استرجعوا التابوت بعد سبعة أشهر^(١) وظل معهم مغلّقاً حتى فتح في عهد الملك سليمان عليه السلام^(٢) كما ورد في سفر الملوك (٩:٨) وسفر أخبار اليوم الثاني (٥ : ١) ولم يجدوا فيه التوراة .

فقدت التوراة ... توراة موسى ... الأصل !!

ومن المؤكد أن الكتعانيين (الفلسطينيين) عبثوا بالتابوت (وهو مبطن بالذهب) واستولوا علي ما به كنزيمة حرب من أعدائهم , أخذوا منه ما راق لهم وتركوا بقية منه - التي لا تعنيهم - وهو ما يعنيه قوله تعالي (و قال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة) البقرة ٢٤٨ .

و كانت هذه الأحداث أبان تولي شاول زمام أمر بني إسرائيل - ثم تولي بعده داوود ثم ابنه سليمان و بعد سليمان إنقسمت مملكته إلي مملكة الشمال و تعرف بالسامرة , و مملكة الجنوب و تعرف بيهودا و كان حاكمها من نسل يهوذا إنخذنا القدس عاصمة لها .

وظل الاحخامات يقضون بين اليهود بما تجود عليهم قرانحهم و تمليه مصالحهم و بما علق بذكرهم و إنتقل إليهم مشافهة عن ما يزعمون إنه من التوراة .

ولقد حاد اليهود كهنة و شعباً عن السبيل القويم إذ لم يحافظوا علي عقيدة التوحيد و يكثر في العهد القديم تكرار نص (و عملوا الشر في عيني الرب) !! .

ومما يجب التذكير به و التنبه إليه أن العهد القديم خلا من ذكر اليوم الآخر رغم أن ذلك من أساسيات الإيمان بالله و علي ذلك فلا ذكر للحساب أو العقاب عن أعمال الشر , ومن المؤكد أن ذلك جاء عن قصد و تعمد من كتبة العهد القديم لأن الجميع إنغمس في المادية , والإهتمام الزائد بالمال و الجاه و النفوذ و ساد الفساد . (ولتجدتهم أحرص الناس علي حياة) البقرة ٩٦

حتى لا يستيقظ عندهم ضمير حذفوا من التوراة ما يذكرهم بالحياة الآخرة والحساب والعقاب^(٣) .

^(١) و بقي تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر ثم سأل الفلسطينيون الكهنة و العرافين : ماذا تفعل بتابوت الرب ؟ خبرونا كيف نعيده إلي موطنه فأجابوهم * : إذا عدتم تابوت اله إسرائيل فلا تعبدوه فارغاً بل أرسلوا معه قربان أثم ... صموئيل ٦ (٣-١)

^(٢) (...) لم يكن التابوت يضم سوي لوحى الحجر اللذين وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل لدي خروجهم من ديار مصر (أخبار اليوم الثاني ٥ (١٠) .

^(٣) د/ صفوت حامد مدارك - مدخل لدراسة الأديان ج ١ ص ٩٤ مطبعة الفجالة .

ولما جاء حكم يهوذا الملك (يوشيا) و هو الحاكم رقم ١٥ ليهوذا (٦٠٩-٥٩٨ ق.م) وكان يعاصره كاهن اسمه حلقياً إنتهز فرصة صلاح الملك و رغبته في عودة الشعب إلي الإيمان وإتباع التوراة و جاء إنقاذ مملكته من الفساد .. و كان جاداً في البحث عن التوراة - فإدعي الكاهن (حلقياً) بعد سبعة عشر عاماً من حكم (يوشيا) سنة ٦٢٩ ق.م و إنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس .

وكما سبق أن ذكرت فقد فرح الملك بذلك و جمع القوم و أقسم ليطيعن من ذلك الوقت ما جاء في هذا السفر .

و كثير من نقاد الكتاب المقدس لا يعتمد قول حلقياً لأن البيت نهب مرتين قبل ذلك ثم جعل بيتاً للأصنام , وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم و ما سمع أحد إلي سبعة عشر عاماً من سلطنة يوشيا أيضاً إسم التوراة ولا رآها^(١) .

ثم حدث الغزو البابلي (٥٨٦ ق.م) و اكتسح مملكة الجنوب و خرب المعبد و ثم حرق كل ما فيه و تم أسر الكهان و رجال الدين و سيق الجميع سوق العبيد إلي بابل و في أثناء الأسر البابلي , بدأ الكاهنان (عزرا و نحشيا) إعادة كتابة التوراة مرة أخرى من ذاكرتهما و أكمله بعد العودة و عرضها عزراً علي المجمع الأكبر (لجنة مكونة من مائة و عشرون حاخام) برياسته , أقرها علي إنها مطابقة للتوراة الأصلية - و هم لم يروا التوراة الأصلية - و كان ذلك بعد سبعين عاماً من خراب الهيكل و هناك قول بان عزرا أكملها بعد أربعين عاماً من رجوعهم إلي البيت , و تعرف هذه التوراة باسم (توراة عزرا) و كانت الأربعة أسفار الأولي , أما السفر الخامس (سفر التثنية) فلم يتم ضمه إلي أسفار التوراة إلا بعد السبي البابلي .

لماذا أقدم عزرا علي تأليف توراة جديدة (بدل فاقد) :

من مجريات الأحداث و وقائع فقد التوراة و إعادة كتابتها يمكن أن نستخلص عدة أسباب لإقدام عزرا علي تأليف التوراة المنسوبة إليه و منها :

إنه في عام (٥٨٦) ق.م جاء ملك بابل (بختنصر) و حارب إسرائيل وهزمهم و هدم الهيكل و صدق كل ما به حتى الكتب المقدسة و تابوت العهد , و نصب أصناماً في بيت عبادتهم , و حظر عليهم التفوه بذكر أي نص من التوراة , أو أحكام شريعتهم طوال حياته , لأكثر من جيل ,

^(١) د/ يحيى محمد ربيع - الكتب المقدس بين الصحة و التحريف ص ٩٩ - دار الوفاء .

حتى إنقرض جيل علماء التوراة , وكان قد ساق عليه القوم ووجهاتهم و منهم العلماء , ساقهم جميعاً سوق العبيد , فكان وقع ذلك شديد مؤلم خاصة لعلماء التوراة .

ومن هول ما حدث لهم ظنوا أن عصر ملكهم آذن بالزوال و أن الملك سيؤول إلي بني إسماعيل , كما هو واضح في توراة موسى التي تناقلوها وهم لذلك كارهون.

فكان عليهم أن يعيدوا كتابة التوراه التي فقدوها , و لكن ماذا سيكون سندهم فيما ينسخونه إلا ما بقي في ذاكرتهم من مرويات الآباء ؟.

و تحمس لهذا العمل (الكاهن عزرا) فبدأ في كتابة التوراة في بابل .

و بعد العهد البابلي و ما أحدثه من تخريب و أسر الإسرائيليين حدث أن قامت دولة الفرس و تمكنت من السيطرة علي بابل , و قد لعب اليهود الذين أسروا في بابل دوراً هاماً في هينة الغزو الفارسي من أن يتمكن من بابل , و قد وعدهم الفرس وعداً شبيهاً بوعد بلפור في العصر الحديث , إذ ساعدوا الدولة الفارسية بالتجسس والعمل لصالح الفرس ضد الدولة البابلية المقيمون بها , فمكنوهم - أي الفرس - من العودة إلي فلسطين^(١)

حيث سمح لهم ملك الفرس (إردشير) بالرجوع إلي القدس تحت سلطته وساعدهم في بناء القدس و جمع شملهم .

أي أن الهاجس الذي كان يؤرقهم هو أن يؤول الملك إلي بني إسماعيل .. فكان الحل أن يختلقوا توراة جديدة - توراة عزرا - بتعديلات و إضافات لنصوص تلغي أن يؤول الأمر إلي بني إسماعيل .

ثم زادوا فيها من التشريعات , و القصص و الروايات ما يناسب أهدافهم , وهي جميع أشتات اليهود ورفع معنوياتهم وربطهم جميعاً بما فكتاب هذه هي توراة هو عزرا , كتبها علي مقدار ما حفظت ذاكرته و نظمها علي أساس أو من منظور أحوال اليهود في فلسطين بعد العودة , وهكذا يمكن القول بأن أسفار " العهد القديم " و التلمود هي من صناعة اليهود في بلاد ما بين النهرين , وعلي هذه الكتب الدينية المقدسة إعتمدت الحياة الدينية اليهودية في بلاد العالم المختلفة^(٢)

(١) عماد عبد الحميد النجار - التطور التاريخي لبني إسرائيل ص ٥٦ دار الفكر الحديث .
(٢) أ.د / محمد خليفه حسن - التاريخ اليهودي القديم و علاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم ص ٤٦ كتب كلية الآداب جامعة القاهرة

و يضيف الإمام الجويني (إمام الحرمين) سبباً آخر هام هو خاص بشخص عزرا , ذلك إنه حرص علي إستمرار رياسته الدينية لليهود , كل اليهود بفلسطين .

يقول ابن حزم الأندلسي^(١) . و كانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من ٧٠ عاماً من خراب بيت المقدس , وادعوا كذباً وزوراً . أن توراة موسى الأصلية فقدت , وأن جبريل عليه السلام - لقي عزرا فلقنه التوراة و إنه عرضها علي العلماء فوحدوها مطابقة للتوراة الأصلية .^(٢)

ليست توراة واحدة :

لما رجع عزرا من بابل بين المسييين بالتوراة الجديدة , و نظم أحوال اليهود , حدث نزاع بينه و بين اليهود السامريين بسببه انفصلوا عن اليهود العبرانيين إلي اليوم و أدي الراح إلي شقاق مما ساعد علي وجود التحريف , فكل فئة منهم جعلت لها توراة و غيرت فيها و بدلت بما يتفق مع مصالحها .

و في زمن إحتلال اليونان لفلسطين و مصر , في أيام بطليموس ترجم سبعون عالماً من علماء بني إسرائيل توراة العبرانيين إلي اللغة اليونانية سنة ٢٨٢ ق.م و من ذاك الزمان إشتهر في العالم أن أسفار موسى الخمسة منها ثلاث نسخ:

١- التوراة السامرية .

٢- التوراة العبرانية .

٣- التوراة اليونانية المترجمة عن العبرانية تمت في الإسكندرية و تسمى بالترجمة السبعينية لقيام سبعون مترجماً بها و قد أضاف المترجمون لها تفسيراً لبعض الكلمات و وضعوا أيضاً من المعاني ما يخالف معاني في العبرانية^(٣).

و قد نقلوا " العهد القديم " إلي اليونانية عن نص عبري مفقود و استخدموا بعض النسخ الآرامية . و قد إحتوت الترجمة السبعينية علي خمسة عشر سفيراً لم يضمها " العهد القديم " العبري والتي وصفها البروتوستانت فيما بعد بإسم الابوكريف (الأسفار غير القانونية و حرفياً تعني الأسفار المخفية).^(٤)

(١) الفصل في الملل و الأهواء و النحل ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) د / أحمد حجازي السقا - علي التوراه - ص ٩ - دار الأنصار .

(٣) المرجع السابق

(٤) إد / محمد خليفه حسن - التاريخ اليهودي القديم و علاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم ص ٥٨,٥٧ كتب كلية الآداب -

جامعة القاهرة

أوجه النقد للتوراة :

كثيرة جداً تحتاج إلي بحث خالص ولكن سأكتفي ببعض آراء من كتبهم المقدسة فما من باحث أو محقق ... تناول العهد القديم (أو التوراة) بالدراسة والبحث إلا و تحقق له إنما ليست هي التوراة الأصلية.. توراة موسى... التي تلقاها عن الله!!

ومما يجب ذكره أن :

١- أحبار اليهود اجتمعوا بالقرب من يافا عند نهاية القرن الميلادي الأول لأختيار ما يدخل العهد القديم و ما لا يدخل من كتب (أسفار) أخرجوها و لم يعترفوا لشريعتها^(١) و قد تكرر ذلك علي مدى تاريخهم كثيراً لذلك يوجد إختلاف حول أسفار العهد القديم المعترف بها فهي عند معظم أهل الكتاب تسعة و ثلاثون سفاً , و يعترف (الكاثوليك) من النصاري بسبعة أسفار زيادة علي الأسفار التي يعترف بها البروتستانت . هذا عن الأسفار و الإعراف بما أما عن الأخطاء فالحديث عنها لا ينتهي .

وكذلك بالنسبة للتوراة كان وما زال هناك إختلاف في الرأي حول سفر التثنية وهل يعتبر منها أو خارج عنها .

٢- في العصر الحديث ... إنعقد المجتمع المسكوني الثاني للفايتكان (١٩٦٥ - ١٩٦٢) وظل منعقداً ثلاث سنوات يبحث في نصوص أسفار العهد القديم .. وما بها من أخطاء وأخيراً اعترف المجمع في وثيقته المسكونية الرابعة بأن هذه الكتب (الأسفار) تحتوي علي شوائب و شيء من البطلان) !!

ما هو الإجراء الذي إتخذه الفاتيكان :

أعلن الفاتيكان للمتدينين من الشعب النصراي - بماله من نقود و سلطة دينية - بتقبل التوراة علي ما فيها من شوائب و بطلان !!
وعلي ذلك فإنهم :

لا يقدررون علي إنكارها , بالرغم مما فيها من بطلان و شوائب^(٢) .

(١) أحمد عثمان تاريخ اليهود ج٢ ص ٧١ مكتبة الشروق ص ١٠٩٠
(٢) هو عذر أقبح من ذنب , كيف أعرف الخطأ .. ولا أنكره ؟.. بل أنصح بإتباعه !! و ما فائدة إنعقاد المجتمع لثلاث سنوات إذا كان عاجز عن تصحيح الخطأ ... ولكنه الفاتيكان ... المخترق من الصهيونية (الباحث)

ومعظم اليهود ، حتى المتدينون منهم يعترفون بتحريف التوراة ، و منهم عالم التحليل النفسي (فرويد) يري أن التحريف و التشويه حدث ، و إنه أمر واقع أصحاب العهد القديم كله بشكل عام ، و الأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى) بشكل خاص.

وهناك من يري أن التوراة الحالية التي بيد اليهود ما هي إلا وثيقة العقيدة المصرية التي بشر بها إخناتون .

وتشير دائرة المعارف الفرنسية (لاروس) إلي أن التوراة لم يكتبها (موسى عليه السلام) وإنما عمل أغيار لم يذكر إسمهم عليها ، الفوها علي التعاقب ، معتمدين علي روايات سماعية ، ليس لا سند موثوق ، أو سند متصل ، و إنما استمدت قدسيها فقط من كثرة تردادها لأجيال كثيرة ، رغم ما فيها من عبارات صريحة تصرخ عالياً ، و تبرز جلية حتى تكاد تفتق عين قارئها ، بأنها ليست كلام موسى .. مثل :

"وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس علي وجه الأرض " وتكرر ذكر موسى بضمير الغائب مما يدل علي إنما كتبت بعد موت موسى عليه السلام .

ثم أن التوراة التي بأيدي سائر اليهود ، غير التوراة التي بأيدي (السامريين) والسامرية يقطعون بأن التوراة التي بأيدي اليهود محرفة مبذلة ، وسائر اليهود يقولون أن التوراة التي بأيدي السامرية محرفة مبذلة !!

وأوجه النقد الموجهة إلي العهد القديم أكثر من أن تعد وأعصي علي الإحصاء و ليس الآن مجالاً لذا إكتفيت بما قدمت .

وإتساقاً مع موضوع البحث فإنني سأعرض من نصوص التوراة سفر التكوين - الخاصة بموضوع البحث - و هي من التوراة العبرانية .. و المرجع المأخوذه منه هو أول طباعة للتوراة - (العهد القديم) - باللغة العربية طبع في بيروت قبل عام ١٨٩٦ .

نظرة على سفر الطور:

هو السفر الذول من المصراة ويحتوى على طريقتين يتميزت:

الجزء الأول (١-١١) يتحدث بتاريخ البشرية البدائية.

الجزء الثاني وهو الهادي - الجزء الأكبر يتناول تاريخ السماء (١١-٢٠) من تاريخ البشر لئلا

وتيه قفصة يعقوبه دوسف والفوسه (٧-٥٠) التي تتكون من مصراة يعقوبه وسنيه

الى مصر حتى موت يعقوبه وهو عليه السلام كما ذكره في كتابنا العزيز

الاصحاح السابع والعشرون

١ وحدث لما شاخ اسحق وكنت عيناه عن النظر اذ دعا عيسو ابنة الاكبر وقال له يا ابني
 فقال له ها هذا فقال انبي قد شئت ولست اعرف يوم وفاني ٢ فالآن خذ عندك جبنك
 وقوسك واخرج الى البرية وتصيد لي صيدا ٣ واصنع لي اطعمة كما احب وانجيها لآكل
 حتى تبارك نفسي قبل ان اموت

٤ وكانت رفقة سائمة اذ تكلم اسحق مع عيسو ابو . فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد
 صيدا لاني ٥ واما رفقة فكلمت يعقوب ابنتها فاثلة اني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك
 قائلاً ٦ انتني بصيد واصنع لي اطعمة لآكل وابارك امام الرب قبل وفاني ٨ فالآن
 يا ابني اسمع لقولي في ما انا امرك به ٩ اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جدين جديين
 من المعزى . فاصنعها اطعمة لايك كما يجب . ١٠ فحضرها الى ابيك لياكل حتى يبارك قبل
 وفاني ١١ فقال يعقوب لرفقة امه هوذا عيسو اخي رجل اشعر وانا رجل امس ١٢ وما يجيئني
 الي فاكون في عينيه كئيبا ون واجلب على نفسي لعنة لا بركة ١٣ فقالت له امه لعنتك علي
 يا ابني . اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي ١٤ فذهب واخذ واحضر لامو . فصنعت امه اطعمة
 كما كان ابو يحب ١٥ واخذت رفقة ثياب عيسو ابنتها الاكبر الفاخرة التي كانت عندها في
 البيت والبست يعقوب ابنتها الاصغر ١٦ والبست بدي وملاسة عنقو جلود جدي المعزى .
 ١٧ واحضت الاطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنتها

١٨ فدخل الى ايو وقال يا ابني . فقال ها هذا . من انت يا ابني ١٩ فقال يعقوب لايو انا
 عيسو برك . قد فعلت كما كلمتني . ثم اجلس وكُل من صيدي لكي تباركني تلك ٢٠ فقال
 اسحق لايو ما هذا الذي اسرعت تجي يا ابني . فقال ان الرب الهك قد يرسلني ٢١ فقال اسحق
 ليعقوب ندم لاجلك يا ابني . انت هو ابني عيسو ام لا ٢٢ فقدم يعقوب الى اسحق ايو .
 نجسة وقل الصوت صوت يعقوب ولكن ابدين بدأ عيسو ٢٣ ولم يعرف لان يديه كانتا
 مشعرتين كيدي عيسو اخيه . فبارك ٢٤ وقال هل انت هو ابني عيسو . فقال انا هو ٢٥ فقال
 قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تبارك نفسي . فقدم له فاكل . واحضر له خرا فشرب .

٢٦ فقال له اسحق ابوه تقدم وقبلي يا ابني ٢٧ ففقد وقبله. فشم رائحة ثيابي وبارك. وقال انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب ٢٨ فليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الارض. وكثرة حنطة وخمر ٢٩ ليستعبد لك شعوب. وتجد لك قبائل. كمن سيد الاخوتك. ويسجد لك بنو امك. ليكن لاعتوك مملوون. ومباركوك مباركين

٣٠ وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن اسحق ابيو ان عيسواخاه اتي من صيده ٣١ فصنع هو ايضا اطعمة ودخل بها الى ابيو وقال لا يبيو ليتم الي وباكل من صيد ابني حتى تباركي نفسك ٣٢ فقال له اسحق ابوه من انت. فقال انا ابنك برك عيسو ٣٣ فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا. وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا واتي بي الي فاكلت من الكل قبل ان نجي. وباركته. نعم ويكون مباركا ٣٤ فعندما سمع عيسو كلام ابيو صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا. وقال لا يبيو باركي انا ايضا يا ابني ٣٥ فقال قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك ٣٦ فقال آلا ان اسمه دعي يعقوب. فقد تعفني الان مرتين. اخذ بكرتي وهوذا الان قد اخذ بركتي. ثم قال اما ابقيت لي بركة ٣٧ فاجاب اسحق وقال ليسواي قد جعلته سيدا لك ودفعت اليو جميع اخوتو عيدا وعضدته بحنطة وخمر. فاذا اصنع اليك يا ابني ٣٨ فقال عيسو لا يبيو لك بركة واحدة فقط يا ابني. باركي انا ايضا يا ابني. ورفع عيسو صوته وبكى ٣٩ فاجاب اسحق ابوه وقال له هوذا بلاد دسم الارض يكون مسكنك. وبلا ندى السماء من فوق ٤٠ وسيفك تعيش. ولا تخيك تستعبد. ولكن يكون حينما تحجج انك تكسر نيره عن عنقك

٤١ فخذ عيسو على يعقوب من اجل البركة التي بارك بها ابوه. وقال عيسو في قلبه قربت ايام مناخة الي. فاقتل يعقوب اخي ٤٢ فآخبرت رفته بكلام عيسو ابنا الاكبر. فارسلت ودعت يعقوب ابنا الاصغر وقالت له هوذا عيسو اخوك تمسك من جھتك بانة بقتلك. ٤٣ فالآن يا ابني اسمع لقولي وتم اهرب الى اخي لابان الى حاران ٤٤ واقم عنده اياما قليلة حتى يرتد سخط اخيك ٤٥ حتى يرتد غضب اخيك عنك وينسى ما صنعت بي. ثم ارسيل فآخذك من هناك. لماذا اعدم اثنيكما في يوم واحد

٤٦ وقالت رفته لاسحق ملئت حياتي من اجل بنات حث. ان كان يعقوب ياخذ زوجة من بنات حث مثل هولاء من بنات الارض فلماذا لي حيوة

الاصحاح الثامن والعشرون

١ اخذنا اسحق يعقوب وباركه وارصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. ثم اذهب الى بلدان ارام الى بيت بتوئيل الى امك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات

٤٠ فذبح اخي امك ٢٠ وابتاع قديريه اراكك وبعثك مئرا ويكثر فتكون ٢٠ هورا من الشعوب .
 ٤١ وبعطيك بركة ابرهيم لك ولسلك معك . اثرت ارض قهرتك التي اعطاهها الله لابراهيم .
 ٤٢ فصرف اسحق يعقوب فذهب الى فدان ارام الى لئابان بن جويل الابرايمي اخي رفته ام
 يعقوب وعيسو

٤٣ فلما رأى عيسوان اسحق ببارك يعقوب وارسله الى فدان ارام لياخذ لنفسه من هناك
 زوجة . اذ باركه واوصاه قائلاً لا تاخذ زوجة من بنات كنعان . وان يعقوب سمع لايوه
 وامو وذهب الى فدان ارام . رأى عيسوان بنات كنعان شريرات في عيني اسحق ايوه . فذهب
 عيسو الى اسمعيل واخذ محلة بنت اسمعيل بن ابرهيم اخت ليا هويت زوجته له على نائوه

٤٤ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران . وصادف مكاناً وبنات هناك لان
 الشمس كانت قد غابت . واخذ من حجارة المكان ووضعها تحت راسه فاضطجع في ذلك المكان .
 ٤٥ ورأى حلمًا واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء . وهذا ملائكة الله صاعدة
 ونازلة عليها . ٤٦ وهذا الرب واقف عليها فقال انا الرب اله ابرهيم ايك واله اسحق . الارض
 التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولسلك . ٤٧ ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غرباً
 وشرقاً وشمالاً وجنوباً . ويتبارك فيك وبعي نسلك جميع قبائل الارض . ٤٨ وها انا معك
 واحفظك حيثما تذهب وارذكك الى هذه الارض . لاني لا اتركك حتى افعل ما كلمتك به

٤٩ فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً ان الرب في هذا المكان وانا لم اعلم . وخاف
 وقال ما ارض هذا المكان . ما هذا الايت الله وهذا باب السماء . وبكر يعقوب في الصباح
 واخذ الحجر الذي وضعه تحت راسه واقامه عموداً وصب زيتاً على راسه . ودعا اسم ذلك
 المكان بيت ايل . ولكن اسم المدينة اولاً كان لوز . ٥٠ ونذر يعقوب نذراً قائلاً ان كان الله
 معي وحفظني في هذا الطريق الذي انا سائر فيه واعطاني خبزاً لا اكل وشيئاً لا لبس . ٥١ ورجعت
 بسلام الى بيت ابي يكون الرب لي الها . ٥٢ وهذا الحجر الذي اقمته عموداً يكون بيت الله وكل
 ما تعطي في اعشره لك

الاصحاح التاسع والعشرون

١ ثم رفع يعقوب رحليه وذهب الى ارض بني المشرق . ٢ ونظر واذا في المحفل بئر وهناك
 ثلاثة قطع غنم رابضة عندها . لانهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان . والحجر على
 قم البئر كان كبيراً . فكان يجتمع الى هناك جميع القطعان فيدحرجون الحجر عن قم البئر
 ويسقون الغنم . ثم وردون الحجر على قم البئر الى مكوثه . فقال لم يعقوب يا اخوتي من اين انتم .
 فقالوا نحن من حاران . فقال لم هل تعرفون لئابان بن ناحور . فقالوا نعم . فقال لم هل

له سلامة. فقالوا له سلامة. وهذا ابراهيم ابنة آية مع الغنم ٢٠ فقال هوذا النهار بعد طويل.
ليس وقت اجتماع المرائي. اسفل الغنم واذهبوا اربعوا ١٠ فقالوا لا تقدر حتى تجمع جميع
القطعان ويدخر جمع الحجر عن قم البئر ثم نفي الغنم.

١٠ واذا هو بعد يتكلم معهم امت راحيل مع غنم ابيها. لانها كانت ترعى ١٠ فكان لما ابصر
يعقوب راحيل بنت لاiban خالو وغنم لاiban خالوان يعقوب تقدم ودحرج الحجر عن قم البئر
وسقى غنم لاiban خالو. ١١ وقيل يعقوب راحيل ورفع صوته وبكى ١٢ واخبر يعقوب راحيل انه
اخو ابيها وانه ابن رفته. فركضت واخبرت اباها ١٣ فكان حين سمع لاiban خبر يعقوب ابن
اخو ابيه ركض للقاتو وعانه وقبله واتى الى بيتو. فحدث لاiban بجميع هذه الامور ١٤ فقال
له لاiban انما انت عظمي ولحي. فاقام عنده شهرا من الزمان

١٥ ثم قال لاiban ليعقوب الآنك اخي محمد مني عجائبا. اخبرني ما اجرتك ١٦ وكان للاiban
ايتان اسم الكبرى ليثة واسم الصغرى راحيل ١٧ وكانت عينا ليثة ضعيفين. واما راحيل
فكانت حسنة الصورة وحسنة المنظر ١٨ واحب يعقوب راحيل. فقال اخذ منك سبع سنين
براحيل ابنتك الصغرى ١٩ فقال لاiban ان اعطيك اياها احسن من ان اعطيها لرجل
آخر. ثم عندي ٢٠ فخدم يعقوب براحيل سبع سنين. وكانت في حينها كايام قليلة بسبب
حبو لها

٢١ ثم قال يعقوب للاiban اعطني امراتي لان اياي قد كملت. فادخل عليها ٢٢ فجمع لاiban
جميع اهل المكان وصنع وليمة ٢٣ وكان في المساء انه اخذ ليثة ابنة واتي بها اليوم. فدخل
عليها ٢٤ واعطى لاiban زلفة جاريتة لليثة ابنة جاريتة ٢٥ وفي الصباح اذا في ليثة. فقال للاiban
ما هذا الذي صنعت لي. آليس براحيل خدمت عندك. فلما اخذتني ٢٦ فقال لاiban
لا يفعل هكذا في مكاننا ان تعطى الصغرة قبل البكرة ٢٧ اكمل اسبوع هذه فنعطيك تلك
ايضا بالخدمة التي تقدمتني ايضا سبع سنين آخر ٢٨ ففعل يعقوب هكذا. فاكمل اسبوع هذه.
فاعطاه راحيل ابنة زوجة له ٢٩ واعطى لاiban راحيل ابنة بلة جاريتة جاريتة ٣٠ فدخل
على راحيل ايضا. واحب ايضا راحيل اكثر من ليثة. وعاد فخدم عنده سبع سنين آخر

٣١ ورأى الرب ان ليثة مكروهة ففتح رحمها. واما راحيل فكانت عاقرا ٣٢ فحملت ليثة
وولدت ابنا ودعت اسمه راوبين. لانها قالت ان الرب قد نظر الى مذلي. انه الآن يجني
رجلي ٣٣ وحملت ايضا وولدت ابنا. قالت ان الرب قد سمع الي. مكروهة فاعطاني هذا ايضا.
فدعت اسمه شمعون ٣٤ وحملت ابنا وولدت ابنا. وقالت الآن هذه المرة يقترن لي رجلي.
لاني ولدت له ثلاثة بنين. لذلك دعي اسمه لوي ٣٥ وحملت ايضا وولدت ابنا وقالت هذه

الثمرة احد الرب لذلك دعيت اسمها يودا ثم توفيت عن الرضا

اصحاح الثاني

١ قلنا رأيت راحيل انها لم تلد ليعقوب فارتب راحيل في ارضها فتلد ليعقوب بنت في بيتي
 ٢ ولا فانما اموت ٣ ثم يحيى غضب يعقوب على راحيل وقال اني اظن اني اظن اني اظن معك
 لمة البطن ٤ فقالت هوذا جاريتي لي ٥ ادخل عليها فتلد لي ٦ فاعطتها ليعقوب
 ٧ فاعطتها ليعقوب جاريتها ٨ فدخل عليها فتلد ليعقوب بنتين ٩ فتلد ليعقوب بنتين
 ١٠ فقالت راحيل قد قضيت لى الله وضع ابنتي ليعقوب ١١ فتلد ليعقوب بنتين ١٢
 ١٣ وولدت ايضا ليعقوب راحيل بنتين ١٤ فقالت راحيل مصارعات
 الله قد صارعت اخوتي وعلقت. قد دعيت اسمها تقيال
 ١٥ ولما رأيت ليمه انها توفيت عن الولادة لتدت ليعقوب بنتين ١٦ فتلد ليعقوب بنتين
 ١٧ فتلد ليعقوب بنتين ١٨ فتلد ليعقوب بنتين ١٩ فتلد ليعقوب بنتين
 ٢٠ فتلد ليعقوب بنتين ٢١ فتلد ليعقوب بنتين ٢٢ فتلد ليعقوب بنتين
 ٢٣ فتلد ليعقوب بنتين ٢٤ فتلد ليعقوب بنتين ٢٥ فتلد ليعقوب بنتين
 ٢٦ فتلد ليعقوب بنتين ٢٧ فتلد ليعقوب بنتين ٢٨ فتلد ليعقوب بنتين
 ٢٩ فتلد ليعقوب بنتين ٣٠ فتلد ليعقوب بنتين ٣١ فتلد ليعقوب بنتين
 ٣٢ فتلد ليعقوب بنتين ٣٣ فتلد ليعقوب بنتين ٣٤ فتلد ليعقوب بنتين
 ٣٥ فتلد ليعقوب بنتين ٣٦ فتلد ليعقوب بنتين ٣٧ فتلد ليعقوب بنتين
 ٣٨ فتلد ليعقوب بنتين ٣٩ فتلد ليعقوب بنتين ٤٠ فتلد ليعقوب بنتين
 ٤١ فتلد ليعقوب بنتين ٤٢ فتلد ليعقوب بنتين ٤٣ فتلد ليعقوب بنتين
 ٤٤ فتلد ليعقوب بنتين ٤٥ فتلد ليعقوب بنتين ٤٦ فتلد ليعقوب بنتين
 ٤٧ فتلد ليعقوب بنتين ٤٨ فتلد ليعقوب بنتين ٤٩ فتلد ليعقوب بنتين
 ٥٠ فتلد ليعقوب بنتين ٥١ فتلد ليعقوب بنتين ٥٢ فتلد ليعقوب بنتين
 ٥٣ فتلد ليعقوب بنتين ٥٤ فتلد ليعقوب بنتين ٥٥ فتلد ليعقوب بنتين
 ٥٦ فتلد ليعقوب بنتين ٥٧ فتلد ليعقوب بنتين ٥٨ فتلد ليعقوب بنتين
 ٥٩ فتلد ليعقوب بنتين ٦٠ فتلد ليعقوب بنتين ٦١ فتلد ليعقوب بنتين
 ٦٢ فتلد ليعقوب بنتين ٦٣ فتلد ليعقوب بنتين ٦٤ فتلد ليعقوب بنتين
 ٦٥ فتلد ليعقوب بنتين ٦٦ فتلد ليعقوب بنتين ٦٧ فتلد ليعقوب بنتين
 ٦٨ فتلد ليعقوب بنتين ٦٩ فتلد ليعقوب بنتين ٧٠ فتلد ليعقوب بنتين
 ٧١ فتلد ليعقوب بنتين ٧٢ فتلد ليعقوب بنتين ٧٣ فتلد ليعقوب بنتين
 ٧٤ فتلد ليعقوب بنتين ٧٥ فتلد ليعقوب بنتين ٧٦ فتلد ليعقوب بنتين
 ٧٧ فتلد ليعقوب بنتين ٧٨ فتلد ليعقوب بنتين ٧٩ فتلد ليعقوب بنتين
 ٨٠ فتلد ليعقوب بنتين ٨١ فتلد ليعقوب بنتين ٨٢ فتلد ليعقوب بنتين
 ٨٣ فتلد ليعقوب بنتين ٨٤ فتلد ليعقوب بنتين ٨٥ فتلد ليعقوب بنتين
 ٨٦ فتلد ليعقوب بنتين ٨٧ فتلد ليعقوب بنتين ٨٨ فتلد ليعقوب بنتين
 ٨٩ فتلد ليعقوب بنتين ٩٠ فتلد ليعقوب بنتين ٩١ فتلد ليعقوب بنتين
 ٩٢ فتلد ليعقوب بنتين ٩٣ فتلد ليعقوب بنتين ٩٤ فتلد ليعقوب بنتين
 ٩٥ فتلد ليعقوب بنتين ٩٦ فتلد ليعقوب بنتين ٩٧ فتلد ليعقوب بنتين
 ٩٨ فتلد ليعقوب بنتين ٩٩ فتلد ليعقوب بنتين ١٠٠ فتلد ليعقوب بنتين

١٤ ومضى رايوبين في ايام حصاد الحنطة فوجد اودا في المحل ورجاه ووالدته امو فقالت
 راحيل ليمه اعطني من لثام ابيك ١٥ فقالت ها اقبل ابيك اعطيت رجلي فخذ من لثام
 ابي ايضا. فقالت راحيل اذا مضى معك الليلة عروضا عن لثام ابيك ١٦ فلما الى يعقوب
 من المحل في المساء خرجت ليمه الملاقاة وقالت لى يحيى ١٧ لاني قد امتنا جرتك بلثام ابي.
 فاضطجع معها تلك الليلة ١٨ ومع الله ليمه فتلد ليعقوب ابنتا ١٩ فقالت
 ليمه قد اعطاني الله اجرني لاني اعطيت جاريتي لراجل. قد دعيت اسمها زينا ٢٠ وولدت ايضا
 ليمه وولدت ابنتا سادسا ليعقوب ٢١ فقالت ليمه قد وهبني الله هبة حسنة. الآن يساكنني
 رجلي لاني ولدت له ستة بينين. قد دعيت اسمها زبولون ٢٢ لم ولدت ابنة ودعيت اسمها قهنة
 ٢٣ وذكر الله راحيل ومعها الله وفتح رحمها ٢٤ فتلد ليعقوب ابنتا. فقالت قد نزع الله
 عاري ٢٥ ودعيت اسمها يوسف فائلة يزيد لي الرب ابنا آخر
 ٢٥ وحدث لما ولدت راحيل يوسف ان يعقوب قال للابان اصرفني لادعك الى متكفي
 ولى ارضي ٢٦ اعطني ثيابي واولادي الذين خدمتك هم فادعك. لانك انت تعلم خدمتي
 التي خدمتك ٢٧ فقال له لابان ليمه اجد نعمة في عينيك. قد فعلت فباركني الرب بسببك.
 ٢٨ وقال عين لي اجرتك فاعطيتك ٢٩ فقال له انت تعلم ماذا خدمتك وماذا صارت
 من اشيك معي ٣٠ لان ما كان لك قبلي فقليل فقد اتسع الى كثير وباركك الرب في ارضي.

والآن متى اعلم ان ايضا ليوم فقال ماذا اعطيتك فقال يعقوب لا تعطيني شيئا. ان
 صمتت لي هذا الامر اعود اري عليك واعطيك. فقال بن عيبك كلما اليوم واعزل
 انت منها كل شاة رقطاء وبقاء وكل شاة سوداء. بن الجران وبقاء وبقاء بن العزري.
 فيكون مثل ذلك اجرتي ٢١ و٢٢ في بزي يوم هو انما خرجت من اجل اخوتي ولذا لك كل
 ما ليس ارقط او ابيض بين العزري واسود بين الجران فهو سرور عيني. فقال لابان
 هوذا ليكن بحسب كلامك. فقال في ذلك اليوم الهوى العظيمة والبقاء وكل المنار
 الرقطاء من البقلاء. كل ما فيو يبيض وكل اسود بين الرقطاء سود فيها الى ايدي بنيهم. وجعل
 مسورة ثلثة ايام بينه وبين يعقوب. وكان يعقوب يرضى غنم لابان الباقية.

٢٣ فاختد يعقوب لنفسه قطعا من حصر امس كتي ولبير ولب وقشر فيها عطاوطا ايضا
 كما فعلت عن البياض الذي على القضيان ٢٤ واولف القضيان التي فخرها في الاجران في
 مساقيها لما حيت كانت الغنم تحب الشرب. فجاء الغنم لتقوم عند حياها لتشرب ٢٥ فترجعت
 الغنم عند القضيان وولدت الغنم عطاوطات ورقطاء وبقاء. وافرز يعقوب الخرفان وجعل
 وجوه الغنم الى المخطط وكل اسود بين غنم لابان. وجعل له قطعا من حصره ولم يجعلها مع غنم
 لابان ٢٦ وحدث كما توجهت الغنم القوية ان يعقوب وضع القضيان امام حيون الغنم في
 الاجران. لتقوم بين القضيان ٢٧ وحين استضطت الغنم لم يقبلها. فصارت الضميمة
 للابان والقوية ليعقوب ٢٨ فأتسع الرجل كثيرا جدا. وكان له غنم كثير وجوارح وعبيد
 وجمال وحمير

الاصحاح الحادي والثلاثون

١ فسمع كلام بني لابان قائلين اخذ يعقوب كل ما كان لايينا. وما لايينا صنع كل هذا المجد.
 ٢ ونظر يعقوب وجه لابان واذا هو ليس معه كاس واول من امس ٢٥ وقال الرب ليعقوب
 ارجع الى ارض اباتك والى عشيرتك. فما كرون منك
 ٤ فارسل يعقوب ودعا راحيل وليته الى المحفل الى غنمو. وقال لما انا اري وجه ابي كما انه
 ليس نحوي كاس واول من امس. ولكن اله الي كان معي ٢٦ واتياعا تعلمان الي بكل قوتي
 خدمت اباك ٢٧ واما اهو كما قدر لي وغير اجرتي عشر مرات. لكن الله لم يسمح له ان يصنع لي
 شرا منه ان قال هكذا. الرقط تكون اجرتك ولدت كل الغنم رقطا. وان قال هكذا. المخططة
 تكون اجرتك ولدت كل الغنم مخططة ٢٨ فقد سلب الله من ابي كما واعطاني ١٠ وحدث في
 وقت ترحم الغنم اتي رفعت عيني ونظرت في حلم واذا العول الصاعدة على الغنم مخططة
 وبقاء ومثيرة ١١ وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب. فقلت هانذا ١٢ فقال ارفع عينك

وانظر. جميع اخول انصاعة على انعم مخططة ورقطاه ومثرو. لاني قد رأيت كل ما يصنع
بك لابان ١٥. انا اله بيت اهل حيث سمحت عموداً. حيث تظرت لي يديراً. الآن قم اخرج
من هذه الارض وارجع الى ارض مملوكك.

١٤ فاجاب راحيل وليث وقالوا له انا ايضا نصيب وميراث في بيت ابيك. انا لم نجيب
منه احيينين. لانه باعنا وقد اكل ايضا العمامة. انا كل الف الذي سلكه الله من ارضنا هو لنا
ولا ولدنا. فالآن كل طاق لك الله اقبل.

١٧ فقام يعقوب وحمل اولاده ونساءه على الجمال ١٧ ورجال كل مواشيه وجميع مقتناه الذي
كان قد اتفق. ومائتي ائتنتوا التي اتفق في غنجان ليرام. لاني انا اخي ابي الى ارض كنعان.
١٩ واما لابان فكان قد مضى لجزعته. فسرت راحيل ليعقوب ابيها ٢٠ وخرج يعقوب قلب
لابان الارامي. اذ لم يجزه باثني مارب ٢١ مهرب هو وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل
وجهه نحو جبل جلعاد.

٢٢ فاجبر لابان في اليوم الثالث بان يعقوب قد هرب. فاحفظ اخوته من وسمي رواه.
مسيرة سبعة ايام. فادركه في جبل جلعاد ٢٣. والى الله الذي انا ارامي في حلم الليل. وقال
له اختر من ان تكلم يعقوب بجمرا وشبه ٢٤. ففحس لابان يعقوب ويعقوب قد ضرره حجة في
الجبل. فضرر لابان مع اخوتي في جبل جلعاد.

٢٦ وقال لابان ليعقوب ماذا فعلت. وقد خدعت قلبي وسقت بني كساي السيف ٢٧. فاذا
مريت خفية وخذت عني ولم تخبرني حتى اشبعك بالفرح والاكفالي بالدف والعودة ٢٨. ولم تدعني
اقبل بني وبناتي. الآن بضاوق فعلت ٢٩. في قدرة يدي ان اصبح بكم شراً. ولكن اله ابيكم كلني
البارحة قائلاً اختر من ان تكلم يعقوب بجمرا وشبه ٣٠. والآن انت ذهبت لانك قد ائتقت
الى بيت ابيك. ولكن لماذا سوتت آلهي.

٣١ فاجاب يعقوب وقال للابان ابي خفت لاني قلت لملكك تفصيص ابيتك مني ٣٢. الذي
نجد آلهتك معه لا يعيش. فقيام اخوتنا انظر ماذا مني وخذة لشسك. ولم يكن يعقوب يعلم
ان راحيل سرقها.

٣٣ فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليث وخباء الجحورين ولم يجد. وخرج من خباء ليث
ودخل خباء راحيل ٣٤. وكانت راحيل قد اخذت الاصنام ووضعتها في خداجة الجبل
وجلبت عليها. فحس لابان كل الخباء ولم يجد ٣٥. وقالت لايها لا يفتظ سيدي ابي لا استطع
ان اقوم امامك لان علي عادة النساء. ففتش ولم يجد الاصنام.

٣٦ فاغتاظ يعقوب وخابم لابان واجاب يعقوب وقال للابان ما يجري ما خطيتي حتى

حيت ورائي ٢٧. انك جئت جميع الثاني. ماذا وجدت من جميع اثارك بينك. فسمعتها قدام اخوتي واخوتك. فليصغروا بنا الاثنين ٢٨. الآن عشرين سنة انا معك. ناصحك وعناذك لم نسط. وكايت فمك لم آسكل ٢٩. فربنا لم انصرف اليك. انا كنت اخبرهم. من يدي كنت تطلبها. مسروقة النهار او مسروقة الليل ٣٠. كنت في النهار يا كفي الخمر وسية الليل الجليد. وطار نومي من عيني ٣١. الآن لي عشرين سنة في بينك. فحسنتك اربع عشرة سنة بايتك وست سنين بعينك. وقد غيرت اجرتي عشر مرات. فربنا لا يراي الله اني الله ابرهم وعبه اسمي كان معي لثقت الآن قد صرفتني فارها. متفقني وحب يدي. قد نظر الله فوجبتك البارحة

٤٢. فاجاب لابان وقال ليعقوب البنات بناتي والبنون بنو والقم عني وكل ما انت توي فهو لي. فبناتي ماذا اصنع بين اليوم او بارلاذ من الذين ولدن معي فالآن حلم نطع عهدا انا وانت. فيكون شاهدا بيني وبينك

٤٣. فاخذ يعقوب حجرا وارقه حرقا ٤٤. وقال يعقوب لاصحابه انظروا النطيل حجارة. فاعخذوا حجارة وعملوا رجما واكبلوا هناك على الرجمة ٤٥. ودعاها لابان حجر مهدونا. واما يعقوب فدعاها جليد ٤٦. وقال لابان هذه الرجمة هي شاهدة بيني وبينك اليوم. لذلك دعي اسمها جليد.

٤٧. والمصفاة. لانه قال لبراهم الرب بيني وبينك حجرا تتوارى بعضنا عن بعض ٤٨. انك لا تدل بناتي ولا تاخذ نساء على بناتي. ليس انسان معنا. انظر الله يمانيت بيني وبينك ٤٩. وقال لابان ليعقوب هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك ٥٠. شاهدة هذه

الرجمة وشاهد العمود الي لا تجاوز هذه الرجمة اليك وانك لا تجاوز هذه الرجمة وهذا العمود الي للشر ٥١. اله ابرهم واآله ناحور آله ايها يقضون بيننا. وحلفت يعقوب بعبه ايو اسحق ٥٢. وذبح يعقوب ذبيحة في الجبل ودعا اخوته لياكلوا طعاما. فاكلوا طعاما وبانوا في الجبل ٥٣. ثم بكر لابان صياحا وقبل بينه وبينه وباركهم ومضى. ورجع لابان الى مكابو

اصحاح الثاني والثلاثون

١. واما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله ٢. وقال يعقوب اذ راى هذا جيش الله. فدعا اسم ذلك المكان محنام

٣. وارسل يعقوب رسلا قدامه الى عيسوا اخيه الى ارض مصر بلاد ادوم ٤. وامرهم قائلا مكثوا فتقولون لسيدي عيسو. هكذا قال عبدك يعقوب. تفرجت عند لابان ولينت الى الآن ٥. وقد صار لي بقرو وحمير وغنم وعبيد واما ٦. وارسلت لاصحابي لسيدي لكي اجد نعمة في عينك

٦ فرجع الرسل الى يعقوب قائلين اتينا الى اخيك الى عيسو . وهو ايضا قادم للفائف
 وارجع معه رجل معه ٢٥ فخاف يعقوب جدا وضاق بالامر . فقسم القوم الذين معه والغنم
 والبقر والجمال الى جيشين . وقال ان جاء عيسو الى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش
 الباقي ناجيا

٩ وقال يعقوب يا اله ابي ابراهيم واله ابي اسحق الرب الذي قال لي ارجع الى ارضك واني
 عشيرتك فأحس اليك . ١٠ صغيرا انا عن جميع الطوائف وجميع الامانة التي صنعتك
 عبدك . فاني بعصاي عبرت هنا الاردن والآن قد صرت جيشين . ١١ فنجني من يد اخي من
 يد عيسو . لاني خائف منه ان ياتي ويضربني الامم مع البين . ١٢ وانت قد قلت لي احسن
 اليك واجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة

١٤ وبات هناك تلك الليلة واخذ ما اتي بيده هدية لعيسواخيه . ١٥ مئتي عتير وعشرين نيسا
 مئتي نعجة وعشرين كبشا . ١٥ ثلثين ناقة مرضعة واولادها اربعين بقرة وعشرة ثيران عشرين
 اناثا وعشرة حيرة . ١٦ ودفعا الى يد عبيده قطيعا قطيعا على حدة . وقال لعبيده اجنازوا
 قدامي واجعلوا فسخة بين قطع وقطع . ١٧ وامر الاول قائلا اذا صادفك عيسواخي وسالك
 قائلا لمن انت والى اين تذهب ولين هذا الذي قدامك . ١٨ تقول لعبدك يعقوب . هو هدية
 مرسله لسيدي عيسو . وما هو ايضا وراي . ١٩ وامر ايضا الثاني والثالث وجميع السائرين
 وراي القطعان قائلا يمثل هذا الكلام تكلمون عيسو حينما تجدونه . ٢٠ وتقولون هو ذا عبدك
 يعقوب ايضا وراي . ٢١ لانه قال استعطف وجهه بالهدية السائرة امامي وبعد ذلك انظر وجهه .

عسى ان يرفع وجهي . ٢١ فاجازت الهدية قدامه . واما هوفيات تلك الليلة في الهلة
 ٢٢ ثم قام في تلك الليلة واخذ امرأتي وجاريتي واولاده الاحد عشر وعبر مخاضة يئوق
 ٢٣ اخذهم واجازهم الوادي واجاز ما كان له . ٢٤ فبقي يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى
 طلوع الفجر . ٢٥ ولما راسه انه لا يقدر عليه ضرب حتى فخذ . فالتخح حتى فخذ يعقوب في
 مصارعته معه . ٢٦ وقال اظنني لانه قد طلع الفجر . فقال لا اظنك ان لم تباركني . ٢٧ فقال
 له ما اسمك . فقال يعقوب ٢٨ فقال لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل . لانك
 جاهدت مع الله والناس وقدرت . ٢٩ وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك . فقال ماذا
 نسأل عن اسمي . وباركه هناك

٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل . قائلا لاني نظرت الله وجهها لوجه ونجيت نفسي .
 ٣١ وشرق له الشمس اذ عبر فنيثيل وهو يتجمع على فخذ . ٣٢ لذلك لا ياكل بنو اسرائيل
 عرق النسا الذي على حتى الفخذ الى هذا اليوم . لانه ضرب حتى فخذ يعقوب على عرق النسا

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ اورفع يعقوب عينيه ونظر واذا عيسو مقبل ومعه اربع مئة رجل . فقيم الاولاد على ليته
وعلى راحيل وعلى الجاريمين ٢٠ ووضع الجاريمين واولادها اولاداً وليته واولادها وراحم
ويوسف احياناً ٢١ واما هو فاجتاز قدامهم وسجد الى الارض سبع مرات حتى اقترب الى اخيه
٢ فركس عيسو للقاتو وعانته ووقع على عنقه وقبلة وركبا

٣ ثم رفع عينيه وابصر النساء والاولاد وقال ما هؤلاء منك . فقال الاولاد الذين اسم الله
٤ هم على عبدك ٥ فاقتربت الجاريمان ها واولادها وسجدتا ٦ ثم اقتربت ليته ايضاً واولادها
وسجدوا وسجد ذلك القرب يوسف وراحم وسجداه فقال ماذا منك كل هذا الجيش الذي
صادفته . فقال لاجد نعمة في عيني سيدي ٧ فقال عيسو لي كثير . يا اخي ليكن لك الذي لك .
٨ فقال يعقوب لان وجدت نعمة في عينيك تاخذ هدية من يدي . لاني رايت وجهك كما
يرى وجه الله فرضيت علي ٩ اخذ بركتي التي اتي بها اليك . لان الله قد اتم علي واهلك
شيء ١٠ واخ عليه فاخذ

١١ ثم قال لرحل ونذهب واذهب انا قدامك ١٢ فقال له سيدي عالم ان الاولاد رخصة
والنعيم والشر التي عندي مرضعة . فان استكدرها يوماً واحداً ماتت كل النعم ١٣ ليجتز سيدي
قدام عبدي . وانا استاق على يدي في اثر الاملاك التي قدامي وفي اثر الاولاد حتى اسمي الى سيدي
الى سميره ١٤ فقال عيسو اترك عندك من القوم الذين معي . فقال لماذا . دعني اجد نعمة في
عيني سيدي ١٥ فرجع عيسو ذلك اليوم في طريقه الى سمير

١٦ واما يعقوب فارحل الى سكوت . وبقي لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات . لذلك دعا
اسم المكان سكوت ١٧ ثم اتى يعقوب سالماً الى مدينة شكيم التي في ارض كنعان . حين جاء
من فدان ارام . وتزل امام المدينة ١٨ وابتاع قطعة المحفل التي نصب فيها خيمته من يد بني
حمور الي شكيم بثمن قسيطة ٢٠ واقام هناك مذبحاً ودعا اهل اله اسرائيل

الاصحاح الرابع والثلاثون

١ وخرجت دينة ابنة ليته التي ولدتها ليعقوب لتتنظر بنات الارض ٢ فمراها شكيم بن حمور
الحموي رئيس الارض واخذها واضطجع معها واذاها ٣ وتعلمت نفسه بدينة ابنة يعقوب
واحب الفتاة ولاطف الفتاة ٤ فكلم شكيم حمور اياه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجة . وسمع
يعقوب انه تجس دينة ابنته . واما بنوه فكانوا مع مواشيه في المحفل . فسكت يعقوب حتى جاءوا
٦ فخرج حمور ابو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه ٧ واتى بنو يعقوب من المحفل حين سمعوا .
وغضب الرجال واغتاضوا جداً لانه صنع قباحة في اسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب . وركبا

١٠. وبتكلم حمور ١٠٠ قائلاً شكيم ابني قد تعلقت نفةً بابتكلم. اعطوه اياها زوجة .
١١. وصاهرونا . تعطوننا بناتكم وناخذون لكم بناتنا . ١٠. وتسكون معنا وتكون الارض قد انكم .
اسكنوا وانجروا فيها وتلكوا بها ١١. ثم قال شكيم لابيها ولاخبرها دعولي اجد نعة في ايجتكم .
فوالدي قولون لي اعطي ١٢. كثيراً علي جداً مهراً وعطية . فاعطي كما قولون لي . واعطوني
الفتاة زوجة

١٢. فاجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اياه بمكر وتكلموا . لانه كان قد نجس دينه اخيم .
١٤. فقالوا لما لا نستطيع ان نفعل هذا الامر ان نمطي اخنا لرجل الغلف . لانه عار لنا .
١٥. غير اننا بهنا نواتيم . ان صرتم مثلنا بجنتكم كل ذكر ١٦. تعطيك بناتنا وناخذ لنا بناتكم
ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً ١٧. وان لم تسمعوا لنا ان تختنوا بناخذ ابنتنا ونمضي .
١٨. فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور ١٩. ولم يباخر الغلام ان يفعل الامر .
لانه كان مسروراً بابنة يعقوب . وكان اكرم جميع بيت ابيوه ٢٠. فاتي حمور وشكيم ابنة الى باب
مدينتها وكلما اهل مدينتها قائلين . ٢١. هؤلاء القوم مسالمون لنا . فليسكنوا في الارض ويحجروا
فيها . وهوذا الارض واسعة الطرفين امامهم . ناخذ لنا بناتهم زوجات وتعطيهم بناتنا ٢٢. غير
انه حينما فقط يواتينا القوم على السكن معنا ليصير شعباً واحداً . نجفنا كل ذكر كما هم مخزونون .
٢٣. ألا تكون مواشيتهم ومقتناتهم وكل جهاتهم لنا . نواتيم فقط فيسكون معنا ٢٤. فسمع لحمور
وشكيم ابني جميع المخارجين من باب المدينة . واجتنت كل ذكر . كل المخارجين من باب المدينة
٢٥. فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ان ابني يعقوب شمعون ولاوي اخوي دينه
اخذوا كل واحد سيفه واتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ٢٦. وقتلا حمور وشكيم ابنة بجد
السيف . واخذوا دينه من بيت شكيم وخرجا ٢٧. ثم اتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة .
لانهم تجسوا اخيم ٢٨. فغضبهم وقرمهم وحبرمهم وكل ما في المدينة وما في الحقل اخذوه ٢٩. وسبوا
ونهبوا كل ثروهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت . ٣٠. فقال يعقوب لشمعون
ولاوي كدرتماني بتكربها اياي عند سكان الارض الكنعانيين والفريزيين وانا نفر قليل .
فيجتمعون علي وبضربوني فايد انا وبيني ٣١. فقالا انظير زانيتي يفعل باختنا

الاصحاح الخامس والثلاثون

١. ثم قال الله ليعقوب ثم اصعد الى بيت ايل واقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر
لك حين هربت من وجه عينواخيك ٢. فقال يعقوب لبيته ولكنك من كان منه اعزولوا
الآفة الغربية التي بينكم وتطهروا وابدلوا ثيابكم ٣. ولنم ونصعد الى بيت ايل . فاصنع هناك
مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه ٤. فاعطوا

يعقوب كل الآلهة الغربية التي في أيديهم والاقراط التي في آذانهم . فطمرها يعقوب تحت
البطيخة التي عند شيخكم

٥ ثم رحلوا . وكان خوف الله على المدن التي حولهم . فلم يسمعوا وزراء بني يعقوب في بني
يعقوب الى لوز التي في ارض كنعان وهي بيت ايل . هو وجميع القوم الذين معه ٧٥ . وبقي هناك
مدججا ودعا المكان ايل بيت ايل . لانه هناك ظهر له الله حين مر به من وجه اخوته ٨ . وماتت
دבורة مرضعة رقيقة . ودُفنت تحت بيت ايل تحت البلوطة . فدعا اسمها الذين ياكوت

٩ . وظهر الله ليعقوب ايضا حين جاء من فدان ارام وبأركه ١٠ . وقال له الله اسمك
يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل . فدعا اسمه اسرائيل ١١ . اوقل

له الله انا الله القدير . اتمر واكثر . امة وجماعة امر تكون منك . وملوك سخرجون من
صلبك ١٢ . والارض التي اعطيت ابراهيم واسحق لك اعطيها . ولنسلك من بعدك اعطي

الارض ١٣ . ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه ١٤ . فنصب يعقوب عمودا في المكان
الذي فيه تكلم معه عمودا من حجر . وسكب عليه سكيا وصب عليه زيتا ١٥ . ودعا يعقوب
اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت ايل

١٦ . ثم رحلوا من بيت ايل . ولما كان مسافة من الارض بعد حبي ياتوا الى افراة وولدت
راخيل وتعرث ولادها ١٧ . وحدث حين تعرث ولادها ان القابلة قالت لها لانها في لان

هذا ايضا ابن لك ١٨ . وكان عند خروج نفسها لانها ماتت انها دعته اسمته بن اولي . واما
ابوة فدعاها بنيامين ١٩ . فانما راخيل ودُفنت في طريق افراة التي هي بيت لحم ٢٠ . فنصب

يعقوب عمودا على قبرها . وهو عمود قبر راخيل الى اليوم

٢١ . ثم رحل اسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر ٢٢ . وحدث اذا كان اسرائيل ساكنا
في تلك الارض ان راوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية ايبو . وسمع اسرائيل

وكان بنو يعقوب اثني عشر ٢٣ بنو ليئة راوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا وبشاكرا
وزبولون ٢٤ . وابنا راخيل يوسف وبنيامين ٢٥ . وابنا بلهة جارية راخيل دان ونفثالي ٢٦ .

٢٧ . وبنوا ليفة جارية ليئة جاد واسير . هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان ارام
٢٧ . وجاء يعقوب الى اسحق ايبو الى مراقرية اربع التي هي حبرون . حيث تقرب ابراهيم

واسحق ٢٨ . وكانت ايام اسحق مئة وثمانين سنة ٢٩ . فاسلم اسحق روحه ومات وانضم الى
قومه شيما وشبعان اراما . ودفنه عيسو ويعقوب ابناه

الاصحاح السادس والثلاثون

١ وهذه من اليد عيسر الذي هو ادرم ٢ . اخذ عيسو نساء ٣ من بنات كنعان . علا بنت

١٠ ابن الحثي واهوليامة بنت عني بنت صبغون الحوي. وبنمة بنت اسمعيل اخت نابوت.
 ١١ فولدت علا لعيسو اليفاز. وولدت بنمة رعوثيل. وولدت اهوليامة يعوش وبعلام
 وقورح. هولاء بنو عيسو الذين ولدوا له في ارض كنعان
 ١٢ ثم اخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيتو ومراشبه وكل ما يملكه وكل مقتناه
 الذي اقتنى في ارض كنعان ومضى الى ارض اخرى من وجه يعقوب اخيه. لان املاكها
 كانت كثيرة على السكى معا ولم تستطع ارض غربتها ان تحملها من اجل مواشيتها.
 ١٣ فسكن عيسو في جبل سعير. وعيسو هو ادم
 ١٤ وهذه مواليد عيسو ابني ادم في جبل سعير. هذه ابناء بني عيسو. اليفاز ابن علا امرأة
 عيسو ورعوثيل ابن بنمة امرأة عيسو. وكان بنو اليفاز تيمان واومار وصفقا وجعثام وقنار.
 ١٥ وكانت تمناع سرية لاليفاز بن عيسو فولدت لاليفاز عماليق. هولاء بنو علا امرأة عيسو.
 ١٦ وهولاء بنو رعوثيل. نحث وزارح وشمة ومزة. هولاء كانوا بني بنمة امرأة عيسو. وهولاء
 كانوا بني اهوليامة بنت عني بنت صبغون امرأة عيسو. فولدت لعيسو يعوش وبعلام وقورح
 ١٧ هولاء امراء بني عيسو. بنو اليفاز بكر عيسو امير تيمان وامير اومار وامير صفو وامير
 قنار. وامير قورح وامير جعثام وامير عماليق. هولاء امراء اليفاز في ارض ادم. هولاء
 بنو علا. ١٨ وهولاء بنو رعوثيل بن عيسو. امير نحث وامير زارح وامير شمة وامير مزة. هولاء
 امراء رعوثيل في ارض ادم. هولاء بنو بنمة امرأة عيسو. ١٩ وهولاء بنو اهوليامة امرأة
 عيسو. امير يعوش وامير بعلام وامير قورح. هولاء امراء اهوليامة بنت عني امرأة عيسو.
 ٢٠ هولاء بنو عيسو الذي هو ادم وهولاء امراؤه
 ٢١ هولاء بنو سعير الحوري سكان الارض. لوطان وشوبال وصبغون وعني ٢٢ وديشون
 وابصر وديشان. هولاء امراء الحوريين بنو سعير في ارض ادم. ٢٣ وكان ابنا لوطان حوري
 وهيام. وكانت نفاع اخت لوطان. ٢٤ وهولاء بنو شوبال علوان ومناحة وعييال وشفق
 وابونام. ٢٥ وهذان ابنا صبغون آية وعني. هذا هو عني الذي وجد الجمام في البرية اذ كان
 يرعى حمير صبغون ابيه. ٢٦ وهذا ابن عني ديشون. واهوليامة هي بنت عني. ٢٧ وهولاء بنو
 ديشان حدان واشبان وثيران وكران. ٢٨ هولاء بنو ابصر بلهان وزععان وعقان. ٢٩ هذان
 ابنا ديشان عوض واران. ٣٠ هولاء امراء الحوريين. امير لوطان وامير شوبال وامير
 صبغون وامير عني. ٣١ وامير ديشون وامير ابصر وامير ديشان. هولاء امراء الحوريين
 وامراءهم في ارض سعير
 ٣٢ وهولاء هم الملوك الذين ملكوا في ارض ادم قبلما ملك ملك لبني اسرائيل. ٣٣ ملك

في ادمم بالع بن يعوز. وكان اسم مدينتي ذنبا بة ٢٢ ومات بالع فملك مكانه يوباب بن زارح
 من بصره ٢٤ ومات يوباب فملك مكانه حوشام من ارض التيا ليه ٢٥ ومات حوشام فملك
 مكانه هداد بن بداد الذي كسر مديان في بلاد مواب. وكان اسم مدينتي عويت ٢٥ ومات
 هداد فملك مكانه سلمة من مسريفة ٢٧ ومات سلمة فملك مكانه شاول من رحوبوت النهره
 ٢٨ ومات شاول فملك مكانه بعل حانان بن عيكور ٢٩ ومات بعل حانان بن عيكور فملك
 مكانه هدار. وكان اسم مدينتي فاعور. واسم امرأتها جوطيل بنت مطرد بنت ماء ذهب
 ٤٠ وهذه اسما امرء عيسو حسب قبائلهم واماكنهم باسمهم . امير تماع وامير علوة
 وامير بيت ٤١ وامير اهوليامه وامير ايلة وامير فينون ٤٢ وامير قناز وامير تيات وامير
 مبصار ٤٣ وامير مجد شيل وامير عيرام . هؤلاء امراء ادمم حسب مساكنهم في ارض ملكهم .
 هذا هو عيسو ابو ادمم

الاصحاح السابع والثلاثون

١ . وسكن يعقوب في ارض غرينه ايبو في ارض كنعان ٢ . هذه مواليد يعقوب . يوسف
 اذ كان ابن سبع عشرة سنة كان يرعى مع اخوته الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلثة
 امرأتى ايبو . واتى يوسف بنفسيهم ارددته الى ابيهم ٣ . واما اسرائيل فاحب يوسف اكثر من
 سائر بنيو لانه ابن شيخوخو . فصنع له قميصا ملونا فلما رأى اخوته ان اياهم احبه اكثر من
 جميع اخوته ابغضوه ولم يستطيعوا ان يكلوه بسلام

٥ . وحلم يوسف حلما واخبر اخوته . فازدادوا ايضا بغضا له ٦ . فقال لهم اسمعوا هذا الحلم
 الذي حلتم ٧ . فما نحن حازمون حتما في الحقل . واذا حرمتي قامت وانتصبت فاحاطت
 حوزمكم وسجدت لحزمتي ٨ . فقال له اخوته الملك فملك علينا ملكا ام تسيطر علينا تسلطا .
 وازدادوا ايضا بغضا له من اجل احلامو ومن اجل كلامو ٩ . ثم حلم ايضا حلما آخر وقصه
 على اخوته . فقال اني قد حلتم حلما ايضا واذا الشمس والنمر واحد عشر كوكبا ساجدة
 لي ١٠ . وقصه على ايبو وعلى اخوته . فانتهره ايبو وقال له ما هذا الحلم الذي حلتم . هل فاني
 انا وامك واخوتك لتسجد لك الى الارض ١١ . فحسد اخوته . واما ايبو فحفظ الامر

١٢ . ومضى اخوته ليرعوا غنم ابيهم عند شكيم ١٣ . فقال اسرائيل ليوسف اليس اخوتك
 يرعون عند شكيم . تعال فارسلك اليهم . فقال له هانذا ١٤ . فقال له اذهب انظر سلامة
 اخوتك وسلامة الغنم ورد لي خيرا . فارسله من وطاء حبرون فأتى الى شكيم ١٥ . فوجده
 رجلا واذا هو ضال في الحقل . فسأله الرجل قائلا ماذا انت طلب ١٦ . فقال انا طالب اخوتي .
 اخبرني اين يرعون ١٧ . فقال الرجل قد ارتحلوا من هنا . لاني سمعتم يقولون لنذهب الى

دوثان. فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في دوثان
 ١٨ فلما ابصروه من بعيد قبلوا اقرب اليهم استمالوا له ليمسوه ١٩ فقال بعضهم لبعض
 هوذا هذا صاحب الاحلام قادم ٢٠ فالآن هلم نقتله ونطرحه في الآبار ونقول وحش
 ردي لا آكله. فنرى ماذا تكون احلامه ٢١ فسمع راويين وانقلوه من ايديهم. وقال لا نقتله
 ٢٢ وقال لم راويين لا تسفكوا دماً. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا اليه يداً.
 لكي ينقله من ايديهم ليرده الى ابيه ٢٣ فكان لما جاء يوسف الى اخوته اثم خلعوا عن
 يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه ٢٤ واخذوه وطرحوه في البئر. واما البئر فكانت
 فارغة ليس فيها ماء

٢٥ ثم جلسوا لياكلوا طعاماً. فرفعوا عيونهم ونظروا واذا عاقلة اسمعيليين مقبله من جلعاد
 وجمالم حاملة كبرياء ولساناً ولادنا ذاهبين ليبتلوا بها الى مصر ٢٦ فقال يهوذا لاخوته ما
 الفائدة ان تقتل اخانا ونحفي دمه ٢٧ تعالوا نبيعهم للاسمعيليين ولا تكن ايدينا عليه لان اخوتنا
 ولحمنا. فسمع له اخوته ٢٨ واجاز رجال مديانيون تجار فصحبوا يوسف واصعدوه من
 البئر واعلوا يوسف للاسمعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف الى مصر ٢٩ ورجع
 راويين الى البئر واذا يوسف ليس في البئر. فمزق ثيابه ٣٠ ثم رجع الى اخوته وقال الولد
 ليس موجوداً. وانا الى ابي اذهب

٣١ فاخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغسوا القميص في الدم ٣٢ وارسلوا
 القميص الملون واحضروه الى ابيهم. وقالوا وجدنا هذا. حتى اقميص ابنك هوام لا نغفقه
 وقال قميص ابني. وحش ردي لا آكله. انترس يوسف انتراسا ٣٤ فمزق يعقوب ثيابه ووضع
 مسحا على حقويه وناح على ابنيه اياماً كثيرة ٣٥ فقام جميع بنوه وجميع بناتوه ليعزوه. فاني ان
 يتعزى وقال الي انزل الى ابني نائماً الى الهاوية. وبكى عليه ابيه

٣٦ واما المديانيون فباعوه في مصر لفظيفار خصي فرعون رئيس الشرط

الاصحاح الثامن والثلاثون

١ وحدث في ذلك الزمان ان يهوذا نزل من عند اخوته وقال الى رجل عدلاني اسمي
 حبره ٢ ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع. فاخذها ودخل عليها ٣ فحبلت
 وولدت ابناً ودعا اسمه غيراً ٤ ثم حبلت ايضاً وولدت ابناً ودعت اسمه اوثان ٥ ثم عادت
 فولدت ايضاً ابناً ودعت اسمه شيلة. وكان في كروب حين ولدت

٦ واخذ يهوذا زوجة ليعير بكره اسمها ثامار ٧ وكان عبر بكر يهوذا شريراً في عيني الرب.
 فاما انه الرب ٨ فقال يهوذا لاوثان ادخل على امرأة اخيك وتزوج بها واقم نسلاً لاختك.

١٠ فعلم أوثان ان التسل لا يكون له . فكان اذا دخل على امرأة اخيه انه اقتسد على الارض لكجلا
يعطي تسلا لانيه . ١٠٠ فصح في عيني الرب ما عمله . فقامت ايضا ١١٠ فقال يهوذا القمار كنو
اقصدي ارملة في بيت ايكر حتى يكون بيتك ابي . لانه قال لعلة يموت هو ايضا كاخوتي .
فمضت ثمار وقعدت في بيت ابيها .

١٢ ولما طال الزمان ماتت ابيها من اخي يهوذا . ثم تعزى يهوذا فصعد الى بيت ابيه
الى ثمة هو وحده صاحبه العبداني . و١٣ لما سمعت ثمار وقيل لها هوذا جوك صاعده الي ثمة
ليجزي غنمك . فخلعت عنها ثياب لرميها وتغطت برفيع وتلفت وجلست في بيت يهوذا
على طريق ثمة . لانها رأت ان ثمة قد كبر وفي لم تحط له زوجة . ١٤ فظنرها يهوذا وحسبها
زانية . لانها كانت قد غطت وجهها بالمال اليها على الطريق وقال ها هي ادخل عليك . لانه
لم يعلم انها كنو . فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي ١٥ فقال الي ارميل جدي معزي من
الغنم . فقالت هل تعطيني رهنا حتى ترسله الي . فقال ما الرهن الذي اعطيك . فقالت خاتمك
وعصابتك وعصاك التي في يدك فاعملها ودخل عليها . فخلت منه ١٦ ثم قامت ومضت
وخلعت عنها برفها ولبست ثياب ثمة .

٢٠ فارسل يهوذا جدي المعزي يد صاحبه العبداني لياخذ الزمن من يد المرأة . فلم يجدها .
٢١ فسأل اهل مكانها فاثبتوا ان الزانية التي كانت في عينام على الطريق . فقالوا لم تكن ههنا
زانية ٢٢ فرجع الي يهوذا وقال لم اجدها . فاجل المكان ايضا قالوا لم تكن ههنا زانية ٢٣ فقل
يهوذا لياخذ لنفسها كالا نصير امامه الي قد ارسلت هذا الجدي وانت لم تجدها .

٢٤ ولما كان نحو ثلثة اشهر اشهر يهوذا وقيل له قد زنت ثمار كنك . وها هي حلي ايضا
من الزنا . فقال يهوذا اخرجوها فحرقني ٢٥ اياي فلما اخرجت ارسلت الي جميع قائله من
الرجل الذي هذه له انا حلي . وقالت حق لمن الخاتم والمصاصة والمصا هذه ٢٦ ففقتها
يهوذا وقال في ابر في لاني لم اعطها كشيء ابي . فلم يعد يعرفها ايضا .

٢٧ وفي وقت ولادها اذا في بطنها ثمان ٢٨ وكان في ولادها ان احدها اخرج يد
فاخذت القابلة وربطت على يده قرمزا لانه هذا خرج الاول ٢٩ ولكن حين رد يده اذا
اخوه قد خرج . فقالت لماذا اذا انعمت . عليك الخمام . فدعي اسمك فارض ٣٠ وبعد ذلك خرج
اخوه الذي على يده القرمز . فدعي اسمه زارح .

الاصحاح التاسع والثلاثون

١ واما يوسف فانزل الى مصر واشتره فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل
مصري من يد الاسمعييليين الذين انزلوه الى هناك ٢ وكان الرب مع يوسف فكان رجلا

١ ناجحا. وكان في بيت سيده المصري
 ٢ ورأى سيده ان الرب معه وان كل ما يصنع كان الرب معه. فوجد يوسف نعمة
 في عينيه وخدمه. فوكله على بيتو ودفع اليه كل ما كان له. وكان من حين واكله على بيتو
 وعلى كل ما كان له ان الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف. وكانت بركة الرب على كل
 ما كان له في البيت ولم يحفل به فترك كل ما كان له يوسف. ولم يكن معه يعرف
 شيئا الا الخبز الذي ياكل. وكان يوسف حسن الصورة وحسن المظهر

٣ وحدث بعد هذه الامور ان امرأة سيد يوسف رفعت عينها الي يوسف وقالت اضطلع بي.
 ٤ فأبى وقال لامرأة سيده هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ماله قد دفعه الي
 يدي ٥ ليس هو في هذا البيت اعظم مني. ولم يملك حتى خيما غيرك لانك امرانة فكيف
 اصنع هذا الشر العظيم واخطي الى الله ١٠٠ وكان اذا كتبت يوسف يوما فيوما انه لم يسمع
 لما ان يضطلع بجانها ليكون معها

١١ ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليحعل عمله ولم يكن انسان من اهل البيت
 هناك في البيت ١٢٠ فامسكته بثوب قائلة اضطلع بي فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الي
 خارج ١٢٥ وكان لما رأت انه ترك ثوبه في يدها وهرب الى الخارج ١٤ انها ناديت اهل بيته
 وكنتم قائلة انظروا. قد جاء البنا برجل عبراني لينا عينا. دخل الي اضطلع بي فصرخت
 بصوت عظيم ١٥ وكان لما سمع ابي رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجاني وهرب وخرج
 الي خارج ١٦ فوضعت ثوبه بجانها حتى جاء سيده الي بيتوه ١٧ فكلته مثل هذا الكلام
 قائلة دخل الي المعبد العبراني الذي جمع به البنا ليداعبي ١٨ وكان لما رفعت صوتي
 وصرخت انه ترك ثوبه بجاني وهرب الي خارج

١٩ فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك
 ان غضبه حي ٢٠ فاخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان اسرى الملك
 محبوسين فيه. وكان هناك في بيت السجن

٢١ ولكن الرب كان مع يوسف وبسط اليه لطفًا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن.
 ٢٢ فدفع رئيس بيت السجن الي يد يوسف جميع الاسرى الذين في بيت السجن. وكل ما كانوا
 يعملون هناك كان هو العامل ٢٣ ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئا البتة بما في يده.
 لان الرب كان معه. ومهما صنع كان الرب ينجحه

الاصحاح الاربعون

١ وحدث بعد هذه الامور ان ساقى ملك مصر والحجاز اذ بناه الى سيدها ملك مصر.

٢٠ فخط فرعون على حشد رؤساء السقاة رؤساء الخمازين ٢٠ فوضعها في حبس بيت رئيس الشرايط في بيت السجن الذي كان يوسف محبوساً فيه ٢١ فلما رأى رؤساء الشرايط يوسف عندها تحدثا بمرارة في السجن

٢٢ وقالوا كلاماً خاطئاً في ذلك الوقت كل واحد كل واحد بحسب ما صنع له ٢٣ ما في ملك مصر وخياله الخوف من في بيت السجن لا يخلو من سجن السقاة في المتاح وظرفها وإذا ما جعلت ٢٤ فقال يوسف لرئيس السقاة بعد في حبيبي من سيد قائلًا ١٣١ وجاهدا مكنتك في اليوم ٢٥ فقال له قائلًا عليك رؤس من يمدد ٢٦ فقال لما يوسف ألبست له العباين فصاعاً علي

٢٧ فلبس رئيس السقاة حلماً على يوسف وقال له كتب في حلمي إذا أكرمة أمامي ٢٨ وفي الكرمة ثلثة قصبان ٢٩ وفي إذا فرحت طلعت قصبان ٣٠ عناقيد طابعتا ٣١ وكان يوسف كل فرعون في يدي فاخذت القصب ووضعت في كأس فرعون فأعطى الكأس في يد فرعون ٣٢ فقبلي له يوسف هذا نصيرة ٣٣ القصب الذي في كأسك في ثلثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك ٣٤ فغمطني كأس فرعون في يدي كالماء والاول حين كتبت سابق ٣٥ وإذا إذا شكرتني عندك حينما يصور لك صبي اسمع اليه اسمك وتولد كرتي لفرعون ويخرجني من هذا السجن ٣٦ لأنني قد سرقت من الزرع القصبانين ٣٧ وبما ليضام العمل في السجن وضعتني في السجن

٣٨ فلما رأى رئيس الخمازين انه غير جيد أقام ليوسف كتب أنا أيضاً في حلمي وإذا ثلثة سلال حواري على راسي ٣٩ وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخماز والطيور تأكله من السل عن راسي ٤٠ فأجاب يوسف وقال هذا نصيرة ٤١ الثلثة السلال هي ثلثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك ويطلقك على خشية وتاكل الطيور لحمك عنك

٤٢ فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيد و رفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخمازين بين عبيد ٤٣ ورد رئيس السقاة إلى سفيو ٤٤ فأعطى الكأس في يد فرعون ٤٥ وأما رئيس الخمازين فقلقه كما غير لما يوسف ٤٦ ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نصيرة

الإصحاح الحادي والأربعون

١ وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلمًا ٢ وإذا هو واقف عند النهر ٣ وهوذا سبع بقرات طامعة من النهر حسنة المنظر ومعبدة اللحم ٤ فارتعت في روضة ٥ ثم هوذا

سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قمحة المنظر ورقيقة اللحم. فوقت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر، فأكلت البقرات السمينة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة. واستيقظ فرعون

١٠ ثم نام لحلم ثانية. وهذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة ١٠ ثم هذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها ٢٠ فأكلت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة المثلثة. واستيقظ فرعون وإذا هو حلم ١٠ وكان في الصباح أن تفسد البقرات. فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه. فلم يكن من يعبره لفرعون

١١ ثم كلم رئيس السقاء فرعون قائلاً أنا أتذكر اليوم خطاياي ١٠ فرعون سمح على عبدي فجلني في حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين ١١ فحلنا حلماً في ليلة واحدة أنا وهو. حللنا كل واحد بحسب تمييز حلمه ١٢ وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصنا عليه. فعبّر لنا حللنا. غير لكل واحد بحسب حلمه ١٢ وكما عبّر لنا دكنا حدث. رد لي أنا إلى منامي وإما هو مغلقة

١٤ فأرسل فرعون ودعا يوسف. فأسرعوا يوم من السجن. فحلحوا وأبدل ثيابهم ودخلوا على فرعون ١٥ فقال فرعون ليوسف حللت حلمي وليس من يعبره. وأنا سمعت عنك قولاً أنك تسمع أحلاماً لتعبها ١٦ فأجاب يوسف فرعون قائلاً ليس لي. الله يجب بسلامة فرعون ١٧ فقال فرعون ليوسف التي كنت في حلمي واقفاً على شاطئ النهر ١٨ وهذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة. فارتعت في روضة ١٩ ثم هذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبحة الصورة جداً ورقيقة اللحم. لم أنظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة ٢٠ فأكلت البقرات الرقيقة والسمينة البقرات السبع الأولى السمينة ٢١ فدخلت أجوافها ولم يعلم أنها دخلت في أجوافها. فكان منظرها فجيهاً كما في الأول. واستيقظت ٢٢ ثم رأيت في حلمي وهذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممتلئة وحسنة ٢٣ ثم هذا سبع سنابل يابسة رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها ٢٤ فابتلع السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة. فقلت للسحرة ولم يكن من يجبرني

٢٥ فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد. قد أخبر الله فرعون بما هو صانع ٢٦ البقرات السبع الحسنة في سبع سنين. والسنابل السبع الحسنة في سبع سنين. هو حلم واحد ٢٧ والبقرات السبع الرقيقة السمينة التي طلعت وراءها في سبع سنين. والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً ٢٨ هو الأمر الذي كنت يوسف فرعون. قد أظهر الله

لفرعون ما هو صانع ٢١٠ هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل ارض مصر ٢٠٠ ثم تقوم
بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشبع في ارض مصر ويتلف المحصول الارض ٢١٠ ولا يعرف
الشبع في الارض من اجل ذلك الجوع بعده. لانه يكون شديد اجداً ٢٢٠. واما عن تكرار
الحلم على فرعون مرتين فإلآن الامر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه
٢٢ فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على ارض مصر ٢٤٠ يفعل فرعون
فيوكل نظاراً على الارض وياخذ خمس غلة ارض مصر في سبع سني الشبع ٢٥٠ فيجمعون جميع
طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحا تحت يد فرعون طعاماً في المدن ويحفظونه ٥٠
٢٦ فيكون الطعام ذخيرة للارض لسبع سني الجوع التي تكون في ارض مصر. فلا تنفرض
الارض بالجوع

٢٧ فحسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده ٢٨٠ فقال فرعون لعبيده هل نجد
مثل هذا رجلاً فيو روح الله ٢٩٠ ثم قال فرعون ليوسف بعدما اعلمك الله كل هذا ليس بصيراً
وحكيماً مثلك ٤٠٠ انت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي. الا ان الكرمي اكون فيو
اعظم منك ٤١٠ ثم قال فرعون ليوسف انظر. قد جعلتك على كل ارض مصر ٤٢٠ وخلص فرعون
خائمه من يده وجعله في يد يوسف. والبسة ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه ٤٣٠ واركبه
في مركبته الثانية ونادوا امامه اركبوا. وجعله على كل ارض مصر ٤٤٠ وقال فرعون ليوسف
انا فرعون. فبدونك لا يرفع انسان يده ولا رجلاه في كل ارض مصر

٤٥ ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فصنع. واعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون
زوجة. فخرج يوسف على ارض مصر ٤٦٠ وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون
ملك مصر. فخرج يوسف من لندن فرعون واجتاز في كل ارض مصر
٤٧ واثمرت الارض في سبع سني الشبع مجزماً ٤٨٠ فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في
ارض مصر وجعل طعاماً في المدن. طعام حفل المدينة الذي حو اليها جعله فيها ٤٩٠ وخرن
يوسف قمحا كرم البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد اذا لم يكن له عدد
٥٠ ووولد ليوسف ابدان قبل ان تأتي سنة الجوع. ولديهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن
اون ٥١٠ ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلاً لان الله انساني كل تعبي وكل بيت الي ٥٢٠ ودعا
اسم الثاني افرام قائلاً لان الله جعلني مثراً في ارض مذلتني

٥٣ ثم كهلت سبع سني الشبع الذي كان في ارض مصر ٥٤٠ وابتدأت سبع سني الجوع ثاني
كما قال يوسف. فكان جوع في جميع البلدان. واما جميع ارض مصر فكان فيها خبز ٥٥٠ ولما
جاعت جميع ارض مصر وصرخ الشعب الى فرعون لاجل الخبز قال فرعون لكل المصريين

اذهبوا الى يوسف . والذي يقول لكم افعلوا ٦٠ . وكان الجوع على كل وجه الارض . ونفخ
يوسف جميع ما فيه طعام و باع للمصريين . واشتد الجوع في ارض مصر ٧٠ . وجاءت كل
الارض الى مصر الى يوسف لشترى قمحا . لان الجوع كان شديدا في كل الارض

الاصحاح الثاني والاربعون

١ فلما رأى يعقوب انه يوجد قمح في مصر قال يعقوب لبنوه لماذا تنظرون بعضهم الى
بعض ٢ . وقال الي قد سمعت انه يوجد قمح في مصر . انزلوا الي هناك واشتروا لنا من هناك
لتغيا ولا تموت ٣ . فتدل عشرة من اخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر ٤ . واما بنيامين اخو
يوسف فلم يرسله يعقوب مع اخوته . لانه قال لعله تصيبه اذية

٥ . فاتي بنو اسرائيل ليشتروا بين الذين اتوا . لان الجوع كان في ارض كنعان ٦ . وكان
يوسف هو المسلط على الارض وهو البائع لكل شعب الارض . فاتي اخوة يوسف وسجدوا له
بوجوههم الى الارض ٧ . ولما نظر يوسف اخوته عرفهم . فتنكر لهم وتكلم معهم مجفا . وقال لهم من
اين جئتم . فقالوا من ارض كنعان لشترى طعاما ٨ . وعرف يوسف اخوته . واما هم فلم يعرفوه
٩ . فتذكر يوسف الاحلام التي حلم عنهم وقال لهم جواسيس انتم . لتروا عودة الارض جئتم .
١٠ . فقالوا له لا يا سيدي . بل عيدك جاء واليشتروا طعاما ١١ . نحن جميعنا بنو رجل واحد .
نحن امنا ١٢ . ليس عيدك جواسيس ١٣ . فقال لهم كلا بل لتروا عودة الارض جئتم ١٤ . فقالوا
عيدك اثنا عشر اخا . نحن بنو رجل واحد في ارض كنعان . وهوذا الصغير عند ابنا اليوم
والواحد مفود ١٤ . فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلآ جواسيس انتم ١٥ . بهذا اثبتون .
وحياة فرعون لا فخرجون من هنا الا بجمي . اخيكم الصغير الي هنا ١٦ . ارسلوا منكم واحدا
ليجي باخيكم وانتم تحبسون . فيستغن كلامكم هل عندكم صدق . والا فوحياة فرعون انكم

لجواسيس ١٧ . فجمعهم الي حبس ثلاثة ايام

١٨ ثم قال لهم يوسف في اليوم الثالث افعلوا هذا واحبوا . انا خائف الله ١٩ . ان كنتم امنا
فلجئس اخ واحد منكم في بيت حبسكم وانطلقوا انتم وخذوا قمحا لجامعة بيوتكم ٢٠ . واحضروا
اخيكم الصغير الي . فيستغن كلامكم ولا تموتوا . ففعلوا هكذا ٢١ . وقالوا بعضهم لبعض حقا
اننا مذنبون الي اخينا الذي رأينا ضيقة نفس لما استرحنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه
الضيقة ٢٢ . فاجابهم رؤوبين قائلآ ألم اكلكم قائلآ لا قائموا بالولد وانتم لم تسمعوا . فهو ادمه
بطلب ٢٣ . وهم لم يعلموا ان يوسف فاهم . لان الترجمان كان بينهم ٢٤ . فقول عنهم وبكى ثم
رجع اليهم وكلمهم . واخذ منهم شمعون وقيد امام عيونهم

٢٥ ثم امر يوسف ان تملأ اوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد الي عدله وان يعطوا زاداً

للطريق. فقيل لم هكذا ٢٦ فحملوا قحهم على حبرم ومضوا من هناك ٢٧ فلما فتح احد م عدله
 ليغطي عليهما لحار في المنزل رأى فضة واذا هي في قم عدله ٢٨ فقال لاخوتو ردت فضتي وما
 هي في عدلي. فطارت قلوبهم وارتمدوا بعضهم في بعض قائلين ما هذا الذي صنعه الله بنا
 ٢٩ فجاءوا الى يعقوب ابهم الى ارض كنعان واخبروه بكل ما اصابهم قائلين ٣٠ تكلم
 معنا الرجل سيد الارض بجمنا وحسبنا جواسيس الارض ٣١ فقلنا له نحن امناه. لسنا
 جواسيس ٣٢ نحن اثنا عشر اخا بنو ابينا. الواحد منقود والصغير اليوم عند ابينا في ارض
 كنعان ٣٣ فقال لنا الرجل سيد الارض بهذا اعرف انكم امناه. دعوا اخا واحدا منكم
 عندي وخذوا لمجاعة بيوتكم وانطلقوا. ٣٤ واحضروا اخاكم الصغير الي. فاعرف انكم لسنا
 جواسيس بل انكم امناه. فاعطىكم اخاكم وتجهرون في الارض ٣٥ واذا كانوا يفرغون عدلهم
 اذا صرة فضة كل واحد في عدله. فلما رأوا صرر فضتهم هم وابوم خافوا
 ٣٦ فقال لم يعقوب اعد منقودي الاولاد. يوسف منقود وشمعون منقود وبنيامين تاخذونه.
 صار كل هذا علي ٣٧ وكلم راوبين اباه قائلا اقبل ابني ان لم اجي يو اليك. سلمة يدي وانا
 اردة اليك ٣٨ فقال لا يتدل ابني معكم. لان اخاه قد مات وهو وحده باقي. فلما اصابته
 اذبة في الطريق اني تدمرون فيها تنزلون شيبتي بجزن الى الهاوية

الاصحاح الثالث والاربعون

١ وكان الجوع شديدا في الارض ٢ وحدث لما فرغوا من اكل الفصح الذي جاءوا به من
 مصر ان اباهم قال لم ارجعوا اشتركوا لنا قليلا من الطعام ٣ فكله يهوذا قائلا ان الرجل
 قد اشهد علينا قائلا لا ترون وجهي بدون ان يكون اخوكم معكم ٤ ان كنت ترسل اخانا
 معنا نزل ونشتري لك طعاما ٥ ولكن ان كنت لا ترسله لا نزل. لان الرجل قال لنا
 لا ترون وجهي بدون ان يكون اخوكم معكم
 ٦ فقال اسرائيل لماذا اسأمت الي حتى اخبرتم الرجل ان لكم اخا ايضا ٧ فقالوا ان الرجل
 قد سأل عنا وعن عشيرتنا قائلا هل ابوك حي بعد. هل لكم اخ. فاخبرناه بحسب هذا
 الكلام. هل كنا نعلم انه يقول انزلوا باخوكم
 ٨ وقال يهوذا لاسرائيل ابيو ارسل الغلام معي لتقوم ونذهب ونجيا ولا نموت نحن وانت
 وابولادنا جميعا ٩ انا اخضته. من يدي تطلبه. ان لم اجي يو اليك وارقت قدمك اصر
 مذنبيا اليك كل الايام ١٠ لاننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الان مرتين
 ١١ فقال لم اسرائيل ابوم ان كان هكذا فافعلوا هذا. خذوا من الفرح حتى الارض في
 ارضيتكم واتروا الرجل هدية. قليلا من البلسان وقليلا من العسل وكثيرا ولادنا وفتنا

ولوزاء ١٢ وخذوا فضة أخرى في إرادتهم . والنفضة المردودة في أفواه عدالكم رذوها في إباديكم .
لعله كان سهواً ١٣ وخذوا اخاكم وقوموا ارجعوا الى الرجل ١٤ والله القدير يعطيكم رحمة
امام الرجل حتى يطلق لكم اخاكم الآخر وبنيامين . وأنا اذا عدت الاولاد عدتهم

١٥ فاخذ الرجال هذه الهدية وخذوا ضعف النفضة في إبادهم وبنيامين وقاموا ونزلوا
الى مصر ووقفوا امام يوسف ١٦ فلما رأى يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيتنا ادخل
الرجال الى البيت واذهب ذبيحة وخبز . لان الرجال ياكلون مخي عند الظهر ١٧ ففعل
الرجل كما قال يوسف . وادخل الرجل الرجال الى بيت يوسف

١٨ فخاف الرجال اذ ادخلوا الى بيت يوسف . وقالوا لسبب النفضة التي رجعت اولاً في
عدالتنا نحن قد ادخلنا اليهم علينا ويقع بنا وياخذنا عبيداً وحميرنا ١٩ ففقدتموا الى الرجل
الذي على بيت يوسف واكلوه في باب البيت . ٢٠ وقالوا استمع يا سيدي . اننا قد نزلنا اولاً
لنشترى طعاماً . ٢١ وكان لما اتينا الى المنزل اننا فتحنا عدالتنا واذا فضة كل واحد في قم
عدلو ففستنا بوزنها . فقد ردنا ما في ابادينا ٢٢ ونزلنا فضة أخرى في ابادنا لنشترى
طعاماً . لانعلم من وضع فستنا في عدالتنا

٢٣ فقال سلام لكم . لا تخافوا . الحكم واليه ابيكم اعطاكم كثيراً في عدالكم . فستكم وصلت
الي . ثم اخرج اليهم شعور ٢٤ وادخل الرجل الرجال الى بيت يوسف واعطاهم ما
ليفسلوا ارجلهم واعطى علينا لحميرهم ٢٥ وهياط الهدية الى ان يجيء يوسف عند الظهر .
لاهم سمعوا انهم هناك ياكلون طعاماً

٢٦ فلما جاء يوسف الى البيت احضروا اليه الهدية التي في ابادهم الى البيت وسجدوا له
الى الارض ٢٧ فسأل عن سلامتهم وقال اسألم ابوكم الشيخ الذي قلم عنه . آخي هو بعد .
٢٨ فقالوا عبدك ابونا سالم . هو حي بعد . وخرنا وسجدوا

٢٩ فرفع عينيه ونظر بنيامين اخاه ابن امه وقال أهذا اخوكم الصغير الذي قلم لي عنه .
ثم قال الله ينعم عليك يا ابني . ٣٠ واستعجل يوسف لان احشاءه حنت الى اخيه وطلب
مكاناً ليصلي . فدخل المخدع وبكى هناك

٣١ ثم غسل وجهه وخرجه وتجلد . وقال قدموا طعاماً ٣٢ فقدموا له وحده ولم وحدهم
وللمصريين الآكلين عنده وحدهم . لان المصريين لا يقدر ان ياكلوا طعاماً مع العبرانيين
لانه رجس عند المصريين ٣٣ فجلسوا قدامه البكر بحسب بكرهم والصغير بحسب صفوه .
فبنت الرجال بعضهم الى بعض ٣٤ ورفع حصصاً من قدامه اليهم . فكانت حصص بنيامين
اكثر من حصص جميعهم خمسة اصعاف . وشربوا ورووا معه

الإصحاح الرابع والأربعون

ثم امر الذي على بيته قائلاً املأ عدال الرجال طعاماً حسب ما يطيقون حملة وضع فضة كل واحد في قم عدله ٢٠ وطاسي طاس الفضة تضع في قم عدل الصغير وثمن قهو . فنصل بحسب كلام يوسف الذي تكلم يو ٢٠ فلما اصاب الصبح انصرف الرجال هم وحيرم ٤٠ ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يتعدوا قال يوسف للذي على بيته قم اسع وراء الرجال ومعنى ادركهم فقل لهم لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير ٥٠ أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه . وهو يتفائل يو . اسأتم في ما صنعتم

٦ فادركهم وقال لهم هذا الكلام ٢٠ فقالوا له لماذا يتكلم سيدي مثل هذا الكلام . حاشا لعبيدك ان يفعلوا مثل هذا الامر ٥ هوذا الفضة التي وجدنا في اقواء عدالنا رددناها اليك من ارض كنعان . فكيف نسرق من بيت سيديك فضة او ذهباً ٢٥ الذي يوجد معه من عيدك يموت . ونحن ايضا نكون عبيداً لسيدي ١٠ فقال نعم الان بحسب كلامكم هكذا يكون . الذي يوجد معه يكون لي عبداً . واما انتم فتكونون ابرياء ١١ فاستجلبوا وانزلوا كل واحد عدله الى الارض وفتحوا كل واحد عدله ١٢ ففتش مبتدئا من الكبير حتى انتهى الى الصغير . فوجد الطاس في عدل بنيامين ١٢٥ فمروا قلوبهم وحمل كل واحد على حماله ورجعوا الى المدينة ١٤ فدخل يهوذا واخوته الى بيت يوسف وهو يمد هناك . ووقع امامه على الارض ٥ ١٥ فقال لم يوسف ما هذا الفعل الذي فعلتم . ألم تعلموا ان رجلاً مثلي يتفائل ١٦ . فقال يهوذا ماذا نقول لسيدي . ماذا نتكلم وبماذا نتبرر . الله قد وجدنا عبيدك . ما نحن عبيد لسيدي نحن والذي وجد الطاس في يده جميعاً ١٧ فقال حاشا لي ان افعل هذا . الرجل الذي وجد الطاس في يده هو يكون لي عبداً . واما انتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم

١٨ ثم تقدم اليو يهوذا وقال اسمع يا سيدي . ليتكلم عبيدك كلمة في اذني سيدي . ولا يحم غضبك على عبيدك . لانك مثل فرعون ١٩ سيدي سأل عبيده قائلاً هل لكم اب او اخوة ٢٠ فقلنا لسيدي لنا اب شيخ وابن شيخ وصغير مات اخوه وبقي هو وحده لابو وابوه بجه ٢١ فقلت لعبيدك اتزولوا يو اني فاجعل نظري عليه ٢٢ فقلنا لسيدي لا يقدر الغلام ان يترك اباه . وان ترك اباه يموت ٢٣ فقلت لعبيدك ان لم يتزل اخوك الصغير معكم لا تعودوا تنظرون وجبي ٢٤ فكان لما صعدنا الى عبيدك ابي اتنا اخبرناه بكلام سيدي ٢٥ ثم قال ابونا ارجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام ٢٦ فقلنا لا نقدر ان ننزل . وانما اذا كانت اخوتنا الصغير معنا ننزل . لاننا لا نقدر ان نظروه الرجل واخوتنا الصغير ليس معنا ٢٧ فقال لنا عبيدك ابي انتم تعلمون ان امرأتني ولدت لي اثنين ٢٨ فخرج الواحد من

عندي وقلت انما هرقد انثريس انتراسا . ولم انظره الى الآن ٢١ . فاذا اخذتم هذا ايضا من امام وجهي واصابته اذية فتزليون شيبني بشر الى الهاوية ٢٠ . فالآن متى جئت الى عبدك ابي والغلام ليس معنا ونفسه مرتبطة بنفسه ٢١ يكون متى رأى ان الغلام مفقود انه يموت . فينزّل عبيدك شبة عبدك ايضا مجزى الى الهاوية ٢٢ . لان عبدك ضمن الغلام لابي قائلًا ان لم اجد ابيك اصر مذنبًا الى ابي كل الايام ٢٣ . فالآن لبعثك عبدك عوضًا عن الغلام عبدًا سيدية وبصعد الغلام مع اخوتي ٢٤ . لاني كيف اصعد الى ابي والغلام ليس معي . لئلا انظر الشر الذي يصيب ابي

الاصحاح الخامس والاربعون

١ فلم يستطع يوسف ان يضبط نفسه لدى جميع الواقيين عنده فصرخ اخرجوني كل انسان عني . فلم يقف احد عنده حين عرف يوسف اخوته بنفسه ٢ . فاطلق صوته بالبكاء . فسمع المصريون وسمع بيت فرعون ٣ . وقال يوسف لاختوته انا يوسف . آحي ابي بعد . فلم يستطع اخوته ان يبيحوا لانهم ارتاعوا منه

٤ فقال يوسف لاختوته تقدوا الى . فقدتموا . فقال انا يوسف اخوكم الذي بعتموه الى مصر ٥ . والآن لا تتاسفوا ولا تنظروا لانكم بعتموه الى هنا . لانه لاستبقاء حيوة ارسلني الله قدامكم ٦ . لان الجوع في الارض الآن سنتين . وخمس سنين ايضا لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد ٧ . فقد ارسلني الله قدامكم ليحمل لكم بقية في الارض وليستفي لكم نجاة عظيمة ٨ . فالآن ليس انتم ارسلتموه الى هنا بل الله . وهو قد جعلني ابا لفرعون وسيد لكل بيتو ومنسلطًا على كل ارض مصر ٩ . اسرعوا واصعدوا الى ابي وقولوا له هكذا يقول ابنتك يوسف . قد جعلني الله سيد الكل مصر . انزل الي . لانتف ١٠ . فتسكن في ارض جاسان وتكون قريبًا مني انت وبنوك وبنو بيك وبنوك وبنوك وكل ما لك ١١ . واعولك هناك لانه يكون ايضا خمس سنين جوعًا . لئلا تنقر انت وبيتك وكل ما لك ١٢ . وهوذا عمونكم ترى وعينا اخي بنيامين ان في هو الذي يكتمكم ١٣ . ونخبرون ابي بكل مجدي في مصر وبكل ما رأيتم وتستعجلون وتزولون بالي الى هنا

١٤ ثم وقع على عنق بنيامين اخيه وبكى . وبكى بنيامين على عنقه ١٥ . وقيل جميع اخوته وبكى عليهم . وبعد ذلك تكلم اخوته معه

١٦ وسمع الخبير في بيت فرعون وقيل جاء اخوة يوسف . فحسن في عنق فرعون وفي عيون عبيده ١٧ . فقال فرعون ليوسف قل لاختوتك افعلوا هذا . حملوا دوابكم وانظروا اذهبوا الى ارض كنعان ١٨ . واخذوا اباكم وبنوتكم وتعالوا الي . فاعطيكم خيرات ارض مصر

وتاكلوا دس الارض ١٠٠ فانتم قد امرت . افعلوا هذا . خذوا لكم من ارض مصر عجلات
لاولادكم ونسائكم واحملوا ابائكم وتعالوا ٢٠٠ ولا تخزن عيونكم على اذانكم . لان خيرات جميع
ارض مصر لكم

٢١ ففعل بنو اسرائيل هكذا . واعطاهم يوسف عجلات بحسب امر فرعون . واعطاهم زادا
للطريق ٢٢ . واعطى كل واحد منهم حلل ثياب . واما بنيامين فاعطاه ثلث مئة من
الفضة وخمس حلل ثياب ٢٣ . وارسل لايوه هكذا . عشرة حمير حاملة من خيرات مصر وعشير
انثى حاملة حنطة وخبزاً وطعاماً لايوه لاجل الطريق ٢٤ . ثم صرف اخوته فانطلقوا وقال
لم لا تتفاضبوا في الطريق

٢٥ ثم فصعدوا من مصر وجاءوا الى ارض كنعان الى يعقوب ايهم ٢٦ . واخبروه قائلين
يوسف حي بعد . وهو منسلط على كل ارض مصر . فحمد قلبه لانه لم يصدقهم ٢٧ . ثم كلوه
بكل كلام يوسف الذي كلمهم به . وابصر العجلات التي ارسلها يوسف لحملة . فعاشت روح
يعقوب ايهم ٢٨ . فقال اسرائيل كفى . يوسف ابني حي بعد . اذهب واره قبل ان اموت

الاصحاح السادس والاربعون

١ فارحل اسرائيل وكل ما كان له واتي الى برسيح . وذبح ذبائح لاله ابيه اسمحق ٢٠ . فكلم
الله اسرائيل في رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب . فقال هانذا ٢٠ . فقال انا الله اله ابيك .
لا تخف من النزول الى مصر . لاني اجعلك امة عظيمة هناك ٤٠ . انا انزل معك الى مصر
وانا اصعدك ايضاً . ويضع يوسف يده على عينيك

٥ . فقام يعقوب من برسيح . وحمل بنو اسرائيل يعقوب ابائهم واولادهم ونسائهم في العجلات
التي ارسل فرعون لحملهم ٦٠ . واخذوا مواشيهم ومقتناتهم التي اقتنوا في ارض كنعان وجاءوا
الى مصر . يعقوب وكل نسله معه ٧٠ . وبنو بنوه معه وبناته وبنات بنوه وكل نسله جاء
هم معه الى مصر

١ . وهذه اسماء بني اسرائيل الذين جاءوا الى مصر . يعقوب وبنوه . بكر يعقوب راوبين .
٢ . وبنو راوبين جنوك وفلور وحصرون وكري ١٠ . وبنو شمعون يهوئيل ويامين واوهد وياكين
وصيحر وشاول ابن الكنعانية ١١ . وبنو لوي جرشون وقهات ومزارى ١٢ . وبنو يهوذا عبر
واوران وشيلة وفارص وزارح . واما عير واوران فاتا في ارض كنعان . وكان ابنا فارص
حصرون وحامول ١٣ . وبنو يساكر تولاع وفوقه ويوب وشمرون ١٤ . وبنو زبولون سارد
وايلون وياحئيل ١٥ . هولاء بنو ليئة الذين ولدتهم ليعقوب في قدان ارض مع ليئة ابنته .

١٦ . وبنو راحيل بنت يوسف

١٦ وبنو جاد صفيون وحنجي وشولي واصيون وعيري وارودي وارثلي ١٧ وبنو اشير يمنة
وشوق ويشوي وبريعة وسارح هي اختهم . وابنا بريعة حابر وملكيثيل ١٨ هؤلاء بنو لفة
التي اعطاها لابان للبيثة ابنته . فولدت هؤلاء ليعقوب ست عشرة نفسا

١٩ ابنا راحيل امرأة يعقوب يوسف وبنيامين ٢٠ ووُلِد ليوسف في ارض مصر منسى
وافرام اللذان ولدتهما له اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون ٢١ وبنو بنيامين بالع وباكر
واشيل وجيرا ونعمان وايحي وروث ومقيم وحقيم وارؤد ٢٢ هؤلاء بنو راحيل الذين وُلِدوا
ليعقوب . جميع النفوس اربع عشرة

٢٣ وابن دان حوشيم ٢٤ وبنو نفتالي يا حصيل وجوني وبصر وشليم ٢٥ هؤلاء بنو بلهة
التي اعطاها لابان لراحيل ابنته . فولدت هؤلاء ليعقوب . جميع النفوس سبع

٢٦ جميع النفوس ليعقوب التي اتت الى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب
جميع النفوس ست وستون نفسا ٢٧ وابنا يوسف اللذان وُلِدا له في مصر نفسان . جميع
نفوس بيت يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون

٢٨ فارسل يهوذا امامه الى يوسف ليربي الطريق امامه الى جاسان . ثم جاءوا الى ارض
جاسان ٢٩ فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال اسرائيل ابيه الى جاسان . ولما ظهر له وقع
على عنقه وبكى على عنقه زمانا ٣٠ فقال اسرائيل ليوسف اموت الان بعدما رايت وجهك
انك حي بعد

٣١ ثم قال يوسف لاختوته وليبت ابيو اصعدوا واخبر فرعون واقول له اخوتي وبيت الي
الذين في ارض كنعان جاءوا الي ٣٢ والرجال رعاة غنم . فانهم كانوا اهل مواش وقد
جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لهم ٣٣ فيكون اذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم ٣٤ ان
تقولوا عبيدك اهل مواش منذ صابنا الى الان نحن واباؤنا جميعا . لكي تسكنوا في ارض
جاسان . لان كل راعي غنم رجس للمصريين

الاصحاح السابع والاربعون

١ فاتي يوسف واخبر فرعون وقال الي واخوتي وغنمهم وبقرهم وكل ما لهم جاءوا من ارض
كنعان . وهوذا هم في ارض جاسان ٢ واخذ من جملة اخوته خمسة رجال واوقفهم امام
فرعون ٣ فقال فرعون لاختوته ما صناعتكم . فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن واباؤنا
جميعا ٤ وقالوا لفرعون جئنا لتغرب في الارض . اذ ليس لغنم عبيدك مرعى . لان الجوع
شد يد في ارض كنعان . فالان ليسكن عبيدك في ارض جاسان

٥ فلكم فرعون يوسف قائلا ابوك واخوتك جاءوا اليك ٦ ارض مصر قدامك . في

افضل الارض اسكن اباك واخوتك. ليسكنوا في ارض جاسان. وان علمت انه يوبد بهم ذوق قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التي لي

١٠ فاجعل يوسف يعقوب اياه وارفته امام فرعون. وبارك يعقوب فرعون. فقال فرعون ليعقوب كم في ايام سني حياتك. فقال يعقوب لفرعون ايام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة وردية كانت ايام سني حياتي ولم تبلغ الى ايام سني حيوة آبائي في ايام غربتهم ١٠٠ وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون

١١ فاسكن يوسف اياه واخوته واعطاهم ملكا في ارض مصر في افضل الارض في ارض رعسيس كما امر فرعون ١٢ وعال يوسف اياه واخوته وكل بيت ابيو بطعام على حسب الاولاد ١٣ ولم يكن خبز في كل الارض. لان الجمع كان شديدا جدا. فمخورت ارض مصر وارض كنعان من اجل الجمع ١٤ فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في ارض مصر وفي ارض كنعان بالقمح الذي اشترىوا. وجاء يوسف بالفضة الى بيت فرعون ١٥ فلما فرغت الفضة من ارض مصر ومن ارض كنعان اتى جميع المصريين الى يوسف قائلين اعطينا خبزنا. فلما ذابت قدامك لان ليس فضة ايضا ١٦ فقال يوسف هاتوا مواشكم فاعطيكم مواشكم ان لم يكن فضة ايضا ١٧ فجاءوا بمواشهم الى يوسف. فاعطاهم يوسف خبزا بالحميل وبمواشي الغنم والبقر وبالمحير. فقامهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشهم

١٨ ولما تمت تلك السنة اتوا اليو في السنة الثانية وقالوا له لا نخفي عن سيدي انه اذ قد فرغت الفضة ومواشي اليا هم عند سيدي لم يبق قدام سيدي الا اجسادنا وارضنا ١٩ لما ذاب موت امام عينك نحن وارضنا جميعا. اشترينا وارضنا بالخبز فتصير نحن وارضنا عبيدا لفرعون. واعطى بذرا الفخيا ولا يموت ولا تصير ارضنا قبرا

٢٠ فاشترى يوسف كل ارض مصر لفرعون. اذ باع المصريون كل واحد حقله. لان الجمع اشتد عليهم. فصارت الارض لفرعون ٢١ واما الشعب فنقلهم الى المدن من اقصى حد مصر الى اقصاه ٢٢ الا ان ارض الكهنة لم يشتروها. اذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون. فاكلوا فريضتهم التي اعطاهم فرعون. لذلك لم يصعوا ارضهم

٢٣ فقال يوسف للشعب اني قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون. هوذا لكم بذرا فترعون ارض ٢٤. يكون عند الغلة انكم تعطون خمسا لفرعون. والاربع الاجزاء تكون لكم بذرا للحنل وطعاما لكم وان في بيوتكم وطعاما لاولادكم ٢٥ فقالوا احببنا. لينا نغد نعمة في عبي سيدي فنكون عبيدا لفرعون ٢٦ فجاءها يوسف فرضا على ارض مصر الى هذا اليوم لفرعون الخمس. لان ارض الكهنة ردهم لم تصير لفرعون

٢٧. وسكن اسراييل في ارض مصر في ارض جاسان . وتملكوا فيها واثروا وكثروا جدا .
 ٢٨ وعاش يعقوب في ارض مصر سبع عشرة سنة . فكانت ايام يعقوب سنو حياته مئة وسبعاً
 واربعين سنة . ٢٩ ولما قربت ايام اسراييل ان يموت دعا ابنه يوسف وقال له ان كنت قد
 وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفاً وامانة . لا تدفني في مصر .
 ٣٠ بل اضطجع مع آبائي . فنهضني من مصر وتدفني في مقبرتهم . فقال انا افعل بحسب قولك .
 ٣١ فقال احلف لي . فحلف له . فسجد اسراييل على راس السرير

الاصحاح الثامن والاربعون

١ وحدث بعد هذه الامور انه قيل ليوسف هوذا ابوك مريض . فاخذ معه ابنيو منسى
 وافرايم ٢٠ فاحبر يعقوب وقيل له هوذا ابنك يوسف قادم اليك . فتشدد اسراييل وجلس
 على السرير

٢ وقال يعقوب ليوسف الله الفادر على كل شيء ظهر لي في لوز في ارض كنعان وباركني .
 ٤ وقال لي ها انا اجعلك مثمراً واكثرك واجعلك جهوراً من الامم واعطي نسلك هذه الارض
 من بعدك ملكاً ابدياً . ٥ والآن ابناك المولودان لك في ارض مصر قبلما اتيت اليك الى
 مصر هما لي . افرايم ومنسى كراوين وشمعون يكونان لي ٦ واما اولادك الذين تلد بعدها
 فيكونون لك . على اسم اخويهم يسمون في نصيبهم ٧ وانا حين جئت من فدان ماتت عندي
 راحيل في ارض كنعان في الطريق اذ بقيت مسافة من الارض حتى اتيت الى افرايم . فدفنتها
 هناك في طريق افرايم التي هي بيت لحم

٨ ورأى اسراييل ابني يوسف فقال من هذان ٩ فقال يوسف لابيها ابي اللذان اعطاني
 الله ههنا . فقال قدمها الي لا باركها ١٠ واما عيننا اسراييل فكانتا قد ثقلتا من الشيوخه لا
 يقدر ان يبصر . ففرد بها اليه فقبلها واحضنها ١١ وقال اسراييل ليوسف اكن اظن اني
 ارى وجهك وهوذا الله قد اراني نسلك ايضا ١٢ ثم اخرجها يوسف من بين ركبتيه وسجد
 امام وجهه الى الارض

١٣ واخذ يوسف الاثنين افرايم ببنيو عن يسار اسراييل ومنسى يساره عن يمين اسراييل
 وقربها اليه ١٤ فمد اسراييل يمينه ووضعها على راس افرايم وهو الصغير ويساره على راس
 منسى . وضع يديه بنظنة فان منسى كان البكر ١٥ وبارك يوسف وقال الله الذي سار امامه
 ابواي ابراهيم واسحق . الله الذي رعاني منذ وجودي الى هذا اليوم . ١٦ الملاك الذي خلصني
 من كل شر يبارك الغلامين . وايدع عليها اسمي واسم ابوي ابراهيم واسحق . وليكثر كثيراً
 في الارض

١٧ فلما رأى يوسف ان ابيه وضع يده البني على راس افرام ساء ذلك في عينيه . فامسك
 يديه لينقلها عن راس افرام الى راس منسى ١٨ وقال يوسف لا يبوس هكذا يا ابي لان
 هذا هو البكر . ضع يمينك على راسي ١٩ فأبى ابوه وقال هلكت يا ابني هلكت . هو ايضا يكون
 شعبا وهو ايضا بصير كبيرا . ولكن اخاء الصغير يكون اكبر منه ونسلة يكون شهورا من
 الأمم ٢٠ وباركها في ذلك اليوم قائلاً بك يبارك اسرائيل قائلاً يملكك الله كما فرام وكمنسى .
 فقدم افرام على منسى

٢١ وقال اسرائيل ليوسف ها انا اموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم الى ارض آباءكم
 ٢٢ وانا قد وهبت لك سهما واحداً فوق اخوتك اخذته من يد الاموريين بسيفي وقوسي

الاصحاح التاسع والاربعون

١ ودعا يعقوب بنو وقال اجتمعوا لانيكم بما يصيبكم في آخر الايام ٢ اجتمعوا واسمعوا يا بني
 يعقوب . واصفوا الى اسرائيل ابيكم ٣ راويين انت بكري قوتي واول قدرتي فضل الرفة
 وفضل العزة ٤ فائراً كالماء لا تنفضل . لانك صعدت على مضجع ابيك . حيثما دنته . على
 فراشي صعدت ٥ شمعون ولاوي اخوان . آلت ظلم سيوفها ٦ في مجلسها لا تدخل نفسي . يجمعها
 لا تهدد كرامتي . لانها في غضبها قتلت انسانا وفي رضاها عرقا ثورا ٧ ملعون غضبها فانه
 شديد وسخطها فانه قاسر . اقسها في يعقوب وافرقتها في اسرائيل ٨ جهودا اهلك يجهد
 اخوتك . يدك على قفا اعدائك . بجهدك بنو ابيك ٩ جهودا جرواسد . من فريسة صعدت
 يا ابني . جنا وريض كاسد وكليوة . من بنهضة ١٠ لا يزول قضيب من جهودا ومشترع من
 بين رجليه حتى ياتي شيلون وانه يكون خضوع شعوب ١١ رابطك بالكرمة جحش وبالجنحة ابن
 انايه غسل بالخمير لباسه وبدم العنب ثوبه ١٢ مسود العينين من الخمر وميض الاسنان من
 اللبن ١٣ زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون ١٤
 يساكر حمار جسم رايض بين الحظائر ١٥ فرأى الهل انه حسن والارض انها ترهه . فاحنى
 كتفه للحمل وصار للجزية عبداً ١٦ دان يدين شعبه كاحد اسباط اسرائيل ١٧ يكون دان حية
 على الطريق افعوانا على السيل بلع عقي الفرس فيسقط رآكبه الى الورا ١٨ لخالصك
 انتظرت يا رب

١٩ جاد يزحم جيش . ولكنه يزحم مؤخره ٢٠ اشير خبز سمين وهو يعطي لذات ملوكه
 ٢١ نفتالي آيلة مسية يعطي اقوالاً حسنة يوسف غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على
 عين . اغصان قد ارتفعت فوق حائطه ٢٢ فمرزته ورمته واضطهدته ارباب السهام ٢٣ ولكن
 ثبتت بمثابة قوسه وتشددت سباعه بديو . من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صهر

اسرائيل ٢٥ من اله ايك الذي بعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك ثاني بركات السماء من فوق وبركات العنبر الرابض تحت . بركات التديين والرحم ٢٦ بركات ايك فاقت على بركات ابوي . الى منية الآشام الدهرية تكون على راس يوسف وعلى قمة نذير اخوته ٢٧ بنيامين ذقبت يقترس . في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهباً ٢٨ جميع هولاء هم اسباط اسرائيل الاثنا عشر . وهذا ما كلمهم به ابوم وباركهم . كل واحد بحسب بركته باركهم ٢٩ واوصاهم وقال لم انا انضم الي قومي . ادفنوني عند ابائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي . ٣٠ في المغارة التي في حقل المكفيلة التي امام مرا في ارض كنعان التي اشتراها ابراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ملك قير . ٣١ هناك دفنوا ابراهيم وسارة امرأته . هناك دفنوا اسحق ورفقة امرأته . وهناك دفنت لهيئة ٣٢ شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث ٣٣ ولما فرغ بمغيب من توصية بنوه ضم رجلوه الى السرير واسلم الروح وانضم الي قومو

الاصحاح الخمسون

افترق يوسف على وجه ابيه وبكى عليه وقبلة ٢٠ وامر يوسف عبيده الاطباء ان يمنطوا اياه . فحفظ الاطباء اسرائيل ٢٥ وكمل له اربعون يوماً . لانه هكذا تكلم ايام المختطين . وبكى عليه المصريون سبعين يوماً ٤٠ وبعد ما مضت ايام بكائه كلم يوسف بيت فرعون قائلاً ان كنت قد وجدت نعمة في عيونكم فتنكلموا في مسامح فرعون قائلين . ابي استخلفني قائلاً ها انا اموت . في قبري الذي حفرت لنفسي في ارض كنعان هناك تدفني . فالآن اصعد لادفن ابي وارجع ٦٠ فقال فرعون اصعد وادفن اباك كما استخلفك

٧ فصعد يوسف ليدفن اياه . وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيت وجميع شيوخ ارض مصر . وكل بيت يوسف واخوته وبيت ابيه . غير انهم تركوا اولادهم وغنمهم وبقرةم في ارض جاسان ٩٠ وصعد معه مركبات وفرسان . فكان الجيش كبيراً جداً . ١٠٠ فانوا الى بيدراطاد الذي في عبر الاردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً . ووصع لايوم مناخة سبعة ايام ١١ فلما رأى اهل البلاد الكنعانيون المناخة في بيدراطاد قالوا هذه مناخة ثقيلة للمصريين . لذلك دعي اسمه ابل مصرام . الذي في عبر الاردن ١٢٠ وفعل له بنوه هكذا كما اوصاهم . ١٢ حمله بنوه الى ارض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها ابراهيم مع الحقل ملك قير من عفرون الحثي امام مرا

١٤ ثم رجع يوسف الى مصر هو واخوته وجميع الذين صعدوا معه لدفن ابيه بعدما دفن اياه ١٥٠ ولما رأى اخوة يوسف ان ايام قدماء قائلوا لعل يوسف بنسطنا ويرد علينا

جميع الشر الذي صنعنا به ١٦٥ فاوصلوا الى يوسف قائلين ابوك اوصى قبل موته قائلاً ١٧ هكنا
تقولون ليوسف آه اصنع عن ذنب اخوتك وخطيتهم فانهم صنعوا بك شراً. فالآن اصنع عن
ذنب عبيد اله ابيك. فيكي يوسف حين كلفه ١٨٠ واني اخوتك ايضا ووقعا امامه وقالوا ها
نحن عبيدك ١٦٥ فقال لهم يوسف لا تخافوا. لانه هل انا مكان الله ٢٠٠ انتم قصدتم لي شراً. اما
الله فنصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم. ليعي شعباً كبيراً ٢١ فالآن لا تخافوا. انا اعد لكم
واولادكم. فعزاهم وطيب قلوبهم

٢٢ وسكن يوسف في مصر هو وبيت ابيه. وعاش يوسف مئة وعشر سنين ٢٢٠ وراى يوسف
لافرام اولاد الجيل الثالث. واولاد ماكير بن منسى ايضا ولدوا على ركبتي يوسف ٢٤٠ وقال
يوسف لاختوته انا اموت. ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التي
حلف لابراهيم واسحق ويعقوب ٢٥٠ واستجلف يوسف بني اسرائيل قائلاً الله سيفتقدكم. فتصعدون
عظاي من هنا ٢٦٠ ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين. فحفظوه ووضع في تابوت
في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمه :

إن الحمد لله ، حمده و نستعبه و نستهديه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور انفسنا و من سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده و رسوله.

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ . سورة يوسف.

أما بعد

فإن اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها و كل محدثة بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة في النار .

إن اصدق الحديث كتاب الله ... و في قوله تعالى :

" لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " سورة يوسف.

قرأت فجال بخاطري تساؤلات : لماذا القصص في القرآن ... وهل بينها الحسن و الأحسن ، و ما هي اهدافها ؟

وبكل الصدق والأمانة لم أستطع أن اجيب عنها إجابة كاملة شاملة شافية ، فذلك فوق طاقتي وامكانياتي فرحت ابحت وقرأ ... فوجدت ان العلماء الفاضوا في ذلك و تبانت آراءهم ، كما سيأتي بعد ذلك .

ولكن الأمر الهام الجدير بالذكر انه أثناء فترة كتابة كتابي (التلمود في طبائع و اخلاق اليهود) قرأت عشرات الكتب التي تناولت الجوانب المختلفة من طبائعهم و اخلاقهم .

ورغم اني بحثت ونفّست ودققت في كل كتاب أو مصدر لمادة الكتاب وكان منها العوراء^(١) - و كتب عن التلمود - و الأناجيل المختلفة و قبلهم جميعاً وعلي وجه الخصوص القرآن الكريم .
 و رغم انني قرأت القرآن لمرات عديدة و لكنني حقيقةً فوجئت ان كل ما تناولته الكتب والمراجع الاسلامية و غير الاسلامية للكتاب عرّب و غير عرّب عن طابع اليهود خاصة التلموديين و أخلاقهم التي كنت اجمعها من بين صفحات الكتب متناثرة في فصولها و ابوابها العديدة المختلفة .
 أقول و أكرر بأنني فوجئت أن أجد كل هذه الطبايع و تلك الأخلاق مجمعة و مركزة و موثقة في قصة سيدنا يوسف و أخوته في السورة التي سميت باسمه .

أدرت ذلك و دهشت كأنني أقرأها لأول مرة و كأنما كانت علي عيني غشاوة و رفعت فجأة فأبصرت للكلمات معاني جديدة و أغوار بعيدة و رغم ذلك واضحة جليلة لا لبس فيها ولا غموض حقاً (الر تلك آيات الكتاب المبين ... إلى اخر السورة).

تجد فيها طبايع و أخلاق اليهود ليس فقط كأمثال حية (بالصوت و الصورة) بل ايضاً بأبعادها النفسية و العقلية و التركيبية الفطرية الغريزية , و عجت لأنها جاءت في هذه القصة في توثيق جامع محكم و لم أتبه إليه من قبل ولكن لم أدهش أن أجد هذا في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أليس هذا من إعجاز الكتاب المعجز ؟

حقاً و من أصدق من الله قبلاً ؟

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾) الملك ١٤

وعدت إلي هذه السورة العظيمة أقرأ آياتها من جديد متأملاً كل لفظة معناً الفكر في كل آية منها واضعاً أمامي من كتب التفسير ما يسر لي و متقللاً بين صفحات كتب قصص الأنبياء و صفحات كتب العقيدة و الأخلاق لأخرج في النهاية , و أنا مازلت في دائرة السورة , استند إلى كتب التفسير و عني تجول بين صفحات كتب قصص الأنبياء , و الكتب المقدسة عند أهل الكتاب ,

(١) يقول د / ابراهيم عوض في كتابه (سورة طه) دراسة لغوية اسلوبية مقارنة) صفحة ٢٩ ان التوراة هي الاالواح التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه حينما تزكاه قومه و ذهب للقاءه سبحانه عند الجبل . اما العهد القديم فهو عبارة عن تاريخ بني اسرائيل مع التمهيد له بالكلام عن خلق الانسان و تواصل ادم و ذريته , و هذا التاريخ كتبه اليهود بعد موسى بزمان متطولاه اعتمدا على الرواية الشفوية التي عدت عليها يهوداى النسميان و التزويد و النفس و التحريف و عيب الالهراء

كل ذلك أثار في عقلي و فكري صوراً و معاني لم أجد لها من قبل انه لشيء جديد .. جديد كل
الجلدة ...

الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ
يَتَأْتِبِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ
﴿٤﴾ ... إلى آخر السورة (صدق الله العظيم)

عزيزي القارئ :

أنا لست مفسراً و لست فقيهاً و لست عالماً في الفقه أو الشريعة ، ولكنني معني بموم الأمة
ومستقبل الأجيال بصورة عامة ، ومعني بالقضية الفلسطينية لعدالتها بصورة خاصة
أريد ان أعرف كل ما استطيع معرفته عن هذا العدو اللثيم و أن أعرف به ... أنا معلم في
البداية و النهاية ... رسالتي أن أبسط المعلومة و أقدمها خلاصة صحيحة موثقة إلي طالبها و إلى من
يستحقها .

ولذا فإن هدي من هذا البحث يتركز في أنني وجدت في هذه السورة كل ما تحتاجه مناهج
التربية السليمة لشبابنا الذين يتخبطون في دروب الحياة و ظروفها المتناقضة المتقلبة و أوضاعها
المتغيرة و مثلهم مثل ملاح تاه سفينه في بحر لحي عاتي الأمواج في ليل مظلم فهم في أشد الحاجة إلى
الهادي المرشد الراشد حتى يسيروا بثقة و ثبات في طرق الحياة المليئة بالألغام و المفاجآت ... لذا
كان الدرس و العبرة في هذه القصة قصة يوسف عليه السلام .

نقدمها لشبابنا و كل أجيال آمتنا نموذجاً و مثلاً لما يجب أن يكون عليه شبابنا من تربية
أخلاقية سامية ، و أن يكون على علم يقيني بطباع و أخلاق بني إسرائيل و ما يخططون لنا و ما
يدبرونه لنا في الحال و المال ، فالجهل بطباع و أخلاق العدو جريمة ، فعلى الحدود سفاكون
متربصون .

و لا أقدم هذا البحث ولا أسعى به ليعلم الذين يعلمون إذا يكفى أنهم يعلمون ، ولكني أقدمه وأسعى به ليعلم الذين لا يعلمون أو أحاول ما استطعت أن يفهم الذين يجهلون لذلك تجولت في عقول العلماء و تعمقت في بطون الكتب لأقطف من ثمارها ما يفيد العقول و من عصارتها ما ينمش القلب فجمعت من كل عقل فكرة وقطفت من أفنان كل كتاب زهرة ، ومن نتيجة ذلك ما أودعته بين دفتي هذا البحث الذي أرجو أن يحقق الهدف المرجو .

ولكن قبل أن استرسل في الحديث أود أن أذكر هنا أمرين هامين :

الأمر الأول :

أن هذا البحث إنما هو مجرد تحليل لمواقف أخوة يوسف أبناء يعقوب المسمى (أسرائيل) ، أي تحليل مواقف أبناء هذا البني (بني أسرائيل) ، وليس محاكمة تاريخية لهم فذلك ليس من حقي ولا من حق أي أحد أن يصدر عليهم أحكاماً .

فهذا البحث مجرد تحليل لمواقفهم من يوسف و أحكام على تصرفاتهم مع يوسف ، ومع أبيهم - وليس أحكاماً على ذواتهم - سواء كانت التصرفات قبل التمكين ليوسف في الأرض أو بعده .

نحن المسلمين نعلم - وكذلك أهل الكتاب يعلمون - إن أخوة يوسف أساءوا التصرف مع يوسف وأبيه ، و نعلم جميعاً ما استدوا إليه من تبريرات غير مقبولة شكلاً أو موضوعاً و لكن نظرنا نحن إليهم أنهم بشر ، يصيبون و يخطئون وليسوا أنبياء معصومين ... وقد أعترفوا أنهم كانوا خاطئين و عفا عنهم يوسف قائلاً :

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

و طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ سورة يوسف

(٩٧)

أقول أنهم بشر يجري عليهم ما يجري على غيرهم من تصرفات و انفعالات و فعل معاصي و ندم و توبة ، و هذا أمر واقع و متوقع من كل الناس في كل مكان و زمان.

و أن كنا نجرم ما فعلوه مع يوسف و أخيه و لكننا مع ذلك لسنا نحق عليهم و لانكرهم ، و لانحكم على ذواقم و اشخاصهم بكفر أو فسوق ، فليست مؤهلاً للحكم على ذواقم ، ولكني مؤهل كعقري فقط على الحكم على أفعالهم ، فمنهم من عارض قتل يوسف و منهم من أنكى الكيد له بقلبه أو بطريقة ما ، فليسوا جميعاً في ذلك سواء و لا يمكن التعميم " فالتعميم عمى " كما يقولون ، و خصوصاً أنه كان بينهم من أترض على قتل يوسف :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْعَجَبِ يَلْتَقِطُهُ

بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة يوسف (١٠)

و يقول الله تعالى في سورة الصافات " سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٦﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَدَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا

مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٩﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ

وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٣٠﴾

. ولكن بمجموع سلوكهم و محصلته يمكن الحكم عليه بأنه كان سلوكاً غير سوي يخالف المتعارف عليه أو المفروض من السلوك الأخلاقي ، رغم أن الحكم في الأخلاق لا يقتصر على الفعل فقط ، و إنما يشمل الفاعل أيضاً ، فيوصف بالخيرية أو الشرية ، بمدح أو يذم تبعاً لما صدر عنه من أفعال ، أي أن أساس الحكم الأخلاقي هو الفعل مع أخذ النية في الاعتبار كشرط و ترك النتائج و الآثار لله تعالى ، و إن كان لنا أن نوصف حالهم ، و لا نحكم عليهم فنقول :

أن أبناء يعقوب جميعاً أصحاب ضمير ، لم يسترح لما فعلوه ... فظل يعمل داخلهم ... بقوة حتى ندموا و تابوا ، فقد يشته على الإنسان الخير و الشر في فعل من الأفعال فيندفع نحو تبيين الأمر و لا يهدأ له بال حتى تكشف له الحقيقة ، ثم يحكم على الفعل بناء عليها ، فإذا ما أدرك أنه خير و حكم بذلك شعر بقوة داخلية تحته على فعله و إذا فعله على الوجه الأكمل تولد في نفسه الشعور بالبهجة و الارتياح و كان هذا هو حال يوسف .

أما إذا كان الفعل شراً ، فإنه يشعر بتلك القوة الداخلية تأمره بتركه ، فإذا خالفها و فعله شعر داخل نفسه باللوم و التائب ولا يهدأ له بال إلا إذا ندم وأصلح ما فسد و عزم على ألا يعود إلى مثل ما فعل .

فالضمير هو الذي يميز الخير و الشر ، و يأمر بالأول و يثيب عليه بالارتياح و الطمأنينة و ينهى عن الثاني و يعاقب على فعله بالتائب و الندم ^(١) (وكان هذا هو حال أخوه يوسف).

الأمر الثاني : أن وجود تشابه كبير وصل إلى حد التطابق بين ماكان من سلوك أخوة يوسف تجاه يوسف و بين سلوك و اخلاق اليهود الصهانية اليوم ، من المؤكد ما فعله أخوة يوسف وجد فيه الصهانية أنه الموافق لطبعهم و المناسب لذوقهم الأخلاقي و رأى فيه حاجاماتهم التبرير لما يبتونه فيهم من أخلاق و ثقافة العدوان .

و هذا ليس اعتسافاً مني في فهم وقائع التاريخ لأوجد تشابه بين أفعال أخوة يوسف ومايفعله بنو اسرائيل عبر تاريخهم الأسود .

فأخوة يوسف التقدير و التبجيل و لا يمكن وضعهم في مرحلة فجار الأرض و إرهابي العصر ، صهانية اليوم ، فإن أفعالهم لايقاس عليها إذ لانظر لها في التاريخ أقول هذا مع التحفظ من التعميم لأن من بين يهود اليوم نفر ولو أنهم قليلون فلهم مواقف تستحق التقدير و الشناء ، هكذا يأمرنا ديننا و يحذرنا ربنا من السير وراء العواطف على حساب الحق .

﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰٓ أَن تَعْدُوا ۗ وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَرْتُمْ فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

حَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ النساء ١٣٥

مكتبة
المهتدين

^١ العقيدة الإسلامية و الأخلاق ، د / محمد عبدالستار نصار و آخرين ص٢٣٦-٢٣٨ باختصار داخل الطباعة المحمودية .

وكذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّيِمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة ٨

أما عن سورة يوسف فإن :

لسورة يوسف وضعاً خاصاً يؤكد بما لا يدع مجالاً لمتشكك على عظمة الإعجاز القرآني في أقصى درجات الأعجاز ، و أعظم ذراه ذلك لأنها كانت الرد الذي أدخره الله في علمه السابق ليرد به بعد أكثر من أربعة عشر قرناً على المستشرقين عند ظهورهم ، على اختلاف جنسياتهم و انتماءاتهم الدينية و توجهاتهم السياسية و أغراضهم التبشيرية ، الذين ذهبوا إلى أن القصص القرآني لم يأت بياناً للعقيدة الإسلامية و لا تبصيراً لحياة الرسل السابقين و جهادهم و ما لاقوه من أقوامهم و لكن كان له قصد سياسي في فكر (محمد) صلي الله عليه و سلم أراد به الرد على اليهود و المسيحيين الذين حاوروه و جادلوه و وجهوا له صلي الله عليه و سلم الأسئلة تلو الأسئلة لإحراجهم و إضعافه أمام المؤمنين به كنوع من الصراع الديني .

وقال المستشرقون دفاعاً عن رأيهم أن القسم المكّي من القرآن سكت عن ذكر قصص أنبياء إسرائيل ولكنه في القسم المدني أكثر من قصص أنبياء إسرائيل ، ويدعون أن ذلك إنما يرجع إلى :

أولاً : تأثر محمد صلي الله عليه و سلم بالثقافة اليهودية فتمكن من النقل عن اليهود ما ورد بكتبهم المقدسة في حالي المسألة و المهادنة .

ثانياً : انه لما احتدم الجدل بينهم و تصاعدت حدته إلى المواجهة ثم القتال استعان (محمد) بقصص تناول فيها أنبياء إسرائيل و موقف اليهود منهم و ذلك لبيان تعنت و مقاومة اليهود لأنبيائهم و ليثبت لأصحابه أن اليهود أهل سوء غلاظ القلوب قساة حتى على الأنبياء منهم .

و لكن سبحانه الله مُحِق الحق و مُبْطِل الباطل ، إذ كانت سورة يوسف هي الحجمة القاطعة التي تسفه أحلام المستشرقين و تدحض حججهم و تخرس السنة الباطل و كما سبق إن قلت كانت

الرد الذي ادخره الله في علم الغيب عنده ليرد به بعد أكثر من أربعة عشر قرناً علي الجرائد المستشرقين و ترد كيدهم إلي نحرهم .

فهي سورة مكية جاءت بالقول الفصل في تشخيص أدواء هذا الكائن الصهيوني العجيب الغريب المريب فهي تشخص أدواءه بكل الدقة من جميع جوانبه الاخلاقية و تسبر أغوار نفسه لتقف علي خياة الحبث فيها سبب كل نقائصه و تعريه تماما من كل ما يتستر به من قيم خادعة أو مثل زائفة .

و في معجزة الرد المفحم في هذه السورة الذي ادخره (عالم السر و اخفي) علام الغيوب سواء علي المستشرقين أو المخدوعين بالكائن الصهيوني.

أن سورة يوسف هي قصة القرآن الكاملة في سور القرآن برأسها التي تعرض لحياة يوسف و أخوته أو قومه , فهي مغلقة علي يوسف فقط لحياته كلها ولم يكن له أي ذكر أو إشارة في أي موضع آخر إلا في موضوعين الأول الآية ٨٤ من سورة الأنعام والأخري من آية ٣٤ من سورة غافر علي لسان الرجل الذي دافع عن موسى أمام فرعون فقال (و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاء به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا)

رغم انها مكية أي أسبق من السور المدنية خلاف لبقية الرسل الذين ورد اسماءهم متكررة و متاثرة في عدة سور و ان كان بقدر غير متساوي

فمن اللافت للنظر ان اكثر الانبياء ذكراً في القرآن. كان نوح الذي ذكر في القرآن في ثلاثة و اربعين موضعاً ثم ابو البشر ادم و ابو الانبياء ابراهيم و عيسي كل منهم ذكر خمسة و عشرين مرة اما موسى وحده فقد تفرّد بالذكر في مواضع عدة في سور القرآن المكية والمدنية فقد تكرر ذكره في مائة و سبعة و ثلاثين موضعاً كما ان انبياء بني اسرائيل اكثر الانبياء عدداً و طبعاً ما ذلك إلا لأنهم (موسى و غيره من انبياء بني اسرائيل ارسلوا الي مهمة صعبة الي قوم اليهود قاسية قلوبهم و ذوي فطر جاحثة متطرفة يعرفون الحق و يعدلون عنه) .

وسورة يوسف كسورة مكية ركزت الاهتمام علي المقاصد الاساسية للسور المكية وهي الوحدة التي هي القضية المركزية في العهد المكي , وما يتبعها من العمل علي تعمق الايمان بالبعث و الحساب ثم الجرد و الثواب او العقاب بانجئة أو النار , والإكثار من ترسيخ اليقين بقسرة الله و مشيئته في السموات والارض. وفي سبيل ذلك يستخدم القرآن القصص القرآني في عرض ما وقع

بين الانبياء السابقين واقوامهم المعاندين لهم المتحاملين عليهم الكافرين لهم المتربصين بهم و بمن تعهم
وعندا ظاهر في العديد من السور مثل سورة (هود) .

التي قال عنها النبي صلى الله عليه و سلم (شيتني هود) كذلك سورة الأرواح .

إن سورة يوسف قصرت الحديث علي يوسف و قد ذكر يوسف فيها اربع مرات و وردت
قصة يوسف كاملة في هذه السورة التي تقع في مائة و احدى عشرة آية بل هي كبر المعرفة للسائلين ،
نص الله فيها قصة يوسف كاملة في ثمان و تسعين آية ، جمع فيها كل ما في التوراة و يزيد .
و قد تم للقصة بثلاث آيات تدل علي دقة التفسير و روعته .

قاية التقديم الاولي : (الرَّتِّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠٠﴾) (توحيده) السجدة

الذي انزله الله علي رسوله محمد اما هو كتاب مبين للحلال و الحرام و الامر و النهي ، وفي قوله
(تلك) اشارة الي آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة (الر)
هي (آيات الكتاب المبين) و هو القرآن الكريم ، و اما وعرف القرآن بكونه مبيناً لوجهه :

الأول : ان القرآن معجزة قاهرة و آية مبينة شهيد علي الله عليه و سلم .

الثاني : انه بين فيه الهدى و الرشاد و الحلال و الحرام ، و لما بينت هذه الاشياء فيه كان
الكتاب مبيناً لهذه الاشياء .

الثالث : انه بينت فيه قصص الاوليين و شرحت فيه احوال المتقدمين .

و يقول الطبري في معنى (تلك آيات الكتاب المبين) : و الصواب عن القول في ذلك عندي
ان يقال معناه : هذه آيات الكتاب المبين لمن تلاه و تدبر ما فيه من حلاله و حرامه و فيه و سائر ما
حواه من صنوف سبابه لان الله جل ثناؤه اخبر انه مبين و لم يخص ابائنه عن بعض ما فيه (و انما يحرمه
فذلك علي جميعه اذا كان جميعه مبيناً عما فيه .

و آية التقديم الثانية: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾) تنويري

انه قرآن عربي خليق ان يحفظ في الصدور كما هو في السطور و قيل في تفسير (لعلكم تتقنون)
اي لتكون علي رجاءاً من تدبره ، فيعود معنى الشك اليهم لا الي الكتاب و لا الي الله عز و جل و
قيل معنى انزلناه اي انزلنا خبر يوسف

أما الفخر الرازي فيري ان معني (انزلناه) اي انزلنا القرآن وان معني (لعلكم تعقلون) فقال : كلمة (لعل) يجب حملها علي الجزم و التقدير: انا انزلناه قرآناً عربياً لتعقلوا معانيه في أمر الدين , إذ لا يجوز ان يراد بلعلكم تعقلون الشك ؟

لانه محال علي الله , فثبت ان المراد انه انزله لارادة ان يعرفوا دلائله وذلك يدل علي انه تعالي أراد من كل العباد أن يعقلوا توحيده و امر دينه .

وآية التقديم الثالثة : (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن و ان كنت من قبله لمن الغافلين) تؤكد أن ما نزل بهذه السورة انما هو احسن القصص نزل وحي من عند الله الي النبي و انه لم يكن يعلمه قبل نزول الوحي به ولا يعلم ما به من عظات و آيات بينات .

وجاء في أسباب نزول الآية:

روي الحاكم وغيره عن سعد ابن أبي وقاص قال:

أنزل علي النبي (صلي الله عليه و سلم) القرآن فتلاه عليهم زمناً فقالوا يا رسول الله لسو حدثنا فقول : (الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً تقشعر منه جلود اللذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلي ذكر الله ذلك هدي الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هساد) . زاد ابن ابي حاتم : فقال يا رسول الله لو ذكرتنا ، فأنزل الله : (ألم يأن للذين آمنوا أنست تحشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ففطأ عليهم الأوسد فقسست قلوبهم وكثراً منهم فاسقون) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قال يا رسول الله : لو قصصت علينا فقول (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)

ثم بعد ذلك تبدأ قصة يوسف: من الآية الرابعة لقوله تعالي (اذ قال يوسف لايه يا ابت اي رأيت احد عشر كوكباً و الشمس و القمر رايتهم لي ساجدين)

و تنتهي القصة بالاية ١٠١ بالحمد و الثناء و الدعاء بقوله تعالي علي لسان يوسف

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي
بِالصَّالِحِينَ ﴾

و كما يقول الشهيد سيد قطب في ظلاله : ثم ان هذا التقديم يتناسب مع التعقيب مع القصة في نهايتها و هو قوله تعالى (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجتمع امرهم و هم يمكرون)

و ختمت القصة و السورة بتأكيد ما بدأت به فوجه الله نظر نبيه الي ان هذه القصة من انباء الغيب لم يكن صلي الله عليه و سلم يعلمها قبل ان يرزل عليها
وفي هذه الاية الخاتمة للقصة اتجه يوسف الي الله شاكراً لنعمائه و آلائه بعد ان وقف الله معه في كل ظروفه و المحن التي مرت به او مر بها فكان حتماً عليه ان يتجه الي الله معترفاً بافضاله اذ آتاه الملك و وهبه العلم.

بتعبير الاحلام داعياً الله المزيد من فضله بأن يحفظ عليه ايمانه و يتوفاه مسلماً و يلحقه بالصالحين امثال ابائه الاقربين .

فسورة يوسف هي احدي السور المكية التي تناولت سور الانبياء و لكنها تفردت وحدها بقصة (يوسف ابن يعقوب) و ما تعرض له من انواع البلاء و صنوف الشدة التي تلقاها من :

* اخوته .. من أقرب الناس إليه نسباً بعد ابيه و امه ثم رمية في الجب وحيداً
* من العبودية ... كعبد يباع في الاسواق (و شره بثمان بخرس دراهم معدودة و كانوا فيه من الزاهدين) .

* ثم من العبودية في بيت عزيز نصر . ثم تأمر النسوة عليه .

ثم في السجن :

ابتلاءات و شدة بعد شدة ... و لكنه صبر و ثبت ثم كانت فيوض نعم الله عليه جزاء لما صبر و ثبت و كان توقيت نزول الوحي بسورة يوسف علي سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم في فتره عصيبة من حياة سيد البشر كان في أشد الحاجة اليها في هذا التوقيت اذ اشتد عليه :

تكذيب قومه معارضة قومه له و الوقوف امام دعوته .

وفقد زوجه الطاهر الخنون (خديجه)

وفقد المدافع عنه عمه (ابو طالب) نصره و معينه و سنده ضد قومه.

اي نزلت هذه السورة جملة واحدة في عام الحزن في مكة ، ليس هذا فحسب بل ايضا في وقت

كثف المشركون الكيد للنبي و من معه و كان المشركون كطليهم تلقوا من يهود يثرب بعض الاستله يوجهونها الي النبي لاحراجه امام اتباعه و علي سبيل الاختبار و من هذه الاستله " عن رجل من الانبياء كان بالشام اخرج ابنه الي مصر فيكي عليه حتي عمي " . سالوه هذا لاحراجه فهم يعرفون انه لا يقرأ و لم يجلس الي معلم و لم يكن بمكة احد من اهل الكتاب يسالونه عن هذا ، يذهب الي هذا التفسير ابن عباس لقوله تعالي (آيات للسائلين) قال السائلين عن خبرهم ، نزلت هذه الاية في حبر من اليهود فهي من دلائل صدق نبوة محمد صلي الله عليه و سلم.

و ايضا فان اتباع النبي أصابهم ما أصاب النبي من بلاء و تضيق عليهم ومعاناه و إن لم يكن لهم صبر النبي ولا جلده ، و عز عليهم أن يروا النبي في هذه الحالة فكانوا في حاجه الي ما يسري عنه و عنهم و يقوي من عزمهم فسالوه ان يقص عليهم طرفاً من اقوال الاولين.

لكل هذا انزل الله سبحانه عليه هذه السورة ليكون فيها العبرة و العظة والسلوى و الرد علي المعاندين المتحدين ، و قد اجمل سبحانه و تعالي الهدف من هذه القصة في نهاية السورة لقوله تعالي (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾) .

لذلك نجد ان هذه السورة فريدة في الفاظها و تعبيراتها و في مضمونها و فحواها ، فهي

بحق من القصص التي يسري معناها الي القلب فتزل عليه برداً وسلاماً ، و راحة و اطمئناناً .

اسلوبها سلس رقيق يفيض رحمة وحناناً و عطراً ندياً (اذ قال يوسف لايه : يا ابت ...) ,
و ايه يعقوب (قال : يا بني) اسلوب خاص بالفاظ رقراقة لها وقع هاديء مريح يقع في
القلب و العقل قبل الاذن . قال خالد بن معدان عنها :

" سورة يوسف و مريم مما يتفكك بهما أهل الجنة في الجنة ! " .

و قال عطاء عنها : (لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح اليها)

و قصة يوسف من القصص القرآني الرفيع - و كل قصص القرآن في قمة الذرا من الرفعة
- و في بداية السورة نقرأ فيما نقرأ : " نحن نقص عليك احسن القصص " فالقصة في القرآن ليست
عملاً فنياً مستقلاً، في موضوعه و طريقة عرضه و إدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة
التي ترمي إلي أداء غرض فني مجرد - إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي تحقق هدفه
الأصيل فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، و القصة إحدى وسائل لبلاغ هذه الدعوة، شأنه
في ذلك شأن مشاهد القيامة، و صور النعيم و العذاب و شأن الأدلة التي يسوقها علي البعث و علي
قدرة الله، شأن الوقائع التي يفصلها و الأمثال التي يضربها ... إلي آخر ما جاء في القرآن من
موضوعات .

فقصص الأنبياء المرسلين و هم خير خلق الله و صفوته، قصصها الله علمي نبيه (صلي) لأهداف

كثيرة منها

- ١- ليثبت فؤاده .
- ٢- ليعلمه أنه ما من نبي جاء بمثل ما جاء به إلا عودي من قومته و عاندره و كادوا له بل
و أخرجوه .
- ٣- لتكون تسرية له (صلي) من بعد العبرة و العظة .
- ٤- لتكون لاتباع النبي المصطفى تثبيتاً و تعليماً و تسرية و عبرة ، حتي لا يفعلوا فيما وقعت
فيه من سيقتهم من الأمم .

لذلك فقصص الأنبياء هي أحسن القصص .

و لتوضيح ذلك يحسن أن نقف أولاً عند لفظة (القصص) ثم لفظة (أحسن)

أولاً : (لفظة القصص) : مصدرها القص أو إسم مصدر منه . و قص فلان الشيء عن باب قتل - إذ تصع أثره ، و في التحويل (وقال لأبيته قصه) القصص ٩٩

وخرج فلان في إثر فلان قصصاً و منهم (فارتد علي آثارهما قصصاً) الكهف ٦٤

وقص الخبر : حدث به علي وجهه و القصص جمع قصة

و القصص - بالكسر - الشأن و الأمر .

و القصص : القود و قص الأمير فلاناً من فلان .. القص منه (و لكم في القصص حكمة)

البقرة ١٧٩ .

و لم يأتي في القرآن لفظ قصة و لكن أتى لفظ القصص .

(إن هذا هو القصص الحق) آل عمران ٩٦ .

و سواء كان هذا اللفظ مصدرأ أو إسم مصدر فهو بمعنى المفعول أي الخبر المقصود اشياء به علي وجهه . و هو المراد في القصص القرآني لأن الأشخاص و الزمان و المكان ليست بالضرورية أركاناً بالخبر الخلدت به فقد يهتم الشخص أو الأشخاص (و قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف ...) .

و قد يهتم الزمان (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) .

و قد يهتم المكان (و جاءوا أباهم عشاء يكون) .

فإنما ينبغي أن يكون في القصص القرآني هو الحدث و المبررة أما بقية عناصر القصة الخلدت لونها فيوجد بحسب الحاجة إليها و أهميتها في القصة و الخبر^(١) .

ثانياً : اذا وقفنا عن لفظة (أحسن) و هي الفعل تفضيل ... ربما تساءل: هل في القصص القرآني (حسن و أحسن) ؟ .

يتناول العلماء المتسورون ليس في القرآن فاضل و مفضول أي لا حسن و لا أحسن لأن كله كتاب واحد عززل من الله و أحسنه قدير حكيم .

و لتفسير وصف قصة يوسف بأفأ أحسن القصص أفاض العلماء في ذلك و اختلفوا و تعرض فقط لبعضها قائلوه :

(١) د/ جمعه علي عبد القادر إتعلقات المنان في قصص القرآن ص ١٦-١٧-١٨ بتصرف - مطبعة رشوان القاهرة

فمن قائل لأنها : فريدة في نغمتها وأسلوبها وأعجازها ومقاصدها وغاياتها وقد أشتملت صوراً واحدة , لم تتكرر حلقة من حلقاتها في سورة أخرى لهذا كانت لها طابع خاص في ترابط أحداثها وترتيب أهدافها , ومذاق متميز عن سائر قصص القرآن .

وقيل سبحانه الله (أحسن القصص) بحسن مجاوزة يوسف عن أخوته أو صبره على أذاهم وعفوه عنهم – بعد التقائهم – عن ذكر ما فعلوه وكرمه في العفو عنهم حتى قال (لا تثريب عليكم اليوم) .

أو أحسن القصص بما أشتملت عليه من عبر متعددة , عبر في الطفولة في مواجهة الشيوخوخة , والحقد والحسد بين الأخوة . , والتمرد , والقائه في الجب والكيد له ووضعه سجيناً بظلم , وموقف يوسف عليه السلام من الأفتراء الكاذب والاعتزاز بالحق حتى تم له النصر والتمكين .

أو أنها أحسن القصص لأن سورة يوسف هي السورة التي اشتملت لقطات متعددة تساير العمر الزمني والعمر العقلي والعمر العاطفي للإنسان في كل أطواره , ضعيفا ومغلوبا على أمره . وقويا مسيطرا ممكنا من كل شيء وذكر اسم يوسف في ٢٤ آية في سورة يوسف وحدها وذكر مرة في سورة الأنعام (آية ٨٤) وذكر مرة في سورة غافر (آية ٣٤) , بينما نجد أنباء الرسل السابقين جاءت لقطات موزعة كآيات ضمن سور أخرى وكل اية جاءت في موقعها .

وقيل لأنها (القصة العبرة) أي التي تتضمن من العبر والحكم مالا تتضمنه القصص الأخرى فقد رزق فيها قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) .

وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والنساء وحيلهم ومكرهن كما فيها التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤى .

وقيل أن أحسن بمعنى أعجب .

وقيل أن (نحن نقص عليك أحسن القصص) أنه سبحانه وطأ به الفضل إلى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصاً بارعاً , فإن التكتية التي أشارت إلى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن وهي قوله (أحسن القصص) فإن المخاطب إذا قرع سمعه هذا الوصف تنبه إلى تأملها , فيجد كل قصة فيها ختمت بخير , وكل ضيق انتهى إلى سعة وكل شدة الت إلى رخاء , وذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة (العقدة) تحتم بالخير .

و قد سئل الرسول صلى الله عليه و سلم لماذا كانت قصة يوسف أحسن القصص؟ .

قال : لأن المتحدث بما الله أكمل المتحدثين و المتحدث عنه يوسف أجمل المغلوقين .

و تميز بأنها توضح مختلف المواقف الانسانية في حالتها الخيرة والشر ، وتتفقد إلى حنايا النفس الإنسانية تستكشفها وتشخص أدواتها وترزح عطاء الصدور وتطعمها علي كل ما يمكن أن يدور في العقول.

ما سورة يوسف إلا واقع الدنيا بشموليتها وتفصيلها و هي الصورة الحياتية للإنسان بدءاً ذي بدء من الأسرة و ما تحوية من عناصر التربية ، والأبوة والطفولة والأخوة ، والعلاقات المتبادلة بينهم ، إلى التجارة و العلاقات الإنسانية وقوانين السفر وقوانين الرق ، والإيمان وأهمية

الشوري و العدل و الظلم ، و العلاقات مع النساء ، و السجن و ظروفه ، والإستفادة من فوائده و إجتناوب شروره ، و الملك وقوانين الحكم و الإدارة والتخطيط ، وإستخدام العقل في تنظيم الحياة ، و العفو عند المقدرة . إنما سورة نري من خلالها الدنيا واقعاً مائلاً أمام أعين عيوننا و قلوبنا لتتعلم الكثير من قوانين النجاح وقوانين الفشل^(١) غير ذلك مما يدور حول كل المعاني و القيم الإنسانية السامية فالقصة إحدى عوامل التربية في القديم و الحديث و كل رجال التربية لا ينكرون ما للقصة من آثار في نفوس السامعين و القصة .. قديمة نشأت مع نشأة الإنسان وتابعت في حياته الأولى ، و إن كانت تختلف من عصر إلى عصر و من بيئة إلى أخرى .

وكل أمة من الأمم لها تاريخها الخافل بالقصة التي تسجل الأحداث و توجد لها إن لم تكن موجودة .

و في العصر الراهن تلجأ بعض وسائل الإعلام في كثير من الدول إذا رغبت في تكوين رأي عام عند الشعوب إلى الإستعانة بالقصة و أشكلها و ألوانها و ما يكون فيها من مواقف و مفاجآت .

و القصص : الأخبار المتتابعة قال تعالى إن هذا هو القصص الحق .

و القرآن الكريم فيه مجموعة من القصص جاءت لأمر جوهرية أرادها الله سبحانه و تعالى و من أولي هذه الأمور تربية الأمة الإسلامية و تنشئة هذا الجيل الذي نزل في عهده القرآن و ما يأتي

(١) نسيبة عبد العزيز المطوع قصة يوسف رؤية تربوية ص ١٣ بتصرف الكويت

بعده من أجيال - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - علي عظامم الأمور و إطراح سفسافها من ذلك قصة يوسف الذي يقول الله تعالي فيها : (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)^(١).

وقصة يوسف منهج كامل في دروس التربية الأخلاقية فإذا تأملنا حياته وما لقيه خلالها من بؤس وشقاء العبودية وأغواء وهديد وسجن , ومع ذلك كله لم تلن له قناة ولم يتطرق الشك الى قلبه , ولم يتسرب الوهن الى عزمه وعزيمته , ولم يفتر لحظة عن التمسك بالقيم والنبات على الحق .

ما أجمل وأروع وأعمق وأصدق كلماته التي تخرج من قلب مؤمن وبسقين ثابت : (قَالَ

رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢٦﴾ ۱۱

بل وإنه لم يقنط من رحمة الله ولم يتكاسل أو يتملكه اليأس بل ظل داعيا الى عبادة الله الواحد الأحد الى التوحيد.

وفي جميع ظروفه من الشدة والرخاء والعسر واليسر ظل متمسكا بكماله يضرب أعظم مثال في النبات على الحق وكما يقول الشيخ عبد الوهاب النجار

في هذه السورة " مورد غزير المادة لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة الطاهرة , ويشرح الاستقامة على المبادئ الحقة وأثرها في النفس وموضوع درس عميق في علم النفس , ولا يكون العالم مسرفا إذا وضع في الأخلاق وعلم النفس كتابا كبيرا وأيا مرجعه فيه سورة يوسف , وجعل أحوال يوسف وما حصل منه وله موضع تطبيقها " أ. هـ —

قال حسن البصري : من أحسن عبادة الله في شيبته لقاءه الله الحكمة في إجهادته كما قال تعالي في شأن يوسف (ولما بلغ أشده أتياه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين .)^(٢)

ومن ناحية أخرى يمكن أيضا أن نضيف أن سورة يوسف مورد مادة غزيرة في تاريخ مصر في هذه الآونة والتعرف على نظام الحكم فيها والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

أما عن أثر الايمان، فقد أكدت بعض الدراسات التربوية والأبحاث النفسية والاضطرابات العصبية، والانحرافات الخلقية , التي تنشأ من عوامل القلق والتوتر العصبي والخوف , وقد أصبح

(١) د / جمعه علي عبد القادر مرجع سابق ص ١٨٢
(٢) الإقتباس من القرآن الكريم ج ١ ص ١٦٠ - الهيئة العامه لتصور الثقافة (الزخائر)

العلاج النفسى عن طريق الأيمان من وسائل الطب الحديث , ويقول (وليام جيمس) إن أعظم علاج للقلق هو الأيمان

ومن المعالم المستفادة من هذه القصة الغنية الثرية بالعبر والدروس وتدور قضيتها حول الصبر كما نستخلص منها:

نستخلص منها بالنظرة العميقة المتأملة طبيعة بنى اسرائيل فهى تشريح دقيق لكل بسواطن وتركيب النفس الاسرائيلية الائمة .

فقد كانت حياة يوسف سلسلة متصلة من الحلقات المتابعة وى كل منها شهد وقائع وأحداثاً كان أخوة يوسف - وهم الأصول والجذور لبنى اسرائيل - ينسجون له من أحيالهم ومكرهم وظلوا فى أجرامهم وغيهم والكيد له بل والغدر به . ولكن كل حلقة منها هى حلقة ذهبية فى سلسلة العناية الالهيه التى ارتبطت بيوسف .

حاكوا له المؤامرات وكذبوا وزيفوا الحقائق وأختلقوا وقائع كاذبة ولم يعاوا بصلات القربى ولم يراعوا انسانية ونسوا كل القيم فى سبيل تحقيق مآربهم بكل خبث وبكل قسوة فكان منهم الأجرام والافساد فى الأرض والغدر والقتل والكذب وكل الرذائل التى توارثها بنسوهم (بنو اسرائيل) جيلاً بعد جيل لذلك لعنوا من الله على ألسنة الانبياء والرسل .

و قد علق شيخ الإمام عبد الحليم محمود على قصة يوسف عليه السلام فى كتابه الفتاوى بقوله قال تعالى لقد كان فى يوسف و أخوته آيات للسائلين .

أى فى خبره و خبر إخوته فالذين أوقفوا سيدنا يوسف فى الحب هم إخوته من أبه فقط . و قد أورد الله سبحانه و تعالى قصة يوسف فى القرآن الكريم من أجل العبر و العظات الكثيرة التى تؤخذ منها , و الواقع أن السورة الكريمة مليئة بما يجب التأمل فيه و التروي , و الله سبحانه و تعالى يشير إلى ذلك فى هذه السورة على الخصوص إذ يقول فى مفتحتها " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن " و يقول فى آخر السورة " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ... نقوم يؤمنون فعلىنا أن نتجه إلى عظات هذه السورة و غيرها لعل الله ينفعنا بما " أ.هـ .

لقد عرض القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام فأوردها فى سورة كاملة وجاءت نصوص آياتها تعبر عن المشاهد الروائية المتتالية فى السورة تميز كل مشهد روائي فى النص القرآنى بزواية رؤية واسعة شاملة لكل التفاصيل الهامة فى مجريات الأحداث , بعبارات تجسد الصور فيها واقعية الأحداث و قبول العقل لها .

و كان لزاماً علي أن أعرض قصة يوسف لدي أهل الكتاب من مسيحين ويهود .

فقد قرأت بتمعن و إهتمام من ذلك علي وجه الخصوص قصة يوسف للقس ف.ب. ماير ترجمة القص مرقص داوود , و كان الإختلاف مع الرواية القرآنية في بعض الوقائع يمكن التجاوز عنها و لكن مجمل الرواية من المنظور المسيحي مقبولة.

و كذلك قرأت بتمعن و إهتمام قصة يوسف لأكثر من كاتب يهودي و من ذلك علي وجه الخصوص (لويس جنس برج) و كان الإختلاف مع الرواية القرآنية كبير و في مواقع كثيرة لا يمكن التجاوز عنها إذ أنها شوهدت بالأساطير التي نسجت حول كثيراً من الأحداث حتى ضاعت الحقيقة في ضبابية هذه الأساطير الكثيفة و إختلاق أحداث غريبة .

و هذا ليس بغريب عن ثقافة التوراتيين المولعين بنسج الأساطير و إختلاق غرائب الأحداث

(لقد كان في يوسف وأخوته أية للسائلين)

و نجد كل صفات بنى اسرائيل موجودة في هذه السورة الثرية بمعانيها نستخرج منها في كل لقطة بعض هذه الصفات لذلك فإنه :

بعد هذه المقدمة نقسم البحث الى أربعة أبواب هي :

الباب الأول : التعريف بأشخاص القصة

- ١- بنى اسرائيل (فصل أول)
- ٢- التعريف بيوسف (فصل ثاني)
- ٣- التعريف بسورة يوسف (فصل ثالث)

الباب الثاني : يوسف هدف لسهام الكيد

الباب الثالث : التمكين ليوسف

- ١- الحقد (فصل الأول)
- ٢- التوجه للمؤامرة ضد يوسف (فصل ثاني)
- ٣- الإعداد للتنفيذ (فصل ثالث)
- ٤- يوسف في سوق النخاسة (فصل رابع)

٥- الخروج من المحنة والتمكين من حكم مصر (فصل خامس)

الباب الثالث (الخروج من السجن) والتمكين من حكم مصر

- | | | |
|----|------------------------------|------------|
| ١- | الخروج من السجن | (فصل أول) |
| ٢- | يوسف في القصر | (فصل ثاني) |
| ٣- | اللقاء الأول لأخوة يوسف | (فصل ثالث) |
| ٤- | اللقاء الثاني لأخوة يوسف | (فصل رابع) |
| ٥- | اللقاء الثالث لأخوة يوسف | (فصل خامس) |
| ٦- | بنو يعقوب في مصر | (فصل سادس) |
| ٧- | الركائز المحورية في قصة يوسف | (فصل سابع) |

الباب الرابع : ما وراء النصوص من عبر و دروس

- ١- آل يعقوب في القصص التوراتية و الفلكلورية (الفصل الأول)
- ٢- ما وراء نصوص سورة يوسف من آيات الساتلين (الفصل الثاني)

الخاتمة

المراجع

الفهرس

الباب الأول

التعريف بأشخاص السورة

{ بنو إسرائيل }

الفصل الأول:

بنو إسرائيل كانوا موجودين قبل ظهور موسى عليه السلام وترجع أصل التسمية ببني إسرائيل إلى النبي يعقوب وهو ابن إسحاق وهو ابن إبراهيم الذي يتصل نسبه إلى نوح عليه السلام وقد سمي يعقوب بإسرائيل.

وسر التسمية بـيعقوب - كما يذكر العهد القديم - أن يعقوب كان توأماً لأخ خرج قبله اسمه (عيسو) أو (العيص) .

وأن يعقوب خرج عقب عيسو أو ممسكاً بعقبه فتمسى لذلك بـيعقوب أما سبب تسميته بعد ذلك بإسرائيل وهي كلمة مركبة (أسرا أي عبد أو صفوة) وإيل , بمعنى الرب , وكما يذكر العهد القديم في سفر التكوين (٣٢) أنه ذات ليلة ظهر الله له في شكل إنسان !! وتصارعا حتى أدركهما الفجر ولم يستطع الله الثفلت من يعقوب حتى باركه فأطلقه , وقال : لا يدعي أسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت !! .

و أبناء يعقوب هذا أو إسرائيل هم الأسباط الإثني عشر (لأنه كان له إثني عشر ولداً) و نسلهم هو الذي يطلق عليه بنو إسرائيل .

و كما سبق أن ذكرت أن بني إسرائيل اسبق في الظهور من موسى عليه السلام الذي جاء بالدين الذي عرف باليهودية , و دعا إليه بنو إسرائيل وفرعون والمصريين .

وعلي ذلك من الخطأ تسمية اليهود ببني إسرائيل , لان بني إسرائيل قاصرة فقط علي من كان من ذرية يعقوب أو (إسرائيل) وهم اسبق وجوداً من الديانة التي أتى بها موسى , ومن اعتنقها فهو يهودي و من لم يعتنقها حتى لو كان من بني إسرائيل فليس يهودياً فالديانة اليهودية هي رسالة موسى , رسالة سماوية لكل البشر و منهم بنو إسرائيل , وقد امن بها جانب من المصريين و من بينهم السحرا لذلك قال لهم فرعون :

(أجتنتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) وآمن بما أيضا بعض بدو سيناء , و بعض قبائل العرب في الحجاز و في اليمن , و في العصور الحديثة قودت مملكة الخرز ملكاً و شعباً و علي هذا الأساس لا يمكن القول بان اليهود هم بنو إسرائيل و الدليل علي ذلك :

١- من يعتق اليهودية أشتاتا مختلفة من البشر منهم الأبيض و منهم الأصفر و الأسود , منهم ذوو الشعر الجمعد و الشعر الأسود و الشعر و الشعر الأصفر , منهم ذوو العيون السوداء أو الزرقاء أو العسلية .

منهم ذوي القامات الطويلة أو القصيرة , و ذوو الرؤوس و الجباه العريضة و الجباه الضيقة , و الأنوف الدقيقة و المعوجة و المقلطحة .

أنماط مختلفة و أشكال متباينة لا تتسجم ولا تتوافق مع القوانين الوراثية للأصل الواحد .

٢- ان جماعات عديدة من الاسرائيليين أيام الشتات و الآسر ثم الهجرات العديدة لأسباب مختلفة انصهروا مع الأجناس الاخرى فذابت بين الأجناس الاخرى خاصة و ان اعدادهم فهي الأقل في أي مجتمع .

٣- أجناس مختلفة اعتنقت الديانة اليهودية في الماضي والحاضر وهم ليسوا من بني إسرائيل. وإن كان الذين يتنصرون من اليهود الكثيرين إلا ان هناك أيضا وإن كان بأعداد متواضعة من يهود من النصراري أو الوثنيين وذلك بعملية قويد مقصودة ولقنات منتقاة والأغراض مختلفة ولنقرأ.

" وليس جديداً أن "يهوه" هو التسمية اليهودية لله كما جاء في التوراة ، وقد اكتشفت الكنيسة المصرية في ذلك الوقت (عام ١٩٥٦) مركزاً رئيسياً لهذه الدعوة الوافدة من الولايات المتحدة الأمريكية باسم (برج المراقبة) في القاهرة. أن الأعضاء في هذه الجماعة من المصريين والأبحاث يسمون أنفسهم " شهود ويهوه" رسالتهم المعلنة هي أن الفساد يعم الزمان والمكان والإنسان ، وأن الدنيا قد آلت مليكاتها إلي إبليس، ولا نجاة إلا للقللة القليلة التي اختارها بهوه العظيم.

ولكن للشك في أهداف الدعوة والداعين إليها بفكرهم وسلوكهم ومصدر قولهم صدر في الثاني من يونيو ١٩٦٠ قرار وزير الشئون الاجتماعية رقم ١٥٥ بحل جمعية شهود يهوه وتصفيّة أموالها

احدي أهم المراحل التي بلغت الصهيونية العالمية من أهل "قويد المسيحية" والحقيقة إلى قويد المسيحية لم يكن مقصوداً علي نشاط (شهود يهوه) فقط كانت هناك المطبوعات التي تصل من بيروت باسم (جمعية أصدقاء الشرق الأوسط) وكذلك جماعة (الأدفنتست) أو السبتين ومركزها كان وما زال في القاهرة وهي الجماعة التي تدعو مباشرة لأن يصبح يوم العبادة للمسيحيين السبت بدلاً من الأحد ، فالقاسم المشترك بين شهود يهوه ، (الأدفنتست) هو إحلال الرمز اليهودي مكان الرمز المسيحي .

و ممكن القول بأن بالجزم اليقيني ان الوجود النقي لسلالة بني إسرائيل أصبح من الخيال ، وليس له اي وجود في الواقع ، وهذا القول لا ينفي وجود توارث الطباع الاخلاقية و السلوكية التي تنتقل بينهم كمنهج تربية تأصل فيهم ، أولاً بالتقليد ثم بالعدوى السلوكي ثم بالمرض السلوكي المزمّن أو العادة .

و نصوص عهدهم القديم تعترف باختلاط أنسابهم :

" إن الله لم يهدمهم في طريق أرض الفلسطينيين مع إما قرية لأن الله قال لتلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً و يرجعون إلي مصر فأدار الله الشعب في طريق بحر سوف ."

وبعد دخول أرض كتعان يندمج الإسرائيليون في الجماعات التي أقاموا بينها ويختلطون بهم ويعبدون آهتهم و يتزوجون من بناتهم . ويظهر هذا الإختلاط بين الإسرائيليين والكتعانيين والمناطق الفلسطينية في أقوال التوراة " وبنو بنيامين لم يطردوا البيوسيين سكان أورشليم فسكن البيوسيون مع بني بنيامين في أورشليم الى هذا اليوم " سفر الملوك الثاني ١٨ : ٧

وأيضاً " فسكن بنو إسرائيل في وسط الكتعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحريين والبيوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبناتهم وعبدوا آهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري " الملوك الثاني ١٨ : ١٤

وهذا يستتبع بالضرورة أن يتساءل المرء عن هذه الصفات اللا أخلاقية واللا إنسانية التي يتسم بها بنو إسرائيل - وللأمانة الموضوعية الغالبية الساحقة منهم رغم أنهم جميعاً تقريباً لا يتصلون بنسب إسرائيل - هل يمكن ان يتوارثوا هذه الصفات؟.

وتعبير أكثر وضوحاً ، لماذا يوصم بنو إسرائيل بأرذل الأخلاق رغم ان معظم أصولهم من غير بني إسرائيل حتى يقال إنما الوراثة ؟ .

الإجابة يجب ان لا يتكون بالهوى بل يجب ان تستند إلى حقائق العلم و ثوابته.

و العلم يقول: ان خلق الإنسان يتحكم فيه ثلاث عوامل (الوراثة و البيئة و العادة).

أولا اثر الوراثة : و هو انتقال بعض صفات الأصل للفرع طبقا لقوانين خاصة (حسب جينات الصفات الوراثية) و تشمل صفات الجسم (طول و قصر , صحة و مرض) و صفات العقل (الذكاء و الغباء) و صفات الإخلاص (شجاعة و جبن , كرم و بخل الخ) .

و قد يرث الفرع بعض صفات أصوله البعيدة , وهناك في علم الوراثة يفرقون بين الصفات السائدة و الصفات المتنحية .

و المسؤول عن توارث هذه الصفات الوراثية هي (الكروموزومات أي الصابغات الوراثية) التي تحمل الصفات الوراثية من جيل إلى آخر , و طبعاً العلم الحديث يؤكد اثر الوراثة في الإنسان جسماً و عقلاً و خلقاً.

و دين الإسلام يتفق مع ذلك تماما و الأحاديث النبوية في ذلك كثيرة منها قوله صلي الله عليه و سلم (تحيروا لنطفكم و انكحوا الأكفاء) البخاري

و في وراثة الأخلاق يقول الشاعر العربي :

ورثنا المجد عن آباء صدق و نورته إذا متنا بنينا

و علماء الوراثة أيضا يقولون بوجود أو بحدوث ما يسمى طفرة (أي تغيرات في جينات الوراثة) لأسباب بعضها معروف و بعضها غير معروف .

ومما يجدر ذكره في صدد موضوعنا هذا انه :

في عام ١٩٦٠م ثارت ضجة قوية في الأوساط الصهيونية في أمريكا و اسرائيل حول كتاب وضعه عالم يهودي قدير يعتبر من أقدر علماء الأجناس وهو البروفسير (مورو مفتش) أستاذ علم الأجناس والبيولوجيا في الجامعة العبرية.

وقد مضت عليه عدة سنوات وهو يقوم مع مساعديه باجراء تجارب علي المهاجرين اليهود اللذين جاؤا إلى اسرائيل من مختلف أقطار العالم.

وكان القصد من هذه التجارب هو فحص دماء هؤلاء المهاجرين اليهود وهل تؤلف فصيلة واحدة من الدم ؟

تعتبر هذه التجارب أخطر عملية للدلالة علي نقطة هامة وهي:

هل اليهود شعب له فصيلة واحدة من الدم مع اختلاف اقطاره ؟

وأظهرت تجارب التي قام بها البروفيسير (موروفيتش) وسجلها في كتابة:

" أن اليهود ليسوا شعباً بل طائفة دينية تضم جماعات كثيرة من الناس اعتنقوا ديناً واحداً.

وأن نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب واسحاق.

وأن يهود اورروبا الشرقية لا ينتمون إطلاقاً إلي الفصيلة اليهودية.

وبذلك تكون قد سقطت الخرافة الصهيونية التي تزعم ان اليهود شعب له قومته وله

حقوق تاريخية"

ثانياً البيئة : الدراسات الحديثة في علم النفس أثبتت انه في السنوات الأولى من حياة

الإنسان ممكن ان يكتسب صفات أخلاقية لا ترجع إلي أسباب وراثية ولكن ترجع إلي ظروف أو

أحداث جدت بعد الميلاد مثل : الحالات العصبية , النقص في الحلقة كضعف السمع أو البصر أو

أصابه بمرض أو ما شابهه .

وعولوا كثيراً علي أن مجرد التشابه في السلوك الأخلاقي بين الابن و أبيه غالباً يعود إلي

التقليد و المحاكاة , أو وحدة ظروف البيئة , و علماء النفس والأخلاق يعطون البيئة قدراً كبيراً من

الاهتمام في تكوين شخصية الفرد و إن كانوا يميزون بين :

أ - البيئة الطبيعية ب - البيئة الاجتماعية

أ - البيئة الطبيعية : هي كل ما يحيط بالإنسان من عناصر الطبيعة كالأرض و البحار والأنهار

و الأشجار و الهواء و الحر و البرد و خصب الطبيعة حوله أو جدما و الخ

ب- و البيئة الاجتماعية .. هي كل ما يحيط بالإنسان من أفراد و جماعات و مؤسسات عبادة

أو تعليم أو تجمعات بشريه حكومية أو شعبيه الخ

وللبيئة الطبيعية و البيئة الاجتماعية اثر فعال في تكوين و نمو الأفراد و التأثير علسي صفاتهم

الجسمية و النفسية بما يؤثر علي سلوكهم و أخلاقهم .

فأهل السواحل غير أهل الصحارى و أهل الغابات , و سكان البلاد الحارة يختلفون عن

سكان مناطق البلاد الباردة و أهم ما في البيئة الاجتماعية هي البيئة الحاضنة لنمو الطفل حتى يشب

علي الطوق لها كبير الأثر في غرس و تأصيل الصفات و الأخلاق التي تنتقل إليه فيرضعها مع لبن أمه منذ ان كان رضيعاً ثم تنتقل إليه بالمحاكاة و التقليد و هو صبي تتأصل فيه مع مرور الأيام و السنين حتى يشيب علي ما شب عليه .

ثالثاً: أثر العادة :

يتكون الخلق بالممارسة و الاعتياد . و بكثرة تكرار الفعل و المواظبة عليه و لعل ذلك هو الملاحظ عند هؤلاء الذين عرفوا الخلق (عادة الإرادة) .

ف عندما يراد تحويل المرء من خلق ذميم إلى آخر حميد ، أو يراد تكوين خلق معين له لم يكن موجود أصلاً من قبل ، يحمل المرء علي إتيان هذا العمل و تكراره و يعود ذلك مرة بعد أخرى مع استعمال وسائل الاغراء و الترغيب التي من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد و الاقبال علي ممارسته برغبة صادقة و ميل أكيد ، و استخدام وسائل التنفير من ضدة بحيث تصير نفرتة منه و ابتعاده عنه ميلاً و رغبة بل طبيعة و خلقاً .

و بالمواظبة علي هذا التكرار و المداومة علي هذا الفعل الحميد يصبح إتيانه و ممارسته عادة لازمة و طبعاً دائماً أي يصير خلقاً له ، يصدر عنه تلقائياً من غي أن يسبقه تفكير و تقدير . فيصبح انطباعاً من انطباعات النفس ، و حالة من حالاتها تحملها علي الفعل من غير حاجة إلي تأمل أو روية .

و مما أثار من أقوال فلاسفة الإسلام في هذا الصدد قول ابن نسكاوية (ومنها الحالة النفسية ما يكون مستفاداً بالعادة و التنريب . وربما كان مبدؤه بالروية و الفكر ثم يستمر عليه أولاً فاولاً حتى يسير ملكة و خلقاً) .

و يقول ابن خلدون في مقدمته " إن أهل البدو أقرب إلي الشجاعة من الحضرة . و أصله أن الإنسان ابن عوائده و مألوفه . لا ابن طبيعته و مزاجه ، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً ملكة و عادة تزل مرلة الطبيعة و الجبله" .

و قول ابي علي بن سينا :

" يمكن للإنسان متى لم يكن له خلقٌ حاصل، أن يحصله لنفسه . و أعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد مراراً كثيراً، زمناً طويلاً . في أزمان متقاربة، فإن الخلق الجميل إنما يحصل علي العادة و كذلك الخلق القبيح" .

لذلك ينشا من يرتاد المعابد محباً للدين متمسكاً به و من يرتاد المسارح والملاهي و ألعابها فتكون فيه كعادة و تتأصل كطبيعة كما يقولون (العادة طبيعة ثانية) .

و كذلك وقع الحال للمحضن الأول لليهود أو المتهودين سواء كانوا أصلاً من بني إسرائيل أو لا ، و هذا هو سبب التصاق هذه الصفات المرذولة بهم لأنهم كلهم أهل " جيئو واحد " يفرخهم جميعاً و يطعمهم بطبع واحد ، و أجمع علماء النفس وعلماء الاجتماع علي أن :

" الاسرة هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها ، فهي التي تقوم بأول عملية اجتماعية التثنية و الترويض الاجتماعي " ، و الاسرة هي التي تنقل التراث القومي و الحضاري من جيل إلي جيل .

وهي فوق ذلك مصدر العادات و التقاليد و قواعد السلوك و الآداب العامة ، وهي دعامة الدين الرقبية علي تنفيذ طقوسه و تعليماته .

كما ان الثقافة التقليدية أو التراث الشعبي و هو العلم الذي يهتم بدراسة كل شيء ينتقل اجتماعياً من الأب إلي الدين ، و من الجار إلي جاره ، مستعداً المعرفة المكتسبة عقلياً سواء بالجهود الفردي أو من خلال المعرفة المنظمة التي يكتسبها داخل المؤسسات الرسمية كالمدارس و هي تشمل التراث الروحي للشعب ، هذه التقليدية أو التراث الشعبي يتسع ليشمل :

"المعتقدات و المعارف و العادات و التقاليد ، و الأدب و فنونه و الفنون الشعبية و الثقافة المادية " .

يتصور البعض أن التمرين لا يكون إلا في الرياضات البدنية ، و الحقيقة أن لا يكتسب الإنسان خصلة حسنة أو خصلة سيئة بالتمرين " الحق تعالي يكرر هذه المعلومة بأشكال و أمثال أمثال عديدة : "وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ^ط وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا^ط عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ^ط نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ^ط سَنُعَذِّبُهُمْ^ط مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى

عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ " التوبة ١٠١

فهؤلاء غرسوا علي النفاق والرياء حتى أصبح طبعهم فهم يتشكلون بسهولة حسب الطلب
وكأنهم صادقون في ذلك من كثرة التمسين. " بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ

حَاطَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ البقرة

كلما كرر الانسان اثما أو خطأ ثبت في ذهنه ثم دخل في نفسه وانطبع في قلبه حتى أصبح
يكرره بدون حرج بدون أن يشعر بخطورته ، وهذا يكون حينما تعوج النفس لدرجة أنها لا تميز بين
الحق والباطل.

النفوس إذا فسدت فلا تستطيع حسن التصرف بعدها ، ولا تستطيع التفريق بين الحق
والباطل وليس لديها العزم علي أن تحمل نفسها علي الصراط فقد تمرنت ثم تشكلت علي عكس
ذلك.

ويؤكد هذا التحليل و الاستنتاج ما ورد في كتاب الإمتاع و الموائسة لأي حيان التوحيدي
(الجزء الثاني) و فيه :

أن مجوسي أحسن إلي يهودي و أطعمه بعد ان كاد يهلك جوعا و حمله علي بقلته و مشي
بعد ان كاد اليهودي يسقط من التعب و الإجهاد ، ثم ما كان من اليهودي بعد ان علم أن المجوسي
قد أعيا حرك البغلة و سبقه و هرب بها و نادى عليه المجوسي قائلاً : يا هذا احملني ولا تركني هنا
فياكلني السبع و أموت جوعا ، و إرحمني كما رحمتك ، و اليهودي لم يلو علي ندائه و استغاثته حتى
غاب عن بصره و يتس المجوسي منه و اشرف علي الهلكة فرفع يده و طرفه إلي السماء ودعا الله ان
ينقذه فما مشي المجوسي إلا قليلاً حتى رأى اليهودي قد رمته البغلة و اندقت عنقه و هي واقفة
ناحية منه تنتظر صاحبها ، فتوسل إليه اليهودي واستعطفه ، فطلب منه المجوسي ان يفسر له هذا
السلوك الشائن الذي قابل به الإحسان بالاساءه و الجميل بالكران ، فقال اليهودي : اعتقاد نشأت
عليه ومذهب تربيت به ، و صار مالوفاً معتاداً كالجيلة بطول الدأب فيه و استعمال بنيتيه (أي
الأصول التي بني عليها) ، إقتداء بالآباء و الأجداد و المعلمين من أهل ديني و من أهل مذهبي ، وقد
صار ذلك كالأس الثابت و الأصل الثابت ، و يصعب ما هذا وصفه أن يترك و يرفض و يسزال ،
فرحة المجوسي و حمله معه .

الإرث الثقافي و أثره :-

فبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب الذي سمي (يسرائيل) فمما لا خلاف عليه ان إبراهيم عليه السلام ولدت له هاجر إسماعيل ابنه البكر و كان عمره ٨٦ عاماً (كان عام ١٩١١ ق.م) ثم بعد أربعة عشر عاماً أنجبت له سارة ابنه إسحاق بعد ١٤ عاماً (عام ١٨٩٧ ق.م) و كان عمر إبراهيم حينئذ حوالي مائة عام .

و تقول روايات العهد القديم ان إسحاق لما بلغ سن الأربعين تزوج زوجة تدعى (رفته) و هي آرمية من جاران , و يضيف العهد القديم أن الرب خاطبه ووعده بأرض أبيه و انه سوف يباركه و يغنيه و انه سيحفظ شريعته , ولما تقدم السن لإسحاق و تجاوز الستين عاماً دعا ربه ان يرزقه الولد , رغم ان امرأته (رفته) كانت عاقراً و استجاب له الرب و حملت (رفته) من إسحاق و قال لها الرب في بطنك اثنان ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى علي شعب , و كبير يستعبد الصغير .

ر أنجب إسحاق بن إبراهيم توأمين (عيسو أو عيص) خرج أولاً وهو الأكبر وكان جسمه الأحمر مكسو بشعر غزير لذلك سموه عيسو ثم خرج أخوة وهو الأصغر ممسكاً بعقبه لسمى (يعقوب) الذي سمي بعد ذلك بإسرائيل , وكان إسحاق يحب عيسو لأنه بكره و يرتاح إليه , ولما كبر صار صياداً مهاراً في البرية .

أما يعقوب فكان خاملاً يلزم البيت ولا يرحله وكانت أمهم (رفته) تحبه أكثر من عيسو لأنه الأصغر والملازم لها طوال الوقت في البيت . والحقيقة أن كل من يقرأ أول أسفار العهد القديم - سفر التكوين - ويصل إلى قصة يوسف ويتأكد له أن كل الأحداث السابقة عليها كأنما هي تمهيد لظهور يوسف عليه السلام , ويجد أنها لأهميتها تستغرق كل النصف الثاني من هذا السفر . ويورد سفر التكوين موقفين للأخوين (يعقوب و عيسو) .

الموقف الأول : سفر التكوين الإصحاح ٢٥ (٣٠ إلى ٣٣) فيه : (بيع البكورة):

في ذات يوم عاد عيسو من القنص في البرية وكان جائعاً ومجهداً وكان يعقوب أعد لنفسه طعام , وأشتهى أن يأكل منه فقال إلى أخيه يعقوب: " أعطني أكل من هذا الأحمر فأني متعب " . ورد عليه يعقوب بقوله : " بع لي أولاً حق بكورتك الآن فوراً " . وقال عيسو : أنظر أنني أكاد أموت جوعاً فما يعينني حق البكورة ؟ .

ولكن يعقوب الخ بقوة قائلاً : " فلتقسم لي الآن في التوا " , وأقسم عيسو وتنازل عن حق البكورة , وكان المقابل كسرة خبز وبعض العدس .

هذا الموقف يمكن تحليله واستنتاج مدي تلفيةة بل وإختلافة وأن كاتب هذا اللأصحاح أنماط يهدف إلى تبرير انتفاء حق البكورة إلى عيسو وخلعها على يعقوب .

وربما يتساءل المرء لماذا ؟ .

لان عيسو وهو جد الأدميين , وقد لجأ عيسو إلى عمه إسماعيل ابن إبراهيم (أبو العرب المستعربة) وتزوج أبنته وليس من مصلحة بني إسرائيل أن يكون لنسل إسماعيل أى نوع من الامتيازات أو الحقوق ويكون مبرراً وسابقة لسقوط حق إسماعيل في البكورة وتبقى إلى أبناء يعقوب أى إلى بني إسرائيل أنه أسلوب احتيال بني إسرائيل المعهود دوماً .

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين)

الموقف الثاني : أيضاً من سفر التكوين لكن من الإصحاح السابع والعشرين (١٩ الى

٢٣) .

لما تقدم إسحاق في السن فقد بصره من أثر الشيخوخة ومرة نادي ابنه البكر عيسو وطلب منه أن يصيد له من البرية حيواناً وأن يعد منه طعام له ثم يأتي إليه ليباركه .

سمعت (رفقة) زوجته هذا الحديث فأسرعت إلى أبنها المقرب إليها (يعقوب) واتفقت معه على خداع أبية ليسرق بركه أبية ودعائه ليعقوب دون عيسو ولكن كيف ؟ .

بعد أن ذهب عيسو للصيد وطلبت رفقة من أبنها يعقوب أن يحضر جديدين ويذبحهما ويقدمهما إلى أبية على أنه (عيسو) وحتى تتم الخدعة مجبوكة جعل على ذراعية فرو الجدى حتى إذا لمسه أبوة أو تحسس يده ووجدها مشعرة تماماً كيدي عيسو ونفذت المؤامرة فدعا إسحاق له (يان يرزقة الله من خير السماء والأرض وأن يسجد له ولبنية شعوب الأرض أن يستذل له أخاه ونسله) .

" فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني . قم اجلس وكل من صيدى لكي تباركني نفسك . فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا بني . أنت هو عيسو أم لا ، فتقدم يعقوب إلى أبية فجلسة وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيد عيسو أخيه . فباركه . وقال هل أنت ابني عيسو فقال أنا هو .

هكذا تمت الجريمة انتحال شخصية من نبي ضد نبي وبمساعدة زوجة وأم نبي!!!

وأغتصب يعقوب (النبي) حق أخيه عيسو؟؟

مؤامرة وضيفة من يعقوب وأمه وأحبال على إسحاق مستغلين شيخوخته وضعف بصره كما كتبها كاتب هذا الأصحاح وحقق هدفه ثم يكمل بقية الدراما عندما يعود عيسو بصيدة

ماذا حدث لعسو؟

يكشف خيانة وغدر أمه وأخيه له فيذهب إلى أبيه ويفصل له الأمر ويطلب أن يباركه هو أيضاً .

ولكن إسحاق يرفض ذلك رغم حبه له لماذا؟ لأنه قد بارك يعقوب!:

هل أنتهى الأمر وأن البركة هذه بالأسبقية أو بالأحقية!!

أخى القارىء العزيز فى الشأن التوراتى لا تحكم منطق العقل فلهم منطقهم الذى يستبيح المحرم ويحرم الشرعى ويجب الحق ويرفع الباطل , وأن كنت فى شك من ذلك فأنظر بعد ذلك , ماذا قال إسحاق لأبنة البكر (عيسو) البار بأبيه والذى يحبه أبوة ويفضله , أنه لم يرفض أن يباركه فقط بل قال له :

" بعيداً عن خصب الأرض تعيش , بعيداً عن ندى السماء من فوق , بسيفك ستعيش , لأخيك تستعبد ولكن إذا صمدت فإنك تخلع نيره عن عنقك " سفر التكوين ٢٧ (٣٩ إلى ٤٠) .
والنتيجة : بيت النبوة يتداعى .

أرث يعقوب أو نظام الوراثة بين الابن الأكبر والاصغر:

كان يعقوب مثلاً للتاجر السامى اللين الخدق، والوالف الحيلة الذى يحرص على المكسب وعلى أن تتم صفقاته لا بالقوة بل بالخدق دون ان يتردد كثيراً فى اختيار الوسائل التى ييز بها منافسية ويتفوق عليهم.

هذا الجمع غير المرغوب فيه بين الجشع والمكر ، فخدع اخاه عيسو وسلب منه حقه فى الإرث كما سلبه بركة أبيه وحيث كان عيسو الأكبر فكان من حقه وفقاً للنظام الشائع أن يمنع عليه بركة أبيه وأن يرثه أما الوسائل التى سعى يعقوب عن طريقها فكانت ببساطة (مواقف حاده من المؤامرات). حقا أن الموقف الثانى من الخديعة التى تمت على الأب الكهل، لم تكن من صنع يعقوب

وإنما أوحى به إليه أمه (رفقة) و كانت تسمى قبل زواجها (لبية) ذلك لكي تختبر مهارتها في خداع زوجها. وموافقة يعقوب لها تبرهن علي أنه ما كان يعوقه في خداعه لأييه شعور بالود إنما كان الميل إلى الحيلة، السريعة يغلب كل إحساس طيب عنده.

قد يثير مثل هذا التواطىء في مرحلة معينة من التطور الأخلاقي بعض الاستهجان، وقد لا يثير هذا الاحساس علي الإطلاق ، اللهم بين اللذين يعانون منه فقد يميل الشخص غير المتحيز المعاصر لهذا الفعل، إلى أن يثني علي هذا التواطؤ الذي يدل علي المهارة والذكاء اللذين مكنا صاحبهما علي الانتصار علي شخصية لا تتسم إلا بالصدق والغباء !! .

لكن بعد أن تغيرت المقاييس الأخلاقية فقد أصبح الرأي الجماهيري يقف في صف الصادق الغيبي. لأنه يخلخل رباط الثقة المتبادلة من الناس.

يحاول بعض مفسروا العهد القديم إيجاد عذر يزيل وصمة الخداع عن (يعقوب) بالقول أنه يستند إلي القانون الوراثي القديم علي تلك الحقبة. وأن كان منتشرأ في الزمن ما يعرف باسم (حق الإبن الأصغر) أو حق وراثة الابن الأصغر ذلك في مقابل حق وراثة الابن الأكبر ويجدون لذلك تطبيقات سابقة مذكورة في العهد القديم فيما فعله اسحق الذي كان اصغر من أخاه إسماعيل. كذلك ما فعله يعقوب مع يوسف الذي كان أحب أبنائه لأنه (كان ابن شيخوخته) ولكن يرد علي ذلك بأن يوسف لم يكن الأصغر في رواياقم الدفاعية. ولكننا نذكرهم أن (بنيامين) ومعناه (ابن اليمين) وهذا اللقب يكفي لوعفه صاحب الحق الشرعي في الإرث.

وكذلك يذهب سفر الخروج في روايته المشهورة عندما هم يعقوب أن يبارك حفيديه ولدي يوسف وهما (منسي) الأكبر (الفرام) الأصغر يقول نص الإصحاح في الثامن والأربعين:

" فلما رأى يوسف أباه وضع يده اليمني علي رأس (الفرام) ساء ذلك في عينيه فأمسك بيد أبيه لينقلها من علي رأس (الفرام) إلي رأس (منسي) وقال يوسف لأبيه ليس هذا يا أبي لأن هذا هو البكر ضع يمينك علي رأسه فأبي أبوه فقال علمت يا بني علمت هو أيضا يكون شعباً وهو أيضاً يكون كبيراً ولكن أخاه الأصغر يكون أكبر منه ، ونسله يكون جمهوراً من الأمم".

وبعد أنه منطوق بني إسرائيل - أو كتاب العهد القديم الغير محكوم لا يمكن تعميده ولا حكمه بأي ضابط غير التغير المزاجي وإيجاد التغيرات لكل المتناقضات بقواعد الفعل ولا يمكن تقييده ولا حكمه بأي ضابط غير التغير المزاجي وإيجاد التبريرات لكلا المتناقضات. (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين.

"فيهجر عيسو بيت أبيه , ويتوعد أخاه يعقوب بالقتل , ويترك أهله ويلجأ إلى عمه إسماعيل
ابن إبراهيم؟ .

أما يعقوب فخاف بطش أخيه بعد أن كشف غشه وخداعه فهرب إلى حيث وجهته أمه إلى
خاله (لابان) في بيدان أرام (بيت لحم حالياً) .

وتزوج أبتية لينة وراحيل وأيضاً من جاريتيهما بلهه وسمحا .

ولزواجه أبتية قصة جوهرها الخداع والتزوير كيف؟ لما فر يعقوب إلى خاله (لابان)
طلب من خاله أن يزوجه أبتية (راحيل) ولكن خاله خدعه وبدل له (لينة) الكبرى بدلاً من
راحيل.

فلما دخل عليها وجدها (لينة) .

وخدم خاله لمدة سبع سنوات مهراً , ثم طلب (راحيل) فزوجها له وخدمه لمدة سبع
سنوات أخرى مهراً لها .

عاش يعقوب عشرين عاماً خادماً لخاله منها ست سنوات أجرة الغنم وفي نهاية العسرير
عاماً دبر هو وزوجة راحيل سرقة خاله وأخذ ماله وأصنامهم . سرق أغنامهم بحيلة غريبة كما هو ثابت
في كتابة المقدس عندهم .

ولن نعلق علي منطقية هذا السرد التواري هذه القصة ومدى قبول العقل لها , ولكننا نذكر
أيضاً بأن عهدهم القديم يذكر كذلك حدث الكثير من حوادث الزنا في بيت النبوة بيت يعقوب
(إسرائيل) أصل بني إسرائيل فمثلاً وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- يذكر أن شكيم ابن همور قد زنا ببنت نبي الله يعقوب (دينا) .

- ويذكر أن (رآوبين وهو ابن يعقوب زنا بأحدي سراى أبية يعقوب اوهى
(بنهة) وسمع يعقوب بذلك) سفر التكوين ٣٥ (٢١ إلى ٢٢) .

ترى ماذا فعل يعقوب إزاء فعل ابنه أنثاشان؟.

لا تدهش أيها القارئ العزيز : فهكذا تحكى التوراة المحرفة!!.

صمت مطبق... هدوء واستسلام للأمر هل أقام الخد حتى بصفته نبياً

كلا!.

هل ثار لكرامته وهو النبي ابن النبي (إسحاق) ابن النبي (إبراهيم) أبداً .
أنه يعقوب إى إسرائيل أبو الأسباط الأثنى عشر الذى ينسب إليه جميع بنى إسرائيل هل يشع
هذا فى بيته ؟ .

بزعم للعهد القديم نعم !! .

الم تحدثنا تورا تم أن (ابن شكيم) كما ورد فى سفر التكوين أنه ذل (دينه) ابنة يعقوب
الوحيدة , إى ارتكب معها الفحشاء : (حاشا لله وكلا) .

وقصتها فى العهد القديم , سفر التكوين - الإصحاح الرابع - والثلاثون هى فى التوراة العبرية
.. " خرجت لينا بنت ليئه التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض . فرأها شكيم ابن حمور الحوي
رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذفا وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب و أحب الفتاة
ولاطف الفتاة فكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجه * و سمع يعقوب إنه نجس دينه
ابنته أما بنوه فكانوا مع مواشيه فى الحقل فسكت يعقوب حتى جاءوا " (١ - ٥) .
أما فى التوراة السامرية :

" خرجت لينا لأه التى ولدت ليعقوب للفرج مع بنات الأرض و نظرها شكيم ابن حمور
الحوي رئيس الأرض فأخذها واضطجع معها وأفضها * و علقت نفسه بدينه بنت يعقوب و أحب
الفتاة و إستمال قلب الفتاة و قال شكيم لأبيه قولاً خذ لي الوليدة هذه زوجه * و يعقوب سمع أن
نجس دينه ابنته , و بنوه كانوا مع مواشيه فى الصحراء فأصمت يعقوب حتى حضروا " ١-٥
و تنفيذ النصوص التالية تقدم حمور خطبة دينه لابنه - و تظاهر أبناء يعقوب بالموافقة ولكنهم
اشترطوا أن يحتن أولاً كل ذكر من أهل شكيم . حتى يمكن أن يتصاهروا فيما بينهم ويصبحون شعباً
واحداً .

و تم تنفيذ هذا الشرط و أطاع أهل المدينة حمور و شكيم و خنتوا كل ذكر .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟

بقية نصوص الإصحاح من التوراة العبرية تقول :

" فحدث فى اليوم الثالث أن كانوا متوجعين - أى آل شكيم من أثر الختان - أن إبني
يعقوب و لاري أخوي دينه أخذوا كل واحد سيفه و آتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر * و قتلا

هور و شكيم ابنه بجد السيف . و أخذوا دينه من بيت شكيم وخرجوا * ثم أتى بنو يعقوب علي القتلى و هبوا المدينة لأنهم نجسوا اختهم * غنمهم و بقرهم و حميرهم و كل ما في المدينة و ما في الحقل أخذوه و سبوا و هبوا كل ثرواتهم و كل أطفالهم و نسايتهم و كل ما في البيوت * فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماي بتكريهكما اياي عند سكان الأرض الكنعانيين و الفرزيين و أنا نفر قليل فيجتمعون علي و يضربوني فأبيد أنا و بيتي فقال أنظير زانيه يفعل باختنا " (٢٥-٣١)

أما التوراة السامرية فتقول نصوصها عن موقف يعقوب :

"وقال يعقوب لشمعون و لاوي أخذيتماي باشناعي عن سكان الأرض عند الكنعان و عند الفرزي و أنا في رهط قليل فيجتمعون علي و يقتلونني و استاصل أنا و آلي * فقال كيف زانيه يجعلون اختنا "

وهنا أري حتماً علينا أن نقف أمام النصوص متأملين معانيها بعمق لماذا تلويت سمعة و سيرة بيت النبي يعقوب ...؟

وهل من المنطق أن تخرج دينه (لتنظر بنات الأرض) في روايه - و في الأخري (للتفرج مع بنات الأرض) (و ينظرها) أو (يراها) شكيم فيأخذها فتسير معه إلي بيته (و يضطجع) أو (وينضجع) (و يذها) أو (يفضها) هكذا بسهولة دون أن تستغيث .؟

و لنفرض أن ذلك حدث

فهناك كثير من التساؤلات تثيرها النصوص التالية :

(و أحب الفتاة و لاطف الفتاة)

(و في الرواية و أحب الفتاة و إستمال قلب الفتاة)

ففي هذه الحالة هي شريكته في هذا الجرم بموافقتها له ...

فلماذا يعاقب هو و أهله ولا تعاقب هي ؟

هذا علي فرض أن هذا حدث

و لكنه الإفراء علي أنبياء الله (قاتلهم الله أني يؤفكون) التوبة ٣٠

ثم كيف يحدث هذا من أبناء نبي كريم بن نبي كريم بن نبي كريم (يعقوب بن اسحاق بن

إبراهيم)؟!)

ثم مرة أخرى بفرض إنه حدث .

أليس في ذلك فساد عظيم أن يهلك أهل مدينة كل ذكورها و هم جميعاً أبرياء ماعدا واحد
بفرد صحة الإدعاء , ثم بالاحتكام إلي منطق العقل ... أيعقل أن يقوم اثنان بقتل جميع ذكور المدينة؟

ثم مرة ثالثة بفرض أن ذلك حدث :

فكيف يسكت نبي الله يعقوب علي قتل الأبرياء , و نهب أموال ذوي الضحايا؟

لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين

للسائلين عن الحقيقة فهي في القرآن .. ثم ألا يذكر ذلك و يفرض علي ذاكرتنا إسترجاع ما
حدث في دير ياسين و كل قريه و مدينة في فلسطين اختله هي دير ياسين . هي أرض شكيم ...
ولكن دون إعتداء أحد من أهلها .

أليس ما يقوم به الكيان الصهيوني اليوم هو تنفيذ للموروث التوراتي المحرف الغير صادق ؟

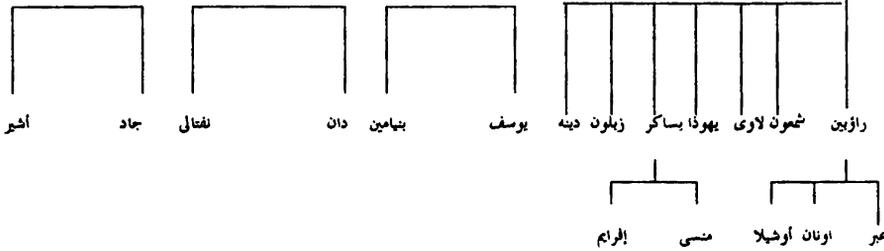
(لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين)

وحتى يقف القارئ علي زوجات و أبناء يعقوب فهم



يعقوب (الأب والزوج)

لينه (الزوجة الأولى) راحيل (الزوجة الثانية)
ابنه خاله ابنة خاله وأخت لينه
جارية لينه جارية راحيل
بلهه



إثني عشر إبناً ذكراً (الأسباط) وابنة واحدة هي دينا (أو دينة).

معنى أو (دلالة) أسماء الأسباط

- ١- رايون : (الرب يري) أي يري ما يعانیه شعبه من أذي أي العظيم.
- ٢- شمعون : (الرب يسمع) أي يسمع آلام شعبه و شكواهم أي الطائع.
- ٣- لاوي : (الرب يتحد) يتحد مع شعبه و يعاونه وقت الشده أي التام.
- ٤- يهوذا : (الرب يشكر) الرب يشكر لتخليصه شعبه من العبوديه أي الشاكر.
- ٥- يساكر : (الرب يكافئ) الرب يكافئ شعبه و يعوضه علي ما عاناه أي الحاضر الرجاء.
- ٦- زبولون : (الرب يتخذ مثوى) الرب مثواه بين شعبه أي النجاة من هول الليل
- ٧- دان : (الرب يدين الأمم لشعبه) يدين الشعوب لشعبه أي الحاكم
- ٨- نفتالي : (الرب يمنح) الرب يمنح إسرائيل التوراة أي المتضرع
- ٩- جاد : (الرب يجود) الرب يجود علي الشعب بالمن و السلوي أي الحظ.

١٠ - آشر : (الرب يسعد) الرب يسعد إسرائيل بين الشعوب أي المجد .

١١ - يوسف (الرب يخلص ثانياً) الرب يخلص إسرائيل مره ثانية بعد المرة الأولى .

١٢ - بنيامين : (اليد اليمنى للرب) التي تخلص شعبه

ومجموعهم اثني عشر ذكراً ... هم الأسباط لأن كل واحد منهم قد له سبط أو قبيلة .

ويحكى سفر التكوين قصة لا تقل غرابية ولا تقل استهجاناً ذلك ما كان - حسب رواية

سفر

التكوين - من يهوذا والذي يطلق عليه احياناً (يودا) فقط كان متزوجاً من امرأة كنعانية

أنجب منها ثلاثة أبناء (عير وأونان وشيلا)

تزوج الابن الأكبر (عير) من امرأة هي تامار ثم مات عنها ولم ينجب فتزوجها أخوة

الأوسط (أونان) ومات أيضاً قبل أن ينجب فرفض يودا أن يزوجه أبنة الأصغر (شيلا)

متشائماً وصرفها إلى بيت أبيها متعللاً بصغر سن (شيلا) على وعد أن يزوجه منه عندما يكبر

ويبلغ سن الزواج .

وكبر (شيلا) وبلغ سن الزواج ولم يزوجه أبوه من (تامار) فقررت الانتقام من يهوذا

(يودا) فخلعت ملابس الحداد ، وأخفت وجهها وراء نقاب وأنتظرت ذات يوم في طريقة وجاء

يهوذا فماذا حدث ؟

لنقرأ من هذا الأصحاح ٣٨ من سفر التكوين وبكلمات النص .. :

" ورآها يودا فظنها عاهرة فقد كانت تخفى وجهها ، فمال عن الطريق وتوجه إليها ، وقال

دعيني أدخل عليك ، إذ هو لم يكن يعلم أنها امرأة ابنية

وأجابت وماذا تعطيني إن سمحت أن تدخل علي ؟

فقال : أرسل إليك بجدي من القطيع ، قالت : فالتعطيني ضماناً (رهناً) حتى ترسله

(الجدي) ، قال اى ضمان تريدني أن أطرق ؟ قالت خاتمك ، بالسير وعصاك التي في يدك .

وأعطاهما ما أرادت ودخل عليها وحملت منه سفر التكوين ٣٨ (١٥ إلى ١٩)

* سبط في كلام العرب يعني الشجرة الملتفة الكثيرة الأغصان.

بعد ثلاثة شهور سريت خيراً وصل إلى يودا أن أرملة أبنية حملت سفاحاً.....
ثارت ثائرتة وحكم بإقامة الحد عليها وهو الإعدام حرقاً حسب الشريعة فأرسلت إليه
(تامار) خاتمه بالسير والعصى وأخبرته أنها حملت من الرجل صاحب الخاتم والعصى !!!!!
فصمت ولم يقم الحد وانطفأت ثورته عليها ولم يقرب منها وأكملت تamar حملها ووضعت
توأمين " فارص , زارح " .

هل يعقل بعد ذلك أن يكونو هم شعب الله المختار ؟

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسمائلين)

أنهم (كتبة التوراة والتلمود) يجردون الأنبياء من العصمة التي أكرمهم الله بها فيصورون
الأنبياء وكل الأنبياء

(لم يسلم منهم ولا نبى واحد) كأسوأ قدوة يقتدي بها الناس والهدف واضح لكل ذى
لب فطين ليسوقوا الفحشاء والمنكر وكل الرذائل !!

إذا كان ربُّ البيت بالذَّف ضارب ... فشيمة أهل البيت كلهم الرقصُ .

إن كنية أسفار التوراة لم يتركوا نقيصة إلا و ألقوها ببيت يعقوب فجعلوا منه (بيت
يعقوب) اختالين و الزناة و المتآمرين علي القتل و الكذابين و المختالين الخ
و كان ذلك عن عمد و قصد القصد من ذلك حتى يتآسي بهم أتباعهم بعد أن حرفوا
التوراة و عدلوا فيها بما يتفق مع الأهداف الشيطانية لتحقيق مآرب مادية دنيوية و ذلك ما سوف
يظهر جلياً في فصول هذا البحث.

(1) سنعرض هذه القصة بشيء من التفصيل في المبحث الأول من الباب الرابع

الفصل الثاني

{ يوسف بن يعقوب }

بعدها ذهب يعقوب إلى خاله (لابان) وعمل في رعى الغنم في حاران القديمة الكائنة بسين وأدى الفرات ودجلة وتزوج من زوجته المحبوبة راحيل بعد زواجه من أختها لينا وولد له من راحيل ابنه يوسف الذي أستقبل استقبالا حاراً من والديه وكان موضع رعايتهما وحدهما خاصة وأنه اظهر منذ سنواته الأولى فطنه وتميزاً غير عادي.

ولكن ماتت أمه وهو صغير مما جعل يعقوب يولى جل اهتمامه وعطفه وحده على ابني راحيل يوسف وأخيه بنيامين .

وكان ليوسف موهبة الذكاء الحارقة يصفه ربانية اليهود بأنه كان ابناً حكيماً وهب حكمة تفوق سنه , من أجل هذا ومن أجل جمال طبعه وذكريات أمه أحبه أبوه محبة خاصة ثم إنه كني كان يعلم أن ابنه سيكون نبياً وبكلمات العهد القديم (وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه) ومن أثر هذه المحبة أعد له قميصاً مارناً طويلاً هذا القميص لا يلبسه إلا أولاد الموسرين والأشراف ومن لا تدفعهم الحاجة ليكدوا في سبيل العيش , أما كل الذين كان يجب أن يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم فكانوا يلبسون الملابس القصيرة الداكنة اللون لكي لا يظهر عليه آثار الأقدار أو تعيق حركة الأطراف , هذا كان نصيب أولاد يعقوب من الكد والكفاح فليهم أن يحملوا على أكتافهم الحملان الضالة ويكافحوا مع اللصوص والوحوش المفترسة .

وعندما أعطى يعقوب مثل هذا القميص ليوسف فقد أعلن بالتعبية أن ابنه المدلل يجب أن يعفى من الكفاح والنضال , وفي تلك الأيام كانت إرادة الأب قانوناً وعندما رأى أخوته أن يوسف قد تقدم بهذا القميص أحسوا بأنه سيكون له نصيب الأسد في المعيشة فهم الأنفع لأبيهم من يوسف وأخوه فهم اللذين يكدحون ويعملون وهو الذي يدلل (فلما رأى أخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام)

وهكذا تراكمت كل مواقف اهتمام يعقوب بيوسف وتفضيله على أخوته إلى إذكاء نار الغيرة في قلوبهم والحقد عليه والكراهية له (٢) , فالهقد داء أسود وبيل ومرض مدمر يدمر حياة صاحبه ويدمر من يحيط به لذلك تمنى زوال النعمة عن الغير وان لم تزل سعى للعمل على زوالها ولقد تكرم الله على عباده بأن أنزل سورة الفلق للاستعاذة من شر الحسد

وبالقطع فإن يعقوب أدرك حسد أخوة يوسف له ولكنه لم يرد للأمر أن يزداد تعقيدا بدليل أنه نصح ابنه يوسف لما قص عليه رؤياه (وإذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنني رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) . فلا يستبعد أن يعقوب عليه السلام عرف تعبير هذه الرؤيا قائلا له (قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

ويدل ذلك علي أن يعقوب علم أن يوسف سيكون نبياً:

لا بد أن يعقوب كان يلاحظ أن أبناءه لا يحبون يوسف وأهم يتمنون له الشر وأهم لا يتورعون عن ائذائه لهما كان في ذلك عصيان لأبيهم أو سببا لآلامه ، أو حتى خروجاً عن الشريعة ... فحذر يوسف منهم لأن الشيطان كما يري يعقوب تستطيع أن يوقعهم ويؤثر عليهم فيكونوا المطيعين لمرغبات الشيطان - فيعقوب - يخشى علي يوسف أذاهم ويخشى عليهم سيطرة الشيطان ووقوعهم في شباكه.

فالجرم أو المعاصي دائماً في أسر الشيطان ، وسجين شهواته ، وقيود هواه ، فهو أسير مسجون مقيد ولا أسير أسوأ حالاً من أسير أسره أعدي عدو له ولا سجن أضيق من الهوى ولا قيد أصعب من قيد الشهوة.

وفي الحديث النبوي : (الشيطان ذئب الإنسان).

لذلك أمر يعقوب ابنه يوسف بكتمان هذه الرؤايا ولا يقصها علي اخوته كيلا يحسدوه فيعقوب هو الأدرى بأولاده، ولا بد أنه بنظره الثاقب كان يدرك أنهم ييغون له الغوائل ويتمنون له الشر، فهو يري بنور النبوة لذلك نصحه الكتمان يتفق مع قول النبي صلي (استعينوا علي نجاح الخوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود).

أما عن الرؤيا ، فالأحلام كثيراً ما تكون شفرة ولا يستطيع فكها إلا الله ومن علم من رسول، ويعقوب عليه السلام أوحى إليه الله بتفسير هذه الشفرة لولده يوسف و الكتاب الحكيم بيننا أنه (ذو علم لما علمناه) ونجد في كثير من تصرفاته حكمة ومعرفة لا يستطيع فهمها، إلا من كان عنده علم خاص.

يعقوب لا يعلم معنى الحلم فقط بل يعلم ما سيكون من رد الفعل إذا حكى يوسف حلمه لأخوته ، إذاً عنده علم بالنفس البشرية، ولا يخفي عليه طبيعة أبنائه، وربما هذا من أسباب حبه ليوسف وأخيه بالإضافة إلي صغر سنهما وكونهما اثنين ضعافاً وسط عصابة قوية، وتقدم الشيطان ووجد فرصته أن يقوي ويدعم الاتجاه الكامن في النفس، ويعقوب يعلم هذا الاتجاه الغيره والاجرام في اولاده ويخاف ان يستغلها الشيطان (إن الشيطان للإنسان عدو مبین).

والكتب المقدسة لديهم تضيف سبباً آخر وتجعله سبباً لتخرج الأمر بين الإخوة وحسب كلمات النص (أتى بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم) مما يفسرونه بان يوسف كان مكلفاً برقابتهم ومسؤولاً عن تصرفاتهم أمام أبيه ولعل هناك ظروف تبرر هذه المراقبة لان كلمات الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين تقول عن يعقوب (لقد كان غيورا على سمعة العائلة التي كانوا قد لوثوها بين سكان الأرض) وفي رأيهم أن ذلك كان سبباً كافياً لكي يبغضوه (لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور)

ولكنني أستبعد فكرة تكليف يعقوب ليوسف بمراقبة أخوته لأن مراقبته لهم تستدعي متابعتهم ومراقبتهم وهو ما ينفيه خوفه عليه وتردده في إجابته لطلبهم (أرسله معاً غذا يرتع ويلعب وأنا له لحاظون)

ومما لاشك فيه أن ما أنزله الله (..... بما أوحينا إليك هذا القرآن ,,) هو الأصدق والأولى بالإتباع .

وقد أدت الكراهية المتزايدة في قلوبهم (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)

فعدوا العزم على التخلص منه فتشاوروا فيما بينهم وخططوا وانتهى تدبيرهم إلى (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) أما بعضهم " قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ

إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠١﴾ " واختمرت الفكرة في عقولهم وحان وقت التنفيذ .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١٠١﴾

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠٢﴾)

فكان رد يعقوب عليهم وهو الأعلم بطباعهم وقد يكون ساوره الشك أو أحسن قلبه بما يضمرونه له من شر قاتلا لهم (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ

الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٠٣﴾)

يعقوب (ذو علم لما علمناه) وذو بصيرة وحساسية يتمتع بصدق الحدس (ولكن الحذر لا يمنع القضاء من الله أو مصر) ، يشعر بأي خطر يهدد يوسف ويحوم حوله ربما من أخوته، ربما من ذئب ... الله أعلم ورغم تحذيره ليوسف أن يقص رؤياه علي أخوته ... جاء الخطر من جهه أخري ليس من سرد الرؤية كل من الحقد الكامن في النفس الغير سوية.

(قالو لئن أكله الذئب ولحن عصبه إنا إذا لخاسرون) أي إذا حدث وأكله الذئب فهم الخاسرون الي لا يرجي منهم نفعاً ولا خيراً ... أرادوا بقولتهم هذه أن يخدعوا أباهم ولكن كما يقول السيد المسيح (من فضله القلب ينطق اللسان) لقد أعلنوا الحقيقة أنهم لخاسرون.

الشر يطغى علي جانب الخير فيهم:؟

لقد اختلط الأمر علي البعض فيظن - خطأ - أن الخير والشر يعني الحسن والقيبح، وليس الأمر كذلك وأن تحديد المفهوم لأي مصطلح خطوة هامة لفهم المعني بعمق.

فكلمة (خير) تدل علي معني الانتقاء والاصطفاء من بين الأفعال فيختار ما هو انفع فكلمة (خير) يقصد بها نتائج الأفعال النافعة لصاحبها وغاياتها حميدة وقد وردت الكلمة في القرآن مراداً بها عاقبة الفعل ونتيجته كما في قوله تعالى:

(لمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

(وما تقدمه لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، وان تصوموا خيراً لكم).

وكما في دعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) لله تعالى (الخير بيدك والشر ليس إليك).

وقولة (بيدك الخير ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء).

والمعنى المقصود من هذا كله هو غايات الافعال ونتائجها النافعة ، هذا بخلاف الحسن والقيح.

وقد أشار القاضي عبد الجبار في مواضع متفرقة من كتابه (المغني) في تحديد معنى الخير والشر بما لا يدع مجالاً بينه وبين مفهوم الحسن والقيح حيث يقول :

" فإن قال : فما الشر في الحقيقة وما الخير؟

قيل له : الخير هو النفع الحسن.

والشر هو الضرر القبيح ويتعالى الله عن فعله ."

وتعريف القاضي للخير بأنه النفع الحسن يضع أمامنا تفرقة حاسمة بين معنى الخير والشر والحسن والقيح.

فالحسن ليس مرادفاً للخير ، و أن القبيح ليس مرادفاً للشر.

لأن التعريف هنا مكون من جزئين:

١- الجنس يعبر عنه القاضي بالنفع.

٢- الخاصة يعبر عنها بالحسن.

فلكي يكون الفعل حسناً لا بد أن يكون له من شرطين أساسين:

الأول: أن يكون الفعل حصل منه نفع لصاحبه. وهذا يرجع إلى غاية الفاعل من فعله ويعتبر النتيجة الحاصلة من الفعل.

الثاني : أن يكون حسناً في نفسه وليس قبيحاً وهذا يرجع إلى حكم العقل لأن الفعل حسن وليس قبيح. فإذا حقق نفعاً لصاحبه ولم يكن حسناً في نفسه فلا يسمى خيراً.

كما أن الفعل لو كان حسناً في نفسه ولم يحقق النفع لصاحبه فلا يعتبر خيراً.

والنتيجة أن الحكم بالخيرية أو الشرية على فعل لا بد مراعاة جانبين مهمين:

الأول: الغاية من الفعل لا بد أن يكون نافعاً.

الثاني: أن يكون هذه المنفعة في إطارها الأخلاقي الصحيح أن يكون الفعل حسناً في نفسه.

وبهذا النظر نجد أن ما فعله إخوة يوسف كان شراً بعينه .. لماذا

لأنه فعل به ضرر وهو قبيح في نفسه وبدأوه بخداع أبيهم حاوروه وجاهدوا في إقناعه

(قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٠٠﴾)

ولنفاذ مشيئة الله وقدره : وافقهم وأرسله معهم فلما مضوا به أرادوا تنفيذ ما ائتمروا به عليه ثم تراجعوا عن قتله واكتفوا بالتخلص منه بالقائه في الجب (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في عيابت الجب) ونفذوا ذلك

ورجعوا الى أبيهم وقت العشاء (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وإنما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة أى في ظلمة الليل ليكون أمشى لغدرهم لا لغدرهم (قالوا يا ابانا إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وحتى ينطلى خداعهم له وكذبهم عليه وليوهموه بصدقهم (جاءوا على قميصه بدم كذب) حيث عمدوا إلى سخله ذبحوها ولطخوا قميصه بدمها ولكنهم نسوا (أو بالأحرى) أنساهم الله أن يمزقوا قميصه ويخزقوه حتى يبدوا فعلا فعل ذئب .

ووصف الدم بالكذب مبالغه كأنه نفس الكذب وعينه

ولإحساس قلب الأب وصدق حدسه لم ينطل عليه هذا التواطؤ بينهم بدليل أنه (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) أما عن يوسف فماذا حدث له؟

ماذا حدث ليوسف؟

فقد التقطه بعض السيارة و اسروه بضاعة وباعوه بثمن بخس و كانوا فيه من

الزاهدين .

هكذا وصل يوسف بن يعقوب إلى مصر , دخلها كعبد رقيق اشتراه رئيس الشرطة (عزير مصر) حسب تسمية القرآن له .

و بقي يوسف في بيت هذا الحاكم

(و يسميه العهد القديم (فوطافر) و في الكتابات الاسلاميه يسمونه (اطفير بن روحيب)

و كان ملك مصر يومئذ (الريان بن الوليد من العماليق) و اسم امرأة العزيز (راعيل بنت رعايل) و قال غيره اسمها (زليخه) وقيل اسمها (فكا بنت ينوس)

و طبعاً ليس للأسماء هنا قيمة و إلا كان ذكرها القرآن .

و بقي يوسف في بيت العزيز عدة سنوات ثم تعرض لابتلاء عظيم من الله ذلك إن امرأة العزيز راودته عن نفسه و لكن اعتصم بالله و لم يفعل ما أمرته به و قال قولته المعبرة عن الإيمان الحق الموصول بالله، والمتمكن من قلبه:

(معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي أنه لا يفلح الظالمون) ٢٣

أبدأ لم يخن ولم يعتد وهو الذي لم يسيء إلي من أساء إليه فكيف يسيء إلي ربه الذي أحسن مثواي؟

أبدأ أنه ظل متمسكاً بالقيم التي يتحلى بها الأنبياء والصالحون مهما كان التهديد أو الوعيد ... ورفع شعاره الأخلاقي بأعلى صوته شعار القيم والمثل.

التي يتحلى بها الأنبياء والصالحين التي ما زالت مدوياً في أسماع الزمان يتردد صداها ليوقظ أصحاب الضمائر

ط
(قَالَ رَبِّ أَلَسْتَجُنُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)

و توجه إلي ربه بالدعاء و الرجاء و إلا تصرف عني كيدهن أصبب إلتين وأكن

مِنَ الْجَاهِلِينَ (فاستجاب له ربه لفصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم)

و كانت العقوبة كما حكموا بها كما في قوله تعالي :

(ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُهُ حَتَّىٰ حِينٍ)

و ذلك لدفع مقاله السوء عن امراته وتنسى حكايته

والعزيز : وشخصيته بطبيعتها الخاصة ، وبطيئته سميت الإمارة مصاباً بضعف النخوة وغلبة الرياء الإجتماعي وستر الظواهر وإنقاذها وفيه تمثل كل خصائص بيئته .

(ودخل معه السجن فتيان) أي دخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من خدم الملك الخاص أحدهما خيازه والاخر ساقيه تمتهما أنهما ارادا أن يسماه فسجنهما وسجن مع يوسف هذان الفتيان ورأيا فيه وكذلك بقية السجناء رأو فيه ومنه ما حبيهم فيه واطمأنوا له وأفضوا له بما يعانون .

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ^ط
وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا^ط
بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾﴾ .

وطلبا منه أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ولكنه قبل أن يفسر لهما رؤياهما قام بدوره في الدعوة إلى الله ولم يدعى أن علمه بالتأويل من عند نفسه أو بفراصة ادعاها ولكنه أسنده إلى الله قائلا :
﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا^ع
ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .

وهو دخل السجن ظلما وفي ظلمات السجن ولكنه لم يغفل عن الدعوة لدينه في كياسة وتلطف مع الحزم والفصل وفي إدراك لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها كما أنه لم يغفل عن حسن الأدب والسلوك الديني بهذا الدين الذي يدعوا إليه في سجنه وأنه كان قد بدأ الدعوة إلى الإسلام ديانة التوحيد الخالص وهو في السجن وقرر أنما دين آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب قررها في صورة واضحة كاملة دقيقة شاملة لوجوده في السجن لم يقنطه من رحمة الله ولم يقعه عن الدعوة لدين الله بل هو المثل الأعلى لكل الدعاة إلى الله أن الحن لا تصرفهم عن الدعوة إلى الحق ولا تحط من معنوياتهم أو تقلل من حماسهم لما أحسم قوله :

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا^ع
ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ مَا كَانَ

لَنَأَنَّ دُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ .

ذلك أنه كان متوكلا على الله وداعيا إليه فأخذ " يؤذن في الناس بالتوحيد وهو وحيد
ويعلمها ثورة على مظاهر الشرك متسائلا في سخيرية لاذعة " يا صاحبي السجن أرباب متفرقون أم
الله الواحد القهار " .؟

فهو لم ينس السير في نفس الطريق التي سار عليها آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب طريق
التوحيد والفضيلة (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾)

ثم بعد ذلك أجاهما إلى طلبهما وقال :

(يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا) أي انه سيخرج من السجن ويعود إلى ما
كان عليه من سقى سيده الخمر .

(وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) أي سيقتل ويعلق على خشبة فتأكل الطير من
لحم رأسه . (وقال للذي ظن أنه ناج منهما أذكرني عند ربك) أي أذكرني عند سيدك وأخبره عن
أمري لعله يخلصني مما ظلمت به

(فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي أنسى الشيطان الساقى أن يذكر أمر يوسف للملك .

(فلبث في السجن بضع سنين) أي مكث في السجن سبع سنين قال المفسرون إنما لبث في
السجن بضع سنين لأنه اعتمد ووثق بال مخلوق وغفل أن يرفع حاجته إلى الخالق جل وعلا

لذلك بقى في السجن بضع سنين حتى تتم التربية الربانية ليوسف ولا يعلق أمله إلا في الله

وحده

وبضع هو الثلاث إلى تسع سنوات فهناك من قال مكث ثلاث سنوات ومن قال سبع ومن
قال انه دخل السجن وعمره ٢١ سنة , وكان ذلك في عصر الأسرة الهكسوسية ١٥ (عام

١٧٢٤ ق.م) وبقي في السجن تسع سنوات وخرج منه (عام ١٧١٥ ق.م) وعمره ٣٠ سنة في عهد ملك خيان (سا أو سيران رع) ويعرفه المؤرخون الغرب بالملك (ريان)

يقول البعض أنه : هو الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لارد بن سام بن نوح

وهذا الملك رأى رؤية فقال (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾)

وجمع الملك هذه الرؤيا وقال :

(يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي أن كنتم للرؤيا تعبرون) ٤٣ .

وأنتهي الأمر إلى أن يوسف المسجون يمكن أن يفسر هذا الحلم , و قالوا له :

(يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) .

. و قام يوسف بتفسير الرؤيا لهم .

هذا كان من جملة أسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والتكريم وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد على حد أحد الأقوال بعد أن تحرى عنه وعرف وتأكد أنه طاهر الذليل مما نسب إليه زورا من قمة مفروضة وذاع صيته بالصدق والأمانة .

(وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِمَاءٍ أُسْتَخْلِصُهُ لِغَفْلَتِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٤٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٤٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴿٤٦﴾ نُصِيبُ

بِرَحْمَتِنَا مَن دَشَاءٌ^ط وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ (٥٤-٥٧)

وبخروج يوسف من السجن طويت صفحات البؤس والعبودية والكيده وفتحت صفحات
المجد والعز له فقد أصابه الله برحمته والله لا يضيع أجر المحسنين

ويذكر العهد القديم أن الملك زوجه ابنة كاهن. أون وأنجب منها ابنه منسي (باعتبار أن الله
أنساه ما كان من أمره) ثم أنجب ابنه أفرام .

وهنا يلزم أن نذكر ما جاء في سفر التكوين إصحاح ٤١ آية ٥٤ :

في التوراة العبرانية : " و دعا فرعون إسم يوسف صفنات فعنيج " وأعطاه أسنات بنت
فوطي فارع كاهن أون زوجة .

أما في التوراة السامرية : " و دعا فرعون إسم يوسف كمر العلم وأعطاه إسنت بنت فوطيفار
إمام الإسكندرية زوجة " .

وفي الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٩٧٦ يعلقون علي صفنات فعنيج بقولهم " أي مخلص
العالم " .

و في ترجمة الآباء اليسوعيين الكاثوليك و سمي فرعون يوسف " مخلص العالم " و زوجته
أسنات بنت فوطيفار رع كاهن أون (١)

أما المؤرخون المسلمون فينقلون عن الثعلبي أن الملك عزل قطفير عن وظيفته وولاهها يوسف
وقيل لما ماتت زوجته امرأته زليخة فوجدتها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء فولدت ليوسف
عليه السلام رجلين هما أفرام ومنشا (٢).

ووقع ما قال به يوسف وكانت سنوات الرخاء السبع التي فاض خلالها الخير وعم كل مصر
وحرص يوسف على ادخار ما استطاع منه .

(١) التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري ابي الحسن إسحاق السوروي تحقيق د / احمد حجازي السقا ص ٣٦٠ دار
الأنصار

(٢) قصص الانبياء ابن كثير ص ١٧٤

ثم جاءت سنوات القحط ونقص الثمرات وأصاب الجدب كل مصر والبلاد من حولها ومنها أرض كنعان مما جعل أبناء يعقوب (أخوة يوسف ما عدا بنيامين الذي خاف عليه أبيه) يأتون إلى مصر طلبا لشراء القوت من مصر (المرة) .

ماذا حدث لأبناء يعقوب في مصر ؟

لما جاء أبناء يعقوب إلى مصر طلبا لشراء القمح كان لابد لهم من أخذ الأذن من يوسف بالشراء .

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦١﴾)

وأنزلهم مولا كريما وأمر أن يدفع لهم من (المرة) ما طلبوه فتم لهم ذلك وطلب منهم أن يأتوا إليه مره أخرى ويحضروا معهم أخاهم ليزيد لهم الكيل :

(وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ؕ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَىٰ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٢﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٣﴾)

فعلا يدلوا فصارا جهدهم في إقناع أبيهم وليول عن إرادته ولا يخاف عليه (على بنيامين) وذكرهم بما كان منهم حين اتتمهم على يوسف ولكنه قال أنه يعتمد على الله لا عليهم فهو خير حافظ له .

(قال هل امنكم عليه ألا كما امنتم على أخيه من قبل فإله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) .

وجاءوا الى مصر ومعهم بنيامين (شقيق يوسف) فلما دخلوا على يوسف أنزلهم مولا كريما وأختص أخاه بأن أواه اليه وأسر له قائلا (أني أخوك يوسف)

(ولما دخلوا على يوسف آرى إليه أخاه قال انى أنا اخوك فلا تبتأس بما كانوا يعملون) .

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَىٰٓ إِخْوَتِهِ فَمَا يَسْتَشِيرُونَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٦٥﴾) . ٧٠٠٦٩

وقال اخوة يوسف ان اثمكم ايانا بالسرقة لعجيب ونقسم اننا لم نأت بغية الفساد في بلادكم وليس من اخلاقنا ان نكون من السارقين.

فقال اتباع الملك فما جزاء من نجد صواع الملك في رحلة ؟

قال اخوة يوسف جزاء من اخذ الصواع ان يؤخذ رقيقا .

و انتهى الأمر بتفتيش الرجال و اخراج الصواع من رحل بنيامين ، على ذلك و كان يحجز يوسف حسب قضاء اخوته (جزاوة من وحد في رحلة فهو جزاوة كذلك لجزى الظالمين) أن يحتجز بنيامين و هذا من تدبير الله و بمشيئته و إلهامه له بهذه الحيلة و كان إخراج الصواع من رحل اخية مفاجأة أخرجت أخوة يوسف .

فتصلوا باعتذاريرى جماعتهم دونه و طعنوا هو يوسف !!

❖ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٦٧﴾ .

وتنتهى القصة بان عرف يوسف نفسه لأخوته وعفا عنهم قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ^ط يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ^ط وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٨﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٩﴾ .

ورحل يعقوب وبنيه وأهل بيته البالغ عددهم سبعين نسمة الى مصر حسب رواية العهد القديم وعن ابن مسعود أنهم كانوا ثلاثة وستين انسانا .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ

اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٧١﴾ فبقوا في مصر آمنين وأحفادهم حتى بعثه موسى عليه السلام

والآن لنبدأ الحكاية من البداية :

الفصل الثالث

{ التعريف بسورة يوسف }

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

لفهم المقصود من الآية يحسن أن نجزأها الى جزئين :

الجزء الأول من الآية " لقد كان فى يوسف وأخوته "

أى ما حدث ليوسف وما حدث منه لأخوته عبر قصته كلها وتشتمل ما حدث له من أخوته ومن السيارة ومن الذين انتشلوه من البئر ومن العزيز ثم من امرأة العزيز وفى السجن ثم من أحد الناجين ومن الملك ثم من اخوته وأخيراً من آل يعقوب وايضا ما حدث منه تجاه كل أولئك .

ومن ناحية أخرى: ما حدث من أخوة يوسف من الكيد ليوسف وموقفهم من ابيهم ثم إختلاق المواقف والأكاذيب حتى تعرف عليهم وعرفهم يوسف بنفسه. بعد ذلك ثم نأتى إلى:

الجزء الثانى من الآية (.....آيات للسائلين)

آيات جمع آية ولأنها جمع لفيد أما عبر وعلامات غير محدودة العدد فهى عبر وعلامات فى كل المواقف الخير والشر والضعف والقوة والذل والعزة والشدة والرخاء والإبتلاء والحن والفرج وكل ما يصادف الانسان فى رحلة الحياة وهى عبر وعلامات لكل السائلين ..كل المهمومين بأمر أو المعنيين بتوجه مهما اختلفت أعمارهم وتباينت اتجاهاتهم الشريرة أو الخيرة وانتمائاتهم الجنسية أو اعتقادهم الدينية , لكل السائلين عن كل شئ وللسائلين عن متى نصر الله ؟

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

من المفيد أن نقف على معنى هذه الآية العظيمة لأنها أساسية يدور حولها هذا البحث حيث أن لها:

* مدلول خاص بالنسبة لأمر يوسف وأخوته .

* مدلول عام واسع يتسع لكل المجالات ونشاطات الحياة.

أما ما كان فى أمر يوسف وأخوته : فإن (فى) تدل على الظرفية فإن القصة ستدور حول يوسف وموضوعها وأحداثها هي يوسف وأخوته، ويوسف ممنوع من الصرف (للعلمية والعجمة) .

فقوله تعالى " آيات للسائلين" الآيات جمع آية والآية هي الأمر العجيب اللافت للنظر ولو أن الانسان نظر فيه لوجد فيه أشياء كثيرة. والآيات الموجودة في صورة يوسف من الآيات المعجائب التي تثبت القدرة لله تعالى ، وأنه جل جلاله هو الخالق الفاعل المسيطر ، فيوسف عليه السلام يلقي في الجب ، ربما كان المقصود أن ينتهي أمره بالنسبة لأبيه وأخوته ولكن إلقاءه في الجب جعله الله سبباً لكي يأخذه عزيز مصر ، ليرى في أعز بيت في مصر ثم يصير له شأن في الحكم.

إن أخوة يوسف كانوا يكيدون له لكي يبعده عن أبيهم ، فنصره الله عليهم وأعادته إلى أبيه ، وقوله تعالى: (.... للسائلين) تدل علي أن هناك من سأل؟ فمن الذي سأل؟ إنهم اليهود عن طريق قريش ، وهم لثقتهم أن رسول الله (ﷺ) لم يقرأ شيئاً ولم يجلس إلي معلم، وهو أمي ولكن الله رد عليهم كيدهم .

أما ما للآية من مدلول عام واسع : يتسع لكل المجالات والنشاطات ، فإنه كما تقول القاعدة الفقهية : " العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب".

وكما يقول جمهور المفسرين: " أن سورة يوسف (هي مورد غزير من كنوز الحكم والإعتبار). فعلي ذلك فإن فيها الحكم والعبر للسائلين....

أولاً: في كل مجالات الحياة وتصاريها.

الوجه الثاني : بمعنى علامه فذلك في قوله تعالى في يس (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) بمعنى علامه لهم (الأشباه والنظائر في القرآن) لمقاتل بن سليمان البلخي تحقيق د / عبد الله شحاته ص ٣٠٠

ثانياً: في التحقيق والتوصيف للسائلين عن اخلاق إخوة يوسف وسلوكياتهم وما كان منهم ففي قصة يوسف وأخوته آيات وأمارات علي حقائق لا حصر لها لمن أراد أن ينقب عنها فسيجد فيها إجابة لكل أسئلة السائلين ، يجد به الصراع بين الخير والشر وبين الكذب والصدق ، وبين الحيانة والوفاء ، والتأمر والتوكل علي الله ، بين الاستقواء بالقوة والاحتماء بالعصبة واللجوء إلى الله والتسليم لإرادته.

يجد فيها فرض النفوذ وطغيان القوة والاعتزاز بالقيم والمبادئ .

يجد فيها نفت الشيطان ووسوسته وبين الإحتماء بعباد الله وحوله والنزاهة شرعه.

يجد فيها الحكمة التي صدقتها وقائع التاريخ ، وهي أن الكذب لا بد أن يفضح ، وأن الباطل لا بد أن يسقط مهما طال الوقت أو تعاقبت السنون.

وأن للبغي نهاية لا بد للباغي في النهاية أن يجبو علي ركبته صاغراً أمام الحق.

يجد فيها حكمة الايام وتقلب العيش بين الشدة والرخاء، وإنه مع الصبر والايمن يكون الفرج مع الشدة والمخرج بعد الضيق وكما يقول الشاعر:

إنما الدنيا عوار مستردة شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

يجد فيها الأمانة وحسن التدبير ، وروعة التخطيط لتخطي العقبات الاقتصادية والأمنية.

يجد فيها ما يجب أن يكون بين الأب وابنه وبين الحاكم والرعية من أوامر الرحمة والتعاون والتكافل وعدم الاحتكار.

فإنما توجهنا نجد فيها الحكمة والعبرة حتى أحكام الرؤيا والنام والحلم.

ويجد فيها التوصيف الصادق والاجابة الشافية للسائلين عن أخلاق بني إسرائيل وسلوكياتهم.

لقد ندم أبناء يعقوب (بني اسرائيل) عما فعلوه واعترفوا أنهم كانوا خاطئين، وعفا عنهم يوسف، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم.

ولكنهم خلفوا من بعدهم خلف اتبعوا شهوات النفس ونداء الهوي وضلوا الطريق ... وكأنما اقتدوا بأفعال الشر التي فعلها اخوة يوسف قبل ندمهم وتوبتهم وزادوا عليها.

وأسفار العهد القديم خير شاهد علي جنوحهم إلي الشر وحيودهم عن الحق وانحرافهم عن الاستقامة.

ولو أنهم أمعنوا النظر في هذه السورة لعرفوا الحق والتزموا الاستقامة.

فهذه السورة بحق توضح الطريق لمن أراد أن يستقيم فهي كثر الحكم والاعتبار في كل مناسط الحياة ودورها في شدتها ورخائها ، وهي بعد ذلك كله يمكن اعتبارها على وجه الخصوص تشخيص لحال وأدواء اليهود أو بالاحرى لبني اسرائيل لأنه :

للوقوف على طبيعة أو لدراسة مجتمع ما لا بد من الإطلاع على تراثه الفكري والسديني وعقائده وما إلى ذلك . كذلك الحال بالنسبة لطبائع وعادات ومعتقدات بني اسرائيل . فالمفروض أن أوسع أبواب النفاذ إليها هي كتبهم المقدسة خاصة العهد القديم والتلمود وإن كانا مليئين

بالأساطير والأختلاقات والامعقولات , وأثر ذلك الشديد الخطر على معتقبيهما , لأنهما يسيران السلوك المرضى والتعصب العنصرى لدى هذا الكائن الاسرائيلى الغريب حتى إن العهد القديم أعطى اليهود اوصافا بيولوجية سلوكية نفسية نذكر بعضها وهى :

عيونهم : متعالية فى كبر وغطرسة.

لسانهم : كاذب ويلهج بالشر .

شفاههم : تكلمت بالكذب .

أيديهم : سافكة دماء الأبرياء تنجست بالدم , ملآنه بالدم .

أصابعهم : تلوئت وتدنتت بالدماء البريئة .

أرجلهم : تجرى الى الشر وتسرع الى سفك الدماء .

ذبحوا أبناءهم : ذبحوهم لأصنام كنعان (وأهرقوا دمًا ذكيًا , دم بنيهم وبناتهم اللذين ذبحوهم

لأصنام كنعان وتدنتت الأرض بالدماء) مزمو ٣/١٠٦

الشنون المالية : تعاملوا بالربا وأكلوا بالمراجمه (الرهان) (أعطى بالربا وأخذ المراجمه أليحيا

لا يحيى , وقد عمل هذه النجاسات فموتا يموت دمه يكون على نفسه) .

وسلوكميات أخرى مريضه مثل: (لعن وكذب وقتل وسرق , وفسق يلحقون , ودماء تلحق

دماء) هوشع ٢/٤

والحقيقه ليس هناك كلمات يمكن قولها بعد هذا الوصف الدقيق الذى تشتمز منه كل نفس

طيبة وعقل سليم , فهذا الوصف صادر عن النبى يوشع العبرى وبكلمات النص :

" لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله فى الأرض , لعن وكذب وقتل وسرقه وفسق

ودماء تلحق دماء روح الزنى قد أضلتهم لذلك تزنى بناتكم وتفسق كنانكم

بصرع " .

يضيف هوشع ما يفجع القلب ويميته إذ يعرض لمنظر أسود كالح وسلوك محزن أشد إيلاما من

كل ما سبق .

عندما قدوة بنى اسرائيل يطالبونهم بالفساد بل هم الذين يسكون بمعول الفساد بينهم وبنص الكلمات " وكما يكمن لصوص لأنسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يقتلون نحو شكيم , أنهم قد صنعوا فاحشة, في بيت اسرائيل رأيت أمرا فظيما"

ولا ينفرد النبي هوشع بالضجر والشكوى من بنى اسرائيل وأخلاقهم التي تسفلت الى أدنى درجات التسفل , بل يشاركه في ذلك كل الأنبياء , ولضيق المجال نعرض لما وصف به أشعيا النبي حال اسرائيل كلها فيقول :

" تركوا الرب , استهانوا بقدوس اسرائيل , ارتدوا الى وراء كل رأس مريض , وكل قلب سقيم من أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحيح , بل جرح وإحباط , وضربة طرية , لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت"
ورغم كل ذلك فإن:

ما ورد في العهد القديم والعهد الجديد والتلمود وغيره عن اليهود وسلوكياتهم وإن كان التعميم لا يجوز ولا يجب ان يبنى عليه في الحكم على الأمور والأشخاص والتزاماً بالموضوعية وإن كنت أنتزع نفسى انتزاعاً من التأثير الوجداني إزاء ما أرى وسمع وقرأ عن فضائح وفضائح اليهود , فإننى أقول إن بحسبى إنما يكون منصبا على السمة الغالبة لليهود مع إستثناء الأسوياء منهم الذين يحكمون عقولهم ولا يفكرون بمنطق التلمود والبروتوكولات - وقليلاً ما هم - ولكن لا يدخل في هذا الاستثناء اللذين قدموا الى أرض فلسطين العربية واستوطنوها واقاموا فيها كيانهم الصهيونى فهؤلاء يدخلون في التعميم لأنهم صلب وأساس ودعامة هذا الكيان الغريب .

إننى أؤكد وأصر على أننى كمسلم مؤمن برسالة موسى وعيسى عليه السلام كما أو من برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا إسلام لمن لا يؤمن بموسى وعيسى كما يؤمن برسالة محمد ولكننى لا أعير أى إعتبار للفكر الصهيونى العنصرى الهدام والتلمودى المتحرف وقد يكون السؤال بعد ذلك كيف نصل الى خبايا مصادر تضليل الفكر الصهيونى التلمودى الى بذور التضليل فى عقله؟؟

أقول : كثيرة هذه المصادر لكتاب عرب واجانب ومسلمين وغير مسلمين , لمفكرين وكتاب سابقين ومحدثين الافاض فيها الجميع وذهبوا مذاهب شتى ولكنهم جميعا متفقون على السروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية التي تنامت على مر العصور وعمقتها الأحداث والوقائع وما أصاب اليهود فيها من ذل وقتل وتشريد وسى .

ولكن إذا أردنا أن نرد الأشياء الى اصولها ونتبع الجذور لنصل الى أصل الداء وسبب الوباء فلنعد الى أول جرائم بنى اسرائيل أى بداية الحقد والمكر السيء والتآمر وهو ما ينفرد به معجزة الله الباقية ما بقيت السماوات والأرض القرآن الكريم , فى الكثير والكثير من سورة ولكن بصفة خاصة سورة يوسف

فسورة يوسف هى بحق المورد الغزير لكنوز الحكم والأعتبار , هى دروس فى الأخلاق التى ترضى الله وتكون المثل والقدوة فى التربية , فكنوز الحكم والأعتبار نجدها فى مسلك يوسف الصديق التقى الورع العفيف الذى تمسك بالقيم والخلق الرفيع وقاوم كل المغريات وترفع عن كل الدنيا الذى قال (إنه ربى أحسن متواى إنه لا يفلح الظالمون) والذى قال (رب السجن أحب الى مما يدعونى اليه) والذى دعى الى الله وهو فى السجن يوسف الذى قال له الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين) وقال عن نفسه بلا غرور أو استعلاء (إنى حفيظ عليم) .

حقا وكما ذهب صاحب الظلال : " لقد كان فى قصة يوسف وأخوته آيات وأمارات على حقائق كثيرة لمن ينقب عن الآيات ويسأل ويهتم , وهذا الافتتاح كفيل بتحريك الانتباه والاهتمام"^(١) .

وايضا نجد كنوز الحكم والإعتبار فى مسلك يعقوب النبى الصابر المحتسب الذى فوض أمره الى الله , ويعقوب الذى الترى عليه كنية العهد القديم فجعلوه يخدع أباه اسحاق ويسرق خاله ورموه بالخدياع والغش والتضليل والكذب والمكر والسرقه كل هذا رموه به ولكن القرآن برأه من كل هذا , يعقوب عليه السلام من اقواله : (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) ويقول لأولاده : (..... وما أغنى عنكم من الله من شىء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) وقال : (فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم) ، (قال إنما أشكوا بنى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) وقال (..... ولا تاتيسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) وأخيراً قال لأولاده : (سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) .

ذلك يوسف وذلك ابوه يعقوب وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عن يوسف (إنه الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم) كل سيرتهم ومواقفهم المشرفة نبراس وهداية وعظمة وعبرة لمن كان له عقل أو قلب سليم

(١) فى ظلال القرآن مجلد ٤ ص ١٩٧٣

سورة يوسف هي كمرآتين متوازيتين تكون الصورة في أحدهما تماما عكس الصورة الأخرى , ففى حين ترى فى أحدهما صورة من نماذج القيم والمثل بل كل نماذج القيم والمثل المطلوبة فيمن نجح فى حمل الأمانة بأمانة (إننا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه الإنسان كان ظلوما جهولا) (١).

أى حمل القيم والمثل التى تؤهل من لما أراد الله خليفة له فى الأرض لعمارتما وإصلاحها (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة) هذه النماذج من القيم والمثل المتوافرة فى جانب يوسف وأبيه.

وعلى الجانب الآخر فى المرأة الموازية نجد الصورة الأخرى المعكوسة نماذج الشر والإفساد بكل صورته وأساليبه وهى متوافرة فى جانب إخوة يوسف ... أصل بنى اسرائيل حيث حاكوا ليوسف المؤامرات وكادوا لأبيه وخدعوه لما رأوه من حب أبيهم ليوسف دونهم

(لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين)

وكان تبريرهم لما أقدموا عليه كما نقل عنهم فى القرآن قولهم : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين)

ومن هنا كان حقدهم على يوسف وأخيه وإنسحب هذا الحقد أيضا على أبيهم الذى لم يميزهم هم , فوصفوا تصرفه بالضلال المبين , وترتب على هذا الحقد تأمرهم على يوسف لإقصائه من حياتهم الأسرية , بإزاحته بعيدا ليخلو لهم وجه أبيهم .

حقدوا على يوسف لأنهم - من وجهة نظرهم - شعروا بالأضطهاد من أبيهم لهم لذلك فهم يصفون أباهم (إن أبانا لفى ضلال مبين) .

وتأصل فيهم هذا الشعور والى اليوم فالمتأمل فى تاريخ بنى اسرائيل يجدهم نتيجة عقدة الاضطهاد المتحكمة فيهم والمسيطرة عليهم فهم يعيشون فى مجتمعات مغلقة من بداية عهدهم الأول (الأسباط) وهم أبناء يعقوب شعروا بهذا الإحساس المدمر ... إنهم مضطهدون ! تلك كانت بداية ظهور سلسلة الطباع الغير سوية .

يقول د / محمد عبد الفتاح المهدي إستشارى الطب النفسى يقول أن :

(١)

مفتاح هذه الشخصية هو عقدة الاضطهاد ويقصد بكلمة (عقده) أن عقدة الاضطهاد في هذه الشخصية متغلغلة في أعماقهم وليست فكرة طارئة وقتية وبما أنها عقدة فإنها عصية على الحل وقد فشلت محاولات حلها على مدار التاريخ القديم والحديث على السواء

ويقول : ظاهرة الشعور بالاضطهاد والخوف من الاضطهاد , ويتبعه انكماش حسي له بأن يتجمعوا في حصون أو احياء خاصة بهم , ثم لا يجدون ذلك كافيا لحمايتهم فيتجهون لامتلاك ناصية القوة في المجتمع .

ويقول أيضا : لن يعجز أى باحث عن أن يجد الآف الأدلة على هذه العقدة الاضطهادية , بل إنهم إن لم يضطهدهم أحد إختلقوا أساطير الاضطهاد أو ضخموا أحداث الاضطهاد التي كانوا هم السبب فيها والحرك الأول لها , والمثال على ذلك الاضطهاد النازي لهم وتضخيمهم لذلك الحدث الى حد يقترب من الاساطير .

ونظرا لهذه التركيبة النفسية فإن اليهود يفرضون على غيرهم الصراع ويدفعون اليه دفعا بوعى أو بغير وعى , وأبرز مثال لذلك في الوقت الحاضر أنه كلما تحققت خطوة على طريق السلام بينهم وبين الفلسطينيين يسارعون بالتخلي عنها والعودة الى دائرة الصراع من جديد رغم كسل التنازلات التي تقدم لهم (أ.هـ .

ونتج عن ذلك التخطيط للعدوان والتخطيط للانتقام والهدف من الانتقام هو انزال الألم بالغير وليكن بأى صورة وكلما كان انتقاما قاسيا كان أمتع لنفوسهم وأحب لطباعهم , فليكن بالضرب القاسى الموجه أو إحداث العاهات المستديمة أو إراقة الدماء بالقتل والتمثيل بالجثث إن استطاعوا .

والعهد القديم ملئ بمثل هذه الصور من الإنتقام .

والتأمل أسلوب بنى اسرائيل عبر التاريخ لا يلمح الا طغيان غريزة العدوان فهي التي تحكم تصرفاتهم بمعنى أن هذا الكائن المشبع بغريزة العدوان اذا قدر لا يعفو وإذا تمكن طغى وإذا إنتصر أباد ودمر عملا بتعليمات كتبهم وحاخاماتهم الموجهين لسلوكهم ومن ذلك ما يقوله (ميمانود) :

" الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني (أى الغير يهودى) فإذا رأيتة واقعا في نمر ومهدد بخطر فمحظور عليك أن تنقذه " .

فمن طبائع اليهود :

في حالة القوة يقومون بالإبادة و التدمير !!.

في حالة الضعف الإستكانة و الإستعطاف و ذلك ثابت في كتبهم المقدسة مثل سفر يشوع ..
" و لم يستطع بنو منسي أن يملكوا هذه المدن فعزم الكنعانيون علي أن يقيموا في هذه الأرض و لما
قوي بني إسرائيل ضربوا علي الكنعانيين جزيه و لم يطردوهم " يشوع ١٧ (١٢ , ١٣) .

وما يحدثونه في فلسطين ليس بغائب عن ذاكرة كل ذى عقل و بصر , و ما زالت صرخات
ضحايا دير ياسين و صبرا و شتيلا و قانا , , الخ تدوى أصدائها و تمز ضمائر
الشرفاء في العالم .

هكذا قاد الحقد أخوة يوسف للتآمر عليه و التخطيط للعدوان عليه و عدوانهم لم يتم إلا
بالغدر فهم أهل غدر , لأنهم حتى يشبعوا رغبتهم في الإنتقام فإن سبيل الإنتقام هو اللجوء الى العنف
و العنف يقتضى مواجهة ولكن لأنهم أكثر الناس حرصا على الحياة فلا يميلون ولا يفضلون
المواجهة خشية الهزيمة و إنكشاف تدبيرهم (و لتجدفهم أحرص الناس على حياة) .

لذلك فإنهم يأتون دائما من الخلف يلجأون للغدر بمعنى مغاللة الخصم و الانتقاض عليه بكل
ما لديهم من عناصر القوة و الاستقواء .

يقول الباحث (بارى بليخمان) في دراسة حول الآثار المترتبة على الانتقامات الاسرائيلية
إنتهى إلى أن " الانتقام الاسرائيل هو سلوك قومي اسرائيلى , و أن اسرائيل تعتبر الانتقام صورة
شرعية من السلوك القومى " .

و يتقصى جذور الظاهرة العدوانية نجد انها ضاربة بمجذورها في التكوين السيكولوجى التاريخى
و العقائدى للشخصية اليهودية.

لا أحد يختلف أن هناك من البشر بل و من الجماعات من يتصف بالغدر و اخرون بالحيانة
و غيرهم بالميوول العدوانية و غيرهم بالكذب و غيرهم بالنفاق , و غيرهم , إلى اخر الصفات
الذميمة التى قد يتصف بها بعض الناس هنا أو هناك .

ولكن العجيب الغريب ان تتكشف كل هذه الصفات اللا أخلاقية و تتجمع في طباع اخوة
يوسف المردولة و اخلاقهم الفاسدة ظهرت و تأصلت , في الشخصية الاسرائيلية و تورثتها الاجيال
حتى انها اصبحت علما عليها .

والصفات والأخلاق المذمومة قد تظهر في مجتمع بشري كوباء في ظروف معينة تساعد عليها او تبرزها , قد تكون لضرورة ملجأة في مرحلة عابرة أو أزمة طارئة , ولكن أن تتأصل في أفراد فئة بعينها في كل ظروفها وتوارث أجيالها المتعاقبة هذا الميراث من الخلق السيء فذلك هو الأمر العجيب الغريب , . وكل شأن بنى اسرائيل عجيب غريب .

لذلك لا عجب ولا غرابة أن يشقى بهم العالم ومن ثم يشقيهم أيضا . إنما فئة مصابة بمرض عضال أتعب من تصدى لعلاجه من أنبياء ومصلحين , فانقلبوا على من أراد بهم خيرا فأغرقوه في شرورهم من تكذيب وتسفيه , ورموه بكل الرذائل .

وغالبا ما ينقضوا عليه بالقتل وتاريخ اليهود مع انبيائهم غير خاف , وماغلة نزول أكثر الأنبياء في بنى اسرائيل إلا لأهم قوم سوء والمرض العضال يقتضى كثرة الأطباء لذلك لا نعجب لموقفهم من أخيهم يوسف أخوهم وكل ذلك يحدث وهم بين يدي أبيهم النبي يعقوب أو اسرائيل وهم بنو اسرائيل .

و من دراسة تاريخ بنو إسرائيل يتضح الغريزة العدوانية التي هي فطرته وطبيعته , فإذا لم يجدوا من يعتدون عليه إنقسموا علي أنفسهم و دب الصراع فيما بينهم ... هكذا ينطق تاريخهم ولنا فيما حدث بعد سليمان عليه السلام إذ إنقسموا علي أنفسهم و تصارعوا و دب الصراع و إتسع الشقاق السياسي و الإجتماعي بينهم .

" و أخذ الضعف من ذلك الحين يدب بين اليهود لما سرى في قلوبهم من أحقاد و ما قام بينهم من نزاع , كانت تشتعل بينهم بسببه نيران الحرب العوان . و لم يمض علي موت سليمان إلا زمن قليل حتى استولا شيشنق ملك مصر علي أورشليم , و حتى سلمت له كل ما جمعه سليمان من ذهب بالضرائب التي فرضها علي الشعب في أثناء حكمه الطويل .

و كان هذا الجو المشحون بعوامل التفكك السياسي و الحرب الإقتصادية , و الإتحلال الديني , هو الذي ظهر فيه الأنبياء . و كان منهم الحكماء و الخطباء و الناصحون ياتباع سواء السبيل . و كان منهم أشد الناس معارضة للكهنة ... كانوا ثائرين علي الإستغلال الصناعي و الخداع الكهنوتي , خرجوا من أحضان الريف الساذج يصبون لعناقم علي ثراء الحواضر الفاسدة^(١) فهم بأسهم بينهم شديد .. و لا يوحدتهم إلا إذا كان هناك خطر يهددهم , لذلك فهم لكي يحافظوا علي تماسكهم لابد أن ينشغلوا بعدو يهددهم و كان هذا هو السبب لإختلافهم العدوات مع الغير

(١) حافظ عثمان - الإسلام و الصراعات الدينية ص ٩٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب

و إثارة الفتن و الحروب و هذا أيضاً يفسر رفضهم للسلام بل عدوانهم بفكرة السلام فإن سلامهم مع الغير يعني صراعتهم مع بعضهم حقاً.

(لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين)

وحتى نشرح ونشرح بعض صفاتهم وأخلاقهم فإننا سنلقى عليهم بعض الضوء من خلال موقفهم مع اخيهم يوسف متبعين تسلسل الايات التي تشير أو تشخص أدواءهم . وسنغترف من كنوز الحكم والأعتبار من كل ما شملته قصة يوسف وأحداثها ، وسنتناول كل داء او مرض أخلاقي من أمراض بني اسرائيل المتمثلة في اخوة يوسف قبل ندمهم وتوبتهم كلا منها في فصل مستقل من فصول الباب التالي .

الباب الثاني

نزغ الشيطان بين الآخوة { يوسف وسهام الكيد }

الفصل الأول

{ قيام قائم الحقد و الحسد }

"ذَقَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي

صَلَاتٍ مُّبِينٍ" ٨ يوسف.

حقدوا على يوسف أن احبه ابوه لصغر سنه ونجابهته ولأنه رأى فيه ما يبشر بخير , ونما الحقد في قلوبهم وتحول الى كراهية نمت مع الوقت وتحول الحقد في قلوبهم الى نار تشتعل وليست حقا يضىء .

والحقد يلغى من النفس روح التسامح ويقلب المشاعر الانسانية من البر والرحمة الى القطيعة والغلظة ومن الاحسان الى الفجور .

وتبدأ النفس الحاقدة لرصد كل نعمة يسبغها الله على الغير حتى لو كان هذا الغير من القرب الناس اليه متمنيا زوال هذه النعمة بل بزوال من جاءت عليه هذه النعمة , لأن الحاقدا يرى النعمة لدى غيره نعمة عليه هو فترفع الاخر وتخفضه هو , تعز الاخر وتذله هو .

وينظر الى الحقد على أنه رد الفعل النفسى لهزيمة الانسان من داخله وعدم القدرة على المحافظة على ثبات البنيان النفسى أو على قبول الاخر , والانسحاب من المنافسه معه , وعدم الرغبة فى التعايش معه .

والحقد يعتبر من أعظم الكبائر فعن عز الدين بن عبد السلام :

" أن كل مفسدة ثابتة بالكتاب والسنة وما كان مفسدة مماثلة و إن لم ينص عليها فى الكتاب والسنة فهى كبيرة خاصة أن حقد بنو اسرائيل على يوسف شمل أيضا حقداً على ابيهم يعقوب . وبذلك تعدى يوسف الى آبيه مما أدخلهم فى وحل العقوق , والعقوق من افسد المفاسد لأنه يهدم اللبنة الأولى للمجتمع، وما بال هذا المجتمع هو بيت يعقوب النبى ! "

فالحقد هو المزلق الأول الذى يؤدى الى سلسلة من الأخلاق والسلوكيات المدمومة فالحقد مرض يصيب القلب فيفقد البصيرة فهو مرض لا يعرف الحاقده انه مريض لذا لا يطلب علاج لدائه مستسلما لحالته بل معنا فيها , فيمضى فى حقدده الى اقصى ذراه متشجعا بالشدة متعللا بقوة البأس رغم ان قلبه يشتعل بالنار ولسان حاله كما يعبر عنه ما جاء فى المزمور (٣٩:٣) ونصه " حتى قلبى فى جوفى عند لهجى , اشتعلت النار تكلمت بلسانى " هكذا تأصل الحقد فى بنى اسرائيل وتوارثوه جيلا بعد جيل والى اليوم .

فالحقد أول المزلق الذى يؤدى الى البحث عن طريق للاضرار باخفود عليه أى التخطيط للاضرار به أو التخلص منه وهذا ما حدث مع اخوة يوسف , فخططوا للتخلص منه واضمروا فى نفوسهم سراً , ودبروا له أمراً , وهذا شأنهم دائما مع كل من يقع محلا لحقدهم حتى لو كان نبيا مرسلًا

أما البغضاء تضيق بما صلورهم فمنهم من تنضح بما الستهم ومنهم من يمكس لسانه ولكن يسن سنانه وهو الأخبث والأخطر .

والسيرة النبوية وتاريخ الدعوة الاسلامية فى المدينة تذكركنا ما كان منهم وعلي سبيل المثال لا الحصر :

ما كان من (شاس بن قيس) اليهودي الماكر شديد الطعن والحقد على المسلمين , غاظه ان رأى ان الاسلام جمع وأحيى بين الأوس والخزرج , فوجد نفراً منهم وهم فى مجلس يتحدثون فى مودة وإخاء فقد جعل الله من دينه رابطة تقرب البعيد ورحما تعطف الأفتدة .

فقال : اجتمع ملائبي قبل هذه البلاد !! والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار , وامر شبابا يهوديا كان بصحبة فقال له : اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم (بعث) وما كان قلبه , وانشداهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من اشعار , ففعل الشاب وذكرهم بذلك اليوم (يوم بعث) حيث كان فيه قتال مرير بين الأوس والخزرج انتصر فيه الأوس , وما أن ذكرهم الشاب اليهودي به حتى تنازعوا وتفاخروا وعلت اصواتهم وكادت تجري بينهم معركة حامية لولا ان لحقهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحمد الفتنة .

والتأمل فيما ذكره الله على لسان اخوة يوسف فى قوله تعالى ..

" اذ قالو ليوסף وأخوه أحب إلي أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لا فى ضلال مبين "

ويتبين لنا عدة امور خطيرة منها :

* (إنهم قالو لـيوسف وأخوه) فقد أجزموا جزماً قاطعاً (بلام التأكيد) أن يوسف وإخاه أحب إلي أبيهم منهم ، وذلك مثار حقدهم .

* أنهم عطفوا إخاه عليه وجعلوها شيئاً واحداً خارجاً عن قرابتهم أي أنهم قسموا أبناء يعقوب إلي (يوسف وإخيه) من جهة و(هم كعصبة أخري) من جهة ثانية والجهتان متباعداً ، وذلك دلالة علي عمق الحقد والكراهية الذي أعماهم عن أن يوسف وإخاه إنما هما أخوين لهم وليس فصيلاً منفصلاً عنهم .

(لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين)

وإذا عملنا الفكر جيداً وتأملنا سبب الحقد والغيرة علي يوسف نجد أن الغيرة التي دفعهم إلي الجريمة إنما هي في الحقيقة السبب السطحي أو الظاهر وليس الحقيقة ، فهم في الظاهر إما يحقدون علي يوسف لمكانة يوسف عند أبيهم ، لكن الحقيقة أن في قرارة أنفسهم أن الغيرة هي ليست لحب أبيهم ليوسف فقط أي ليس للحب المفرط ليوسف من أبيه يعقوب ، ولكن الحقيقة ذلك وتتجاوزه إلي ما يروونه في يوسف من خلال وطباع طيبة ومنظر جميل وذكاء وفتنة وتفوق في كل شئ ... صفات وميزات تتوفر فيه ويفتقرون إليها مما يجعله محبوباً من أبيه ومشكوراً من غيره فذلك هو الذي أذكى نار الحقد في قلوبهم .

أي الحقد علي يوسف ليس لحب أبيه فقط بل أيضاً لما اجتمعت فيه من مزايا وجميل الخلق والأخلاق التي تمثل بعض عناصر حب أبيه له و كان ذلك مبعث حسدهم ليوسف .

إن العرائين تلقاها محسدة ولم تر للناس حساداً

العرائين الساده الأشراف ، الواحد عرين ،

قال الحسن : الحسد أسرع في الدين من النار في بيس العرفج ، و ما أوتي الخسود من حاسد إلا من قبل فضل الله عنده ، و نعمته عليه .. قال الله تعالى : " أم يحسدون الناس علي ما آتاهم من فضله " النساء ٥٤ .

العرفج شجر سهلي - سريع الانتقال .

والحسد عقيد الكفر ، وضد الحق ، وفيه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة و منتج كل وحشة ، و تفرق كل جماعة ، و قاطع كل رحم بين الأقرباء ، و يحدث كل فرقة بين الأصدقاء ،

وملقح كل شر بين الخلطاء , ثم هو أول خطيئة ظهرت في السماء , و أول معصية حدثت في الأرض.

أما التي في السماء فمعصية إبليس لما حسد آدم .

و أما التي في الأرض فقتل ابن آدم حسداً له كما حكى الله عنه , قال تعالى "فقتله فأصبح من النادمين " المائدة ٣١ .

و قد أمر الله بالتعوذ من شر الحاسد إذا حسد .^(١)

* انهم وضعوا اباهم في موضع الضلال , بل الضلال المبين اي الواضح الظاهر الجلي الذي يجب ان يؤاخذ عليه ولا يغتفر (ان ابانا لا في ضلال مبين).

لم يقصدوا بالضلال هنا انه عكس الهدى والرشد وانما الضلال انه ضل في تفرقه بينهم وبين يوسف في الحب فكان حبه ليوسف حبا مفرطاً وذلك اعتبروه من الخطايا الجسيمة في حقهم , وعلي ذلك لا بد من الانتقام .

ويكون السؤال ممن ؟

الاجابة من يوسف وابيه !

ذلك أمر خطير فقد عرف فيما بعد من دراسة الفكر والعقيدة اليهودية خلال تاريخهم منذ عهد يوسف والي الآن انه :

" في الفكر اليهودي وعقيدته , لا يتم غفران الخطايا بدون سفك دم , فلا بد إذن من سفك الدماء للحصول علي غفران الخطايا" .

ولقد احتال اليهود للحصول علي هذه الدماء آية دماء , ومن أي مصدر فسفكوا دماء بريئة , وارتكبوا في سبيل ذلك جرائم انسانية بشعة منها مثلاً ما يروية لنا التاريخ من ان اليهود دأبوا علي ذبح الاعميين وتصفية دمائهم واستخدموا هذه الدماء في طقوس دينهم التي ابتدعوها علي زعم ان ينالوا غفران خطاياهم ومنها ايضا قصة الأب توما وغيرها .

فقد ثبتت وقائع كثيرة من حوادث الخطف ان الهدف كان لأمتصاص دمائهم^(١) .

(١) الإقتباس من القرآن ج ١ ص ٢٤٢ إصدار الهيئة العامة للثقافة (الذخائر)

(٢) د / ابراهيم خليل _ الدم في العلم والتوراه والانجيل والقران ص ١٤٨

وربما كانت بداية هذه الرعة الدموية في الانتقام وبذرقها الأولي هي المؤامرة ضد يوسف عليه السلام ولكنها تأصلت وتحوّلت الي صفة وراثية تناقلتها اجيالهم اما بالوراثة الجينية او الوراثة العقائدية التراثية لمن ليسوا من أصل بني اسرائيل .

و يقول ول ديورانت : "إن هزيمة البدو الرحل (العبرانيين) للكنعانيين - أصحاب فلسطين الأصليين - ليست إلا مثلاً آخر لإنقضاض جموع جياح علي جماعة مستقرة آمنة . و قتل الإسرائيليين من الكنعانيين أكثر ما إستطاعوا قتلهم منهم و سبوا من بقي من نسايتهم , و جرت دماء القتلى أثماراً , و كان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس (فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى ١١) و (زكاة الرب) .

و لما استولوا علي مدينتين من المدن قتلوا من أهلها ١٢٠٠٠ رجل , و لسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل و الإستمئاع به.^(١)

و ما يحدث حالياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة من قتل و إغتالات وإعتقالات و تعذيب وهدم يؤكد أن الإرهاب صناعة إسرائيلية من الألف إلي الياء

(١) حافظ عثمان الإسلام و الصراعات الدينية ص ١٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب

الفصل الثاني

{ التوجه للمؤامرة ضد يوسف }

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠٢﴾

لقد ملأ الحقد عليهم كل افئدتهم وحجب عن اعينهم كل رؤية وانغلقت بصيرتهم واصبح زوال يوسف من حياتهم كل هاجسهم ومنتهم امانهم .. فآين يذهبون ؟
انجهوا جميعا بهدف واحد وتوجهوا الى الحل الوحيد التآمر ضده - ضد يوسف - وكان منطق تفكيرهم وخلاصة رأيهم :

(اقتلوا يوسف)

(او اطرحوه ارضاً)

أحد أمرين لا ثالث لهما , لا مهادنة لا ملاحظة لا مرعاة لاخوة , لا اعتبار للواعج قلب أب سيكلم في عزيز لديه !!

لأنهم إذا تركوه فإنه سيكون سيذاً عليهم و صاحب الكلمة و يجتمع فيه مجد إبراهيم وإسماعيل و إسحاق . هكذا سمعت إحدى زوجاته تعبير الرؤيا من يعقوب و هو ينصح يوسف سراً و همست هذه الزوجه لأبناتها و أبلغها أبنائها لإخوتهم جميعاً . مما حملهم جميعاً أن يبيتوا له سراً و يدبروا له مكرأ

نعم . أن أحد الحلين سيؤدي الي زواله من وجه ابيه فيخلوا لهم وجة ابيهم فسلا يري غيرهم .

ولكنها جريمة جريمة قتل أو علي الأقل إبعاد واقضاء , قد يؤدي الي هلاك أو ضياع

ولكنهم أولاد نبي الله يعقوب أبوهم نبي ابن نبي من سلالة انبياء كرام
..... وليكن .

فإنهم سيعودون بعد ذلك ويغسلون أيديهم من جريمتهم بالتوبة الى الله .

وكما يقول صاحب الظلال : في القصة يتجلى عنصر الغيرة والتحاسد بين الاخوة من امهات مختلفات بحسب ما يرون من تنوع صور الحب الابوي وعنصر التفاوت في الاستجابات المختلفة للغيرة والحسد في نفوس الاخوة , فبعضهم يقوده هذا الشعور الي إضمار جريمة القتل وبعضهم يشير فقط لطرح يوسف في الحب يلتقطه بعض السيارة نفوراً من الجريمة .

ويصور صاحب الظلال موقف أخوة يوسف منه وما أثاره الحقد فيهم فيقول :

" ثم يغلى الحقد ويدخل الشيطان , فيختل تقديرهم للوقائع , وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة وتكون أحداث ضخام , تهن الفعلية الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح غلام برىء لا يملك دفعا عن نفسه , وهو لهم أخ , وهم أبناء نبي - إن لم يكونوا هم أنبياء" - تهن هذا وتتضخم في أعينهم حكاية يثار ابيهم له بالحب , حتى ترازى القتل , أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله.

كان بداية حديثهم مع ابيهم إستهلوه بسؤال إستنكارى (مالك لا تأمننا على يوسف) مما يفيد أنهم طلبوا منه هذا الطلب من قبل ورفض وتكرر ذلك الرفض , وصرح لهم يعقوب أو هم استشفوا من رفضه لطلبهم انه لا يأمنهم عليه , ولكنهم ممن يكترون الألاح ولا يستياسوا , وهذا دأب اليهود الى اليوم ولا أدل على ذلك كثرة إلحاحهم على أن يكون لهم موضع قدم في فلسطين كذلك كان حاتم مع ابيهم يعقوب ظلوا يلحون عليه ولا يتركون أذنيه حتى رضخ لهم وكما يقال (أن نقطة المياه إذا توالى على الصخر تفتت) .

وقد كانت الفكرة المطروحة بينهم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) وهما قريب مسن قريب فطرحة في أرض فلاة نائية مقطوعة مفضى في الغالب للموتلماذا كانت هذه الفكرة؟

(ليخلو لكم وجه ابيكم) فلا يحجبه يوسف , وهم يريدون قلبه - قلب ابيهم - كأنه حين

لا يراه في وجهه يصح قلبه خاليا من حبه ويتوجه بهذا الحب الى الاخرين ا

وماذا عن الجريمة التي يرتكبوها ؟

الجريمة يتوبون عنها ويتوبتهم عنها يصلحون ما أفسدوا بارتكابها!

(وتكونوا من بعده قوما صالحين) !

هكذا يترغ الشيطان ، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها وصحة تقديرها
للاشياء والأحداث .

فلما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم ... أقتلوا - والتوبة بعد ذلك تصلح ما
فات !

وليست التوبة هكذا ، إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع اليها المرء غافلا جاهلا غسير
ذاكر حتى إذا تذكر ندم ، وجاشت نفسه بالتوبة .

أما التوبة الجاهزة (السابقة الاعداد والتجهيز) التي تعد سلفا قبل ارتكاب الجريمة لازالة
معالم الجريمة فليست بالتوبة إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان وغنى عن التذليل أن
عزمهم على التوبة بعد ارتكاب الجريمة لا كبر دليل على إستشعارهم أنهم يرتكبون جريمة غير مبررة
ومع ذلك فهم يقدمون عليها

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسانلين)

كثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه فضيعوا أمره ونهيه ونسوا أنه شديد
العقاب ، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعانذ.

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحماق.

وكان الحسن يقول إن قوماً أهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة يقول أحدهم
لأني أحسن الظن بري ، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل .

يوسف ينجو من القتل :

ولأن ضميرا واحداً فيهم يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه فيقترح حلا يريحهم من يوسف
ويجلى لهم وجه ابهم ، ولكنه لا يقتل يوسف ولا يلقيه في ارض مهجورة يغلب فيها الهلاك إنما يلقيه
في الجب على طريق القوافل حيث يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل فتنتقذه وتذهب به بعيدا .

روح التشكيك والتشيط كأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الآذى بيوسف ، وهو
أسلوب من اساليب الشيط عن الفعل ، واضح فيه عدم الارتياح للتنفيذ ، ولكن هذا كان أقل ما
يشفى حقدهم ، ولم يكونوا على إستعداد للتراجع فيما إعتموا " أ.هـ— .

يقول الشيخ الشعراوي لم يحدد الحق سبحانه لنا اسم القاتل حتى يعصمهم جميعاً من سوء الظن بهم .

لقد استيقظ في أحدهم ضميره وتنبه لهول ما يراد وحاول إيقاظ ضمائر إخوته فأيقظ منها ما استطاع وبقدر ما لديه من الضمير ولكنهم لم يتنبه ضميرهم إلي خطر ما هم مقدمون عليه وما يتضمنه من شر .

والضمير كما يقول البعض والحاسة الأخلاقية وهي تضعف بالإهمال وتقوي بالمران وتنمو في جو التربية الحسنة وتذبل في البيئة الفاسدة. ولهذا يختلف الناس في الأحكام الأخلاقية (والتعبير بالحاسة الأخلاقية لا يعني أن لها جهازاً عضوياً كالحواس بل إن أداءها لوظيفتها يشبه أداء الحواس) وهذه الحاسة الأخلاقية في تمام سلامتها كما يقول (شافستري) تجعل الانسان أن يكون شريفاً محباً للفضيلة حتى في الخفاء بعيداً عن أعين الناس.

والضمير كما يقول البعض الآخر ليس حاسة وإنما هو العقل الإنساني الذي يقدر الأفعال ويحكم عليها الخير أو الشر ، وهو يوجد لدى الناس جميعاً ولا يحتاج في عمله إلي الخبرة والتجارب، ولكن حتى يعمل الانسان الخير ويتجنب الشر يجب أن يمرر نفسه من أسر الشهوات والعواطف وظواهر البيئة التي تجعله يخضع للأوهام .

على الجانب الآخر فإن هذا الرأي المعارض لقتله إنما يُظهر مدى الإنقسام والاختلاف في صفوفهم الذي قد يرجع الى الخوف من إنكشاف أمرهم فيكون هذا شافعا له عن أبيه عندئذ ، وأنه عارض القتل واكتفى باللقاء في الجب وبذلك يكون الأقرب في تلك الحالة الى قلب أبيه فينال الخطوة لديه بعد يوسف ، ولو كان صادقا في رفضه لتنفيذ المؤامرة لهددهم بإفشاء أمر المؤامرة إلى أبيه خاصة أنه يقال - في كتبهم المقدسة - أن الذي عارضهم هو أكبرهم وجري العرف الذي كان سائدا أن لالاخ الاكبر حق الطاعة .

و لكن القرآن الكريم لم يذكر ما هو صاحب فكرة الإلقاء في الجب و إكتفى التبريل بذكر "قال قاتل منهم" و ذلك لحكمة بالغة هي حتى نحسن الظن في كل واحد منهم و بالتالي ينتفي سوء الظن عنهم جميعاً و لو أن الله حدد القاتل لسقط الباقون في نظر الناس و لحقت بهم ولصقت بهم وصمة التآمر بالقتل و عيروا بها و إنه سبق في علمه سبحانه أن سيكون منهم بعد ذلك التوبة والندم فالتجهيل هنا أولي وأبلغ أما الجب الذي ألقى فيه يوسف فقد عرف بأداة التعريف (ال) أي أنه كان معروفاً لديهم و لا شيء يوجد غيره .

"ولقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين "

وهناك تفاصيل أخرى في الكتب المقدسة لديهم منها :

ما ورد في الصحاح السابع والثلاثين من العهد القديم - يختلف في بعض تفاصيلها مع ما ورد من القرآن - أن يوسف كان يقوم بمراقبة إخوته لما كان يعقوب يتشكك في سلوكهم أرسله وراءهم وأن يوسف أخبر أباه بريية شنيعة شهدها من أخوته , بنى (بلهه) وبنى (زلفه) بينما كان يرعى الغنم معهم دون ذكر لهذه الريه الشنيعة في العهد القديم , وهذا يرفضه العقل لما كان من خوف يعقوب عليه - ما أدركه أخوته فأوغر صدورهم عليه , وكذلك تفضيله عليهم إذ أعطاه يعقوب قميصا موسى له تميزا له عليهم , وأن يوسف ذكر لأخوته حلمه ورؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا له ساجده لذلك تآمروا عليه لقتله , ثم عدلوا عن ذلك واستبدلوه بأن يلقوه في بئر فارغه بعد نزعهم عنه قميصه الموشى .

لذلك فمن المتصور - بناء على تركيبة أخوة يوسف وأهم ابناء علات - وما بين تلك العلات من اختلافات , فإن أبناء زوجة يعقوب الأولى (لينه) ستة ابناء ذكور من بينهم راؤبين الذى تقول رواية العهد القديم أنه عارض القتل وإقترح الإلقاء في البئر على أمل أن يعود الى البئر ويخرج يوسف بعد ذلك , فلما رجع الى البئر لم يجد يوسف فمزق ملابسه ومن ذلك - إن صح - يمكن إستنتاج أن:

· أبناء (لينه) وهى الزوجة الحرة هم اللذين عارضوا أو كان منهم من عارض القتل ولكنهم تغلبت فكرة الإلقاء في البئر اما باقى الأخوة فإنهم أبناء جوارى (إماء) ابني زلفه(جارية لينه) وابني بلهه (جارية راحيل) .

ربما كان حقدهم على يوسف الأكبر أولاً للاعتبارات التى لدى بقية الأخوة ويزيدون عليهم حقدته لأنه ابن حرة وهم ابناء إماء فربما هم اللذين اقترحوا قتله وإحساسهم بالدونية مع بقية إخوتهم رضخوا لهم .

· وعموما فإن مجموعهم الحاقد تغلبت على مراحل الحقد فى نفوسهم لأنهم ينظرون الى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاقهم وأمتلت به أكف أخرى وهذه هى الطامة التى لا تدع لهم قرارا !! .

وقديما رأى إبليس أن الخطوه التى يتشهاها قد ذهبت الى آدم فآلى ألا يترك أحد يستمتع بها بعدما حرمها. وينطبق عليهم قول الشاعر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم

ولما تشاوروا فيما بينهم للتخلص منه كان أول ما خطر ببالهم من طرق (أقتلوا يوسف) وفي ذلك أكبر دلالة على أمور يمكن أن نستخلص منها مقدار الحقد الكامن في نفوسهم وما يثيره من كراهية بلغت الى حد الاستهانة بحياة إنسان بل إنسان قريب منهم من دمهم إنه أخوهم ثم خطرت لهم فكرة أخرى تعود عليهم بالفائدة المادية وهي أن يبيعوه لقايلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد و متجهة الي مصر و بنص الكلمات :

" فذهب يوسف إلى اخوته فوجدهم في دوئان , فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليمتوه , فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام قادم , فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدي الأبار و نقول وحش رديء اكله , ففري ماذا تكون احلامه فسمع راوبين و انقذه من ايديهم. و قال لا نقتله , و قال لهم راوبين لا تسفكوا دمأ اطرحوه في هذه البئر التي في البريه ولا تمذوا اليه يدأ. لكي ينقذه من ايديهم ليرده الي ابيه , فكان لما جاء يوسف الي اخوته اثم خلعوا عن يوسف قميصه , القميص الملون الذي عليه , وأخذوه وطرحوه في البئر وأما البئر فكانت فارغة وليس فيها ماء . ثم جلسوا لياكلوا طعاماً فرفعوا اعينهم و نظروا و اذا قائله مقبله من جلعاد وجاهم حاملة كثيراً و بلساناً و لادناً ذاهبين ليرلوا بها الي مصر . فقال يهوذا الي اخوته ما الفائدة ان نقتل اخانا ونخفي دمه تعالوا لنبيعه للاسماعيليين ولا تكن ايدينا عليه لانه اخونا ولحمنا , فسمع له اخوته , واجتاز رجال مديانيون تجار , فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر و باعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة , ورجع راوبين الي البئر واذا يوسف ليس في البئر , فمزق ثيابه ثم رجع الي اخوته .. "

والواقعة كما حكاها القرآن و هي واقعة الصدق تؤكد ضلوعهم في جريمة تآمر للتخلص من يوسف .

والواقعة كما حكاها العهد القديم و ان كانت تختلف في شكل و لكنها تتفق في المضمون وهو ثبوت نقيصة الحقد و ايضاً تشير الي خلق آخر من اخلاق بني اسرائيل وهو الحرص على الجانب المادى و البحث عن الكسب المادى مهما كان ثمن ذلك وهي طبيعه ثابتة فيهم طفق بها قلم كاتب العهد القديم...

أما عن جريمة التآمر فلم يكن تآمرهم على يوسف هو النموذج السلوكي الأول الذي احتذته أجيالهم اللاحقة تغرس في طبيعتهم لتصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوين بني اسرائيل , ولكن

كان لها جذور سابقة تمت عبر اجيالها السابقة وكانت المؤامرة على يوسف هي احدى ثمرتها المرة , حسب زعمهم كما جاء بالعهد القديم , ولكن المتبع لجذور مرض التامر فيهم يجده واضحا في كثير من مراحل تاريخهم من قبل يوسف , وكان يعقوب النبي (ابو يوسف) طرفاً مؤثرا فيها حسب زعم كتبهم المسطورة بايديهم من ذلك على سبيل المثال في سفر التكوين الاصحاح السابع والعشرين , بعدما كف بصر اسحاق إذ قال لابنه عيسو أخرج وصيد لي صيدا واصنع لي طعاما كي اباركك وما كان من موقف (رفقه) إمراة ويعقوب قد سبق ذكرها وكذلك قصة ذهاب اسحاق و الى حاران حيث خاله لابان وقد سبق ذكر ذلك. وايضا يحكى الاصحاح الحادى والثلاثين تامر يعقوب وزوجته راحيل ولينه على ابهما وفي نفس السياق نقرأ كيف شاركت (راحيل) في المؤامرة ضد والدها (لابان) حتى عندما ادركهم لابان ليفتش عن اصنامه وأمواله المسروقة فنقرأ النص: "وكانت راحيل قد اخذت الاصنام ووضعت في حجاته الحمل وجلست عليها , وجس لابان كل الحباء ولم يجدهم. وقالت لابيها لا يفتظ سيدى انى لا استطيع ان اقوم امامك لان عليّ عادة النساء ففتش ولم يجد الاصنام".

وهكذا كل السياق تآمر وخداع وكذب وسرقة هذا ما حكاه في العهد القديم عما كان في سابق الايام في أصول بنى اسرائيل الاول , البذور والأصل لبني اسرائيل فتأصلت فيهم هذه الصفات وتوارثوها واعتادوها وفي كل جيل كانت جريمة الخداع والتآمر تزداد وتتطور واكثر شاهد على استمرارها وتتطورها ما نراه ونسمعه الآن وما نعانى من ويلات تامرهم الامس واليوم ومن ذلك على سبيل المثال ايضا لا حصر لهم:

ما ورد في سفر استير الواقع بين سفري نحما وايوب وهم من ابناء بنى اسرائيل وما فعلوا بالملك الفارسى (احسويروش) من اول الاصحاح الثاني وما بعدة حينما اختلف الملك مع زوجته الملكة وكان في شوشن (اى البلاط) القصر رجل يهودى يسمى (مردخاى) وله ابنه عم ذات جمال رائع . احتال هذا اليهودى حتى مثلت (استير) امام الملك وهي لم تخبر الملك عن شعبها أو جنسها حسب وصية مردخاى لها . ووجدت نعمة واحسانا قدام الملك وحسنت في عينيه اكثر من جميع العذارى فتزوجها ووضع تاج الملك على راسها وملكها مكان (وشقى) زوجته الاولى , وكان راغباً في عمل كل ما يرضيها , وكان أول ما ارضاه هو قتل الوزير (هامان) الذى كان ينصح الملك بعدم السماح لليهود بالاستيلاء على القدس .. بل وتعيين عمها مردخاى مكان الوزير !!

ليس هذا فحسب بل تامرت مع يهودى آخر هو (نحما خصى الملك) الذى يعمل ساقياً للحصول على أمر ملكى يصرح لليهود ببناء القدس إذ جعلته يدخل على الملك وكانت استير بجانبه ونساقته همرأ (فحلت الخمر واعطيت الملك) ... وتم لها ما ارادت ..

لذلك كتب سفر باسمها ضّمن في العهد القديم وأعتبرت من القديسات ! وتامرهم عبر التاريخ معلوم غير مجهول , وما نعلمهم عنه في الزمن المعاصر يفوق الحصر ولا يتسع المجال له , ليس فقط تامرهم على الغير بل ايضا تامرهم على بعضهم البعض كما في تامر (بيجن) و (لافون) على بعضهم البعض من اجل السلطة.

و كان تآمرهم بيوسف عن إصرار سابق فقد دبروا له شراً و بيتوا له مكرأ فكانت المؤامرة مبيتة و التشاور في كيفية التخلص منه إلى الأبد و توصلوا بعد طول نقاش إذ كان السراي الأول (إقتلوا يوسف أو إطرحوه أرضاً) و طرحه في أرض فلاة يتساوي مع القتل لأن ما آل كلاهما موت يوسف ... وربما تذكروا إنهم من بيت يذكر فيه إسم الله فخافوا إنتقامه لذلك قدموا التوبة لله وإنهم بعد ذلك سيكونون قوماً صالحين .

ثم كان الرأي الثاني الذي إنتهوا إليه (قال قائل منهم لا تقتلوا و ألقوه في غيابة الجب ..) إذ أن الهدف الأسمى لديهم هو الخلاص منهم أما في العهد القديم فإنه يعرض فكرة الإلقاء في الجب على إنما لم تكن تدبيراً مسبقاً متفق على تفاصيله بل أن فكرته نشأت لحظة أن نظروا يوسف مقبلاً عليهم حسب نص الإصحاح السابع و الثلاثين " فنظروه من بعد قبل أن يدنو إليهم إحتالوا له ليميته فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام قادم فالآن هلم نقتله و نطرحه في أحد الآبار) .

لقد انفرست نقيصة العذر و التآمر و أصبحت طبعاً فيهم و علامة عليهم , برعوا في التآمر كما برعوا في الإعداد و نسج خيوط التآمر و ذلك هو موضوع الفصل الثاني .

الفصل الثالث

الإعداد للموآمرة (التخطيط والتنفيذ) واختلاق دليل البراءة

المبحث الاول

الاعداد للمآمرة

﴿قَالُوا يَا تَابِتَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ﴾

﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾

ابتدأوا حديثهم مع أبيهم بأسلوب ودى عاطفى يستثير العاطفه (ياأبانا!!) وهو منادى مضاف (ومآلك لا تأمنا) ما أسم استفهام مبتدأ لك خبرها .
وكما يقول صاحب الظلال:

والتعبير يرسم بكلماته وعباراته كل ما بذلوه ليتدسسوالى قلب أبيهم المتعلق بولده الطفل الصغير الحبيب الذى يتوسم فيه ان يكون الوارث لبركات ابيه إبراهيم .
(يا أبانا) ... بهذا الفظ الموحى المذكور بما بينه وبينهم من آصرة .
مالك لا تامنا على يوسف ؟

سؤال فيه استفهام او فيه استنكار خفى وفيه استجاشة لئفى مدلوله من أبيهم , والتسليم لهم بعكسة وهو تسليمهم يوسف فمبادرتهم له بانه لا يأمنهم على اخيهم وهو (ابوهم) مقصود بها اسجاشته لئفى هذا الخاطر , ومن ثم يفقد اصرارة على احتجازه يوسف .
فهى مبادرة ماكرة خبيثة!!

" مالك لا تامنا على يوسف ؟ وإنما له لناصحون "

قلوبنا له صافية لا يخالطها سوء - وكاد المريب يقول خذوني - فذكر النصح هنا هو الصفاء والاخلاص يشى بما كانوا يحاولون إخفاءه من الدغل المريب .

وإذا وقفنا عند عبارة تنصيص "وانا له لناصحون" فهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم انهم يكذبون ويضللون يستغلون رابطة الاخوة وآصرة البنوة التي هي من أعظم وأرقى الروابط الانسانية - في تحقيق اهدافهم الخبيثة فهذا يندرج تحت الكذب والخداع وسلوك المنحرف وقل في ذلك كل ما في القواميس من احط الأوصاف واخس الصفات فهم موصومون بما.

وحتى يلين الأب من موقفه وتأتى الموافقة المأمولة زادو له الاحاح وزينوة بما سيلاقيه يوسف من متعة ولعب ومسرة فكان الحاحهم مدعوماً بعناصر الاغراء وزخرفها في قولهم لابيهم : " أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون) ١٢ .

أرسله معنا غداً ... أرادو بتحديد الموعد غداً قطع مسار النقاش في هذا العرض كأنه اصبح في حكم المفروغ منه , ثم اردفوة بالعلة أو زينو هذه الموافقة التي اترضوها بقولهم يرتع ويلعب وهي من الأمور المحببة التي يريدوا الاب لابنه الحبيب .

ولا يمانع (أن يرتع ويلعب) وحتى يقضوا على أية خاطرة للرفض الذي قد يكون سببه الخوف على يوسف .. قالو له ما يزيل اى سبب بالتردد او الخوف (إنا له لحافظون) .

بذلك قدموا لابيهم كل المبررات التي تسمح بارسال يوسف معهم وهي تشمل ما ينتظره من أسباب البهجة والفرح (يرتع ويلعب) .

هذا الاسلوب الذى اتبعوه مع ابيهم هو نفس اسلوب بنى اسرائيل دائماً وابدأ , كما ثبت لمن تعامل مع احد منهم أو درس طباعهم فإنهم اهل جدال بارعون في الجدل والقضاء الشباك , وبضاعتهم في ذلك هي الكلام المعسول المنمق , وزخرفة القول صناعتهم وزيف الكلام بضاعتهم وكما يقول المثل (قول العسل هو فعل الأسل) لذلك ما زالوا يلحون على ابيهم حتى بعته معهم ولكن قلب الاب وحسد الرجل الحكيم وليس اى رجل ... أنه ابوهم الذى يعرفهم جيداً ... وأنه

النبي ابن النبي فهل يرفض ؟ وبما يبرر الرفض ؟

وقال لهم : " أنى ليحزننى ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون "

رد عليهم عتابهم الاستكاري ... وأغراء اقم وفصل لهم الرد في سبين :

السبب الأول : " أنى ليحزننى ان تذهبوا به " .

أى يأمنهم عليه ولكن يصعب عليه فراقه ، فذلك لا يصبر عليه حتى هذا السبب أو الرد من أيهم ربما وجدوا فيه ما يزيد من نار الحقد في قلوبهم وإذ يعلن أبوهم - الذى يصفونه لتجاهله لجمعهم وقومهم (أنه فى ضلال مبین) - أنه لا يستطيع أن يصبر على غياب ابنه الحبيب لبعض أجزاء من اليوم .. مما يزيد من اصرارهم للكيد له ويقوى عزيمتهم على الانتقام. ويستنتج من قول يعقوب عليه السلام "إني ليحزنني أن تذهبوا به" أن يوسف كان ملازماً له لا يفارقه لذلك شرب من آييه الحكمه منذ طفولته.

السبب الثاني : (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)

رد عليهم ضمانات السلام والامان للمحافظة عليه بأن خوفاً هو أن يأكله الذئب وهم فى حاله غفلة غير مقصودة منهم

قال بعض المفسرين: لقد علمهم يعقوب الكذب ، أو لولا ذلك ما عرفوا أن يكذبوها ويقول ابن كثير (مجلد ٢ ص ٤٢٠) أخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه .

وأورد السيوطي فى الدر المنثور (٤ / ٥١٠ آثاراً فى هذا الشأن فأورد حديثاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا تلقوا الناس فيكذبوا ، فإن بنى يعقوب لن يعلموا أن الذئب يأكل الناس ، فلما لقنهم أبوهم كذبوا فقالوا آكله الذئب ."

و صار ذلك مثلاً و حكمة يعيها العقلاء كأن يقال .. لا تلقن صاحبك الشر ، فأخلقوا به أن لا تلقنه و يحتج به عليك ، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال لابنیه فى شأن يوسف (و أخاف أن يأكله الذئب) فتلقوه من فمه . و قالوا : (يا أبانا إنا ذهبنا نستيق و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب^(١))

و قال الشاعر :

علي والله في ما لفقوا كذبوا ككذب أولاد يعقوب علي الذئب

ويمكن أن نرى في قول يعقوب لابنیه :

(أنى ليحزننى أن تذهبوا به إلى آخر الآية) كأنما اراد ان يسبقهم بما يمكن أن يتعللوا به إذا اصابه مكره ... أو اراد أن يستثير يقظتهم فلا يغفلوا عنه أو أن الله أعلمه بما سيكون وبما سيتعللون به إذا تحقق قدر الله ومشيتته .

(١) الإقتباس من القرآن مرجع سابق ص ١٥٩

أو لعل اعلمه - وهو علام الغيوب - بما سيكون فأراد ابوهم أن يقدموا له التبرير عندما يقع أمر الله ويقضى بما أمر الله ييوسف بدليل أن يعقوب عندما قص عليه يوسف الرؤيا قال " قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً " .. إلى آخر الآيسة وقال يعقوب ليوسف بعدها (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث إلى آخر الآيسة) .
ربما أراد أن يأخذ منهم تأكيداً أكبر وأغلظ موثقاً ليكون حجة عليهم أو دافعاً لهم لتشديد الحرص وأستهواض اليقظة .

ولعل هذا القول من أبيهم فيهم أثره الفوري ليعدو هذا التخوف عن أبيهم فقالوا : (لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) .

هو تأكيد غليظ حيث " اللام موطنة للقسم , وإن شرطية وأكله الذئب فعل مفعول به وفاعل والواو حالية , ونحن مبتدأ وعصبة خبر , والجملة حالية , وأن وأسمها وأذن حرف جواب وجزاء مهمل , وخاسرون خبر إن والجملة جواب القسم"^(١)
واللافت للنظر أنهم إلى كلامهم مع أبيهم أنهم :

أولاً: يرددون عبارة (نحن عصبة) قالوها عندما جلسوا يتأمرن على يوسف بعد أن ملأهم الغيرة منه (إذ قالو ليوسف واخوة احب الى ابينا منا ونحن عصبة أن ابانا لقي ضلال مبين)
وكرر نفس عبارة التيه والتباهى والغرور في ردهم على أبيهم .. (قالو لئن أكله الذئب ونحن عصبة أن إذا لخاسرون)

في ذلك إشارة بل دلالة قطعية على استخدام القوة في الشر وأنهم - أى بنى اسرائيل - إنما لا يرون في القوة إلا اداة شر وتدمير

ثانياً: أنهم استخدموا عبارتين يجب الوقوف عندهما هما :
(وإنا له لناصحون) , (وإنا له لحافظون)

أما دلالة العبارة الأولى (أن له لناصحون) ناصحون جمع مفردها ناصح والناصح هو الخالص من كل شيء فيقال أمرؤ ناصح الجيب أى لا غش عنده فيقول المعنى إنما سنخلص له المشورة فنبين له حقيقة كل شيء ونوضحه .

(١) إعراب القرآن للأستاذ محيي الدين درويش المجلد الثالث ص ٥٠٨
(٢) سفر التكوين إصحاح ٣٧ (١٢ - ١٤) التوراة السامرية ص ٨٩ تحقيق د / أحمد السقا

أما العبارة الثانية (وانا له لحافظون) فالحافظون مفردها حافظ وحافظ الذى يصون الشىء من الضياع أو الزوال , وأيضاً الذى يحفظ الانسان من الهلاك ويقية مصارع الشر.

ويفهم معنى الحفظ على وجهين

أحدهما : إدامة وجود الموجودات وأبقاؤها وبيضاده الإعدام .

الثانى : صيانة المتعدييات والمتضادات بعضها عن بعض والمقصود فى الآيه هو إدامة وجوده وعدم تعرضه للإفناء أو الزوال ولكن هذين الوعدين أو التعهدين اللذين ألزموا أنفسهم بهما (النصح والحفظ) لم يقوموا بهما بل أنه حينما ألزموا أنفسهم بهما كانوا يضمنون عدم الالتزام بهما , وقد تمسك بنو اسرائيل بمذة الصفة فاصبحت من نسيج طبائعهم وجزء من تكوينهم تعضونت فى تركيبهم العقلية والنفسية والعقيدية , وهى عدم الوفا بالوعد وعدم الالتزام بالعهد

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

لقد تعاهدوا لأبيهم بأنهم (له لناصحون) , ثم إنهم (له لحافظون)

عهود و وعود يقطعونها و هم عازمون على عدم إحترامها أو الوفاء بها ولن كانت العهود والوعود ... لأبيهم و من أجل ماذا كانت العهود والوعود ... لحفظ أخيهم .

.... حتى ولو ... فإن العهود والوعود و أوثق المواليق عند بني إسرائيل ليست أكثر من كلمات تتطير حروفها فى الهواء ...

ولا يتق فيهم أو يصدقهم إلا الجاهل بهم أو الذين لا يعقلون

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

عن مدى إلتزام بني إسرائيل بالوفاء و العهد أو الوعد و من صور عدم الوفاء بالعهد أن كاتب هذا السفر نقض عهده مع ضميره و ربه إذ جعل يعقوب هو الذى يرسل يوسف خلف إخوته ليتجسس عليهم ولا يقول الحقيقة التى تتفق مع منطق العقل و هى كما جاءت فى السرد القرآني أنهم هم الذين ألخوا على أبيهم أن يرسله معهم ... أما كاتب السفر يقول (و مضوا إخوته لرعى غنم أبيهم فى نابلس * وقال إسرائيل ليوسف أليس إخوتك مرتعين بنابلس ؟ تعال لأرسلك إليهم * فقال له ها أنا * فقال له سر الآن و أنظر سلامة إخوتك و سلامة الغنم و عد إلي بالخبر).

المبحث الثاني

{ تنفيذ المؤامرة }

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِمِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ
بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿٥٧﴾

هنا تعرض لنا الآيتان أو نقلنا مشهدين إلى أو واقعيتين :

المشهد أو الوقعة الأولى :- مشهد تنفيذ المؤامرة و عبارات مختصرة في غاية التركيز والإيجاء
البلغ المعجز نفهم أنهم :

ذهبوا به و تعجلوا أمرهم اجمع عليه سلفاً و كانوا في سباق مع الزمن لأتمام الجريمة
واودعوه غيايات الجب كما تم التخطيط له و نفهم من عبارة (فلما ذهبوا به و أجمعوا أن يجعلوه في
غيايات الجب) ان التنفيذ كان سريعاً جداً و علي عجل لماذا ؟

* ربما خشى بعضهم من بعض أن يتراجع فيرق قلبه شفقة أو يضعف قلبه خوفاً .

* ربما خشوا أن يفلت منهم و يكتشف نواياهم فيهرب

* ربما خشوا أن يشاهدهم أحد فيكتشف امرهم .

* ربما خشوا إن لم ينفذوا ما أجمعوا عليه اليوم ألا تواتيهم الفرصة أو لا تسمح لهم الظروف
مره اخري فليكن التنفيذ اليوم بل وعلي عجل!! .

وقد نفذوا ما خططوا له ... وتم التنفيذ وغيبوه في غيايات الجب وهكذا غاب يوسف في
غيايات الجب ليلقى وحده الوحشة وهو في قاع البئر المظلم لا أنيس ولا منقذ , وهل كان لديه أمل
في الخروج , أم كتب عليه الموت ؟ هواجس وافكار بالقطع دارت في عقله و فكره ... لكن آنسه
مالقى الله في روعه من ثقة بالله , لقد امتلأ قلبه بالحب , حب الله و حب ابيه الشيخ بل و حسب
اخوته فقاده قلبه الي الله في طريق مليء بالرضا و الاطمئنان الي فضل الله و عدله ووجد الامن
والإيمان و استبشر بالسلامة من كل شر و كما قرر القرآن (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون) فالأطمئنان والسكينة أنزل الله عليه إذ أوحى الله إليه لا بد لك من فرج ومخرج من

هذه الشدة التي أنت فيها و لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا في حالة أنت فيها عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك وهم لا يشعرون .

نعم (لتبأنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) ١٥

أيقن أن الله معه و أن إخوته في يوم من الأيام سوف يقفون بين يديه موقفاً صاعراً ذليلاً .
وأن الأقدار تلعب دورها معه , و إنما تعده لأمر خطير و قبيح لعبد كبير , و إنما في طريقها إلي تحقيق غرضها و تنفيذ أحكامها , فمرحباً إذا بقضاء الله الذي يجري حكمه علي مقتضى علمه وإرادته^(١).

هكذا أوضح لنا القرآن أن الله ألقى الطمانينة في نفس يوسف وأنزل السكينة عليه أما سفر التكوين - العهد القديم - فلم يدون كاتبه شيئاً عن عواطف الاخوة ولا عن آلام ذلك الفسى الصغير النفسية الذي وجد انه ليس من الهين ان يموت . و لكن دون عليهم - دون قصد منه - ما في قلوبهم من قسوة و ما في أكبادهم من غلظة فلا أثر لرحمة ولا ظل لمروءة إذ يقول النص:

"فلما أبصروه من بعيد قبلما إقرب إليهم إحتالوا له ليميتوه ... * فالآن هلما نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله فترى ماذا تكون أحلامه ... * فكان لما جاء يوسف إلي إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه * وأخذوه وطرحوه في البئر ... * ثم جلسوا لياكلوا طعاماً ...".

إجراماً ما بعده إجرام و بعد أن يفعلوا فعلتهم بأخيهم ... و يخلعوا عنه قميصه ... ثم جلسوا لياكلوا طعاماً ... أي إستخفاف بقيمة النفس البشرية أكثر من ذلك ؟ ولكنهم بني إسرائيل محترفوا صناعة الإرهاب قديماً و حديثاً و في كل مكان

يقول أحد الكتاب المسيحيين (ف . ب . ماير) (٢) انه (ليخيل لنا ان يوسف كان في تلك الايدي القاسيه كحمل وديع بين انياب غر مفترس . اننا نتصوره يجاهد للخلاص من ايديهم , يتوسل اليهم بدموع عزيزة ليخلوا سبيله , يتوسل اليهم بحق والدهم الشيخ و برابطة الاخوة وتنضح الامة النفسية من صرخاته المرة ودموعه و توسلاته) أ.هـ

(١) أحمد الشهاوي شرف الدين مرجع سابق ص ١٣٩
(٢) حياة يوسف ترجمة القيس مرقص داوود ص ٢٣ مكتبة المحبة

ربما اتفق مع هذا الكاتب في تخيل هذا المشهد و مقاومة يوسف لآخوته وتوسلاته لهم
ولكنني لا اتفق معه فيما أورده بعد ذلك اذ يصور آخوته و عذاب الضمير و انقل بعض عباراته في
هذا المعنى التي اوردها تحت عنوان (الخطية التي لم تغفر مصدر عذاب مرعب للضمير) :

" تواتت السنون و لكنها لم تستطع ان تمحو من ذاكرتهم تلك النظرة و تلك الصرخات "
.... " لقد حاولوا مراراً انتزاع كل آثار تلك الجريمة من ذاكرتهم و طرحها في بحر النسيان " "
كان والدهم الشيخ أسعد حالاً في حزنه علي ابنه كميث , منهم في معرفتهم بانه حي , و هكذا
نري ان الجريمة واحدة قد تظلم الدنيا طوال الحياة , يظن البعض ان الله رحيم جداً لدرجة انه لا
يقتص من البشر , ولكنه في الواقع خلق العالم بحيث تكون الخطية هي نفسها جزائها العادل " أ.هـ
اختلف مع الكاتب أن كان لإخوة يوسف ضمير يعذبهم حتى ان الكاتب يناقض نفسه
اذ يقول عند حديثه عن مصير يوسف بعد ذلك فيقول :

" ثم جلسوا ليأكلوا طعامهم , جلسوا ليأكلوا غذاءهم بقلوب قادت من صخر وبعدم
اكتراث "

نعم انهم قوم غلاظ قادت قلوبهم من صخر , و يتلذذون بآلام الغير إنهم بنوا اسرائيل
وتاريخهم خير شاهد

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "
هكذا تم تنفيذ تعذيب يوسف في غيابات الجب وتركوه إلي مصيره المجهول يموت ... أو
يلتقطه بعض السياره ... لا يهم .

المهم ان يخلو لهم وجه ابيهم و قد خلا لم تعد المشكلة الآن في يوسف بل فيهم هم
إخوة يوسف !! نعم إخوة يوسف ... ماذا عساهم يفعلون ... كيف يواجهون ابيهم ؟
ساد الصمت الرهيب ... ان اباهم قد فتح لهم ثغرة في جدار الصمت ... القي اليهم باشارة
خافتة ... التقطوها باذن واعية ... و ترجوها إلي واقع.

اتخذوها ذريعة تبعد عنهم هممة ارتكاب الجريمة وإن كانت لا تنفي عنهم مسؤولية الإهمال !.

ألم يقل لهم " وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ؟"

إذن ما الضرر أن يجعلوا من الذئب المجرم والمذنب ... والقاتل ؟

نعم..... فكما أجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب

فليجمعوا ثانياً أن يجعلوه في جوف الذئب !!

هكذا تم الأمر... أمر التآمر على يوسف.... فأودعوه قاع البئر وكذلك.... أمر التآمر على

الذئب فأقحموه بأكل يوسف !!

أليسوا هم بنو اسرائيل الذين أشربوا التآمر في حياتهم ؟

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للساتلين"

ولكن كيف يستقبل أباهم هذا الخبر ؟

إنها اللحظة التي ترعبهم ويحسبون لها الف حساب !!

....هل سيصدقهم؟ كيف يكون رد فعله؟.....هل سيخلوا لهم وجه أبيهم كما

ينتظرون ؟

أم سيزداد عليهم حنقاً وغيظاً وكمداً ؟ ومنهم بعدا ؟

لعلهم تريثوا يفكرون ويتحاورون حتى جن عليهم الليل ومضى بعضه وهم مترددون

في الذهاب الى ابيهم

وأخيرا جاء المشهد أو الواقعة الثانية:

" وجاءوا أباهم عشاء يبكون"....

تأخروا في الانجاء إلى أبيهم حتى العشاء أى بعد أن مضى بعض الوقت من الليل

..... لماذا ؟

ليكون في دلسة الليل وعمته أقدر على الاعتذار , وحتى لا تكون وجوههم واضحة أما

أبيهم يقرأ فيها كذبهم !!

فمن أدوات حبكة الدور والتدليس كان البكاء , كانت الدموع الكاذبة لتضلل الشيخ

وتوهمه بصدق حزنهم عليه وأسفهم علي نهايته , إهمرت دموع الزيف والتضليل لعلها تكون دليل

اثبات لصدقهم و هم الكاذبون .

و هنا تتجلي قدرة اداء القرآن , الأداء الدقيق المعبر عن الانفعالات التي توجد في النفس الانسانية , فهام اخوة خدعوا اباهم و مكروا باخيهم و القوه في الجب مع انهم يعلمون ان اباهم يحبه و كان ضنيناً أن يأمنهم عليه فكيف يواجهون هذا الأب؟!

هذا الانفعال النفسي الذي لا يستطيع نظرة أن تثبه , فقالوا نأخر اللقاء بيننا الي العشاء والعشاء محلة الظلمة و هو ستر الانفعالات التي توجد علي الوجوه من الاضطراب , ومن مناقضة كذب السنتم , لانهم لم يخبروا الأب بواقع حدث حقيقة , بل بحديث مختلق و قد تمدعهم حركاتهم و يفضحهم لتلججهم , و تكشف سيماهم الكاذبه امام ابيهم , فقالوا الليل أخفى للوجه من النهار وأستر للفصائح وحين ندخل علي ابينا عشاء فلن تكشفنا انفعالاتنا ولعدم قدرتم علي المواجهه حيث الانسان بطبيعته يتردد في الأمور الغير طبيعية التي عليه أن يواجها , فدائماً يؤخرها الي القصى وقت ممكن , وكما يقال " فطر الإنسان علي استعجال الخير , وتأجيل مواجهة الشر " .

و يقول د / نواف الخليسي نقلاً عن الشيخ عبد الحافظ عبد ربه:

" ذكر العشاء في قصة اخوة يوسف بأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة . لذلك تستر اخوة يوسف في غبشه و ضبشه , و ظلامه و سواده . وجاءوا فيه الي ابيهم يخبرونه هذا الخبر المشؤم المكذوب .

(وجاءوا اباهم عشاء يبكون) . فهذه الجزئية من جزئيات الزمن حرص القرآن علي ذكرها لأن لها مكانة في سير أحداث القصة . ذلك أن ظلام الليل الذي اظل هذا الكذب الذي وصفه الله سبحانه بقوله:

(وجاءوا علي قميصه بدم كذب) هو نفسه الظلام الذي تم علي الكذب و دل عليه , والقي في خاطر الأب أن أبناءه لو كانوا صادقين فيما اخبروا لسارعوا الي ابيهم بالحدث في وقته , لان مثل هذا الحدث لا يسكت عليه لحظة " .

وهل اكتفوا بالبكاء امام ابيهم ليقدموه كدليل علي صدق قولهم أم أعدوا دليلاً آخر يقويه ويعززه حتي لا يكون هناك مجال لأي شك أو ريب ؟.

إنهم من المكر والدهاء والخبث لذلك لم يكتفوا بهذا الدليل فاختلفوا وقانع هي ما سنعرض له في المبحث الثاني .

المبحث الثالث

إختلاق دليل (واقعة البراءة)

(قَالُوا يَتَّبِعَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ
الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٧٧﴾)

إختلاق الأكاذيب طبع قديم في بني إسرائيل حتى قبل أخوة يوسف - حسب روايات العهد القديم - ففي الاصحاح السادس والعشرين يقول:

" فهذا اسحاق عندما حدث في الأرض جوع كالذى كان في أيام ابراهيم ارتحل الى مدينة جرار حيث (ايمالك ملك الفلسطينيين) عندما ساله اهل المدينة عن زوجة قال (هي أختي) لأنه خاف أن يقول (هي زوجتي) لئلا يقتله اهل المدينة من أجل زوجة (رفقة) لانها كانت رائعة الجمال. هكذا يكذب اسحاق النبي ابن النبي ... (على حد زعم العهد القديم).

وتمضى القصة بأن يعرف الملك الحقيقة ولا يعاقب اسحاق , ويقول له (ما هذا الذى فعلت بنا ؟ لقد كان يسير أيضاً على أى واحد من الشعب أن يضطجع مع زوجتك فتجلب بذلك علينا اثماً) وأعلن ايمالك حماية لاسحاق وزوجته محذراً للشعب قاتلاً:

"كل من يمس هذا الرجل أو زوجته فحتماً ان يموت "

ومن بعد اسحاق كان يعقوب ابنه الذى كذب أيضاً على أبيه يقدم له الطعام على أنه عيسوا , وسرق البكورة من أخية عيسو!!

فلماذا لا يكذب أولاد يعقوب (حسب تفكير اصحاب العهد القديم !!) .

لقد أصبح الكذب سجية وطبع مغروس غرساً في أخلاقهم وعقيدتهم ... أمر طبيعي بسلب طبيعي جداً حتى بالنسبة للكنيسة العهد القديم . بل أنهم برعوا في إختلاق الوقائع الكاذبة ومنها وليس اولها إختلاق قصة ... ذهابهم الى الإستباق وترك يوسف عند متاعهم ...

وفي ذلك المشهد وإن كان كذباً إلا أنه مقدمة خطيرة وتمهيد خبيث لما بعده , لأن ما ترتب عليه كان إختلاق خبيث لكذب فادح وهو (أكله الذئب).

إقموا الذئب .. والذئب من دم يوسف برىء .

فقط أصبحت هذه التهمة في حد ذاتها مثلاً يضرب لإتهام البريء فيقال (فلان بريء براءة الذئب من دم يوسف أو دم ابن يعقوب) .

إختلاق الوقائع الكاذبة والنسج حولها بأطر كاذبة , أصبح الثقافة المميزة للمجتمع اليهودى أو السمة المميزة البارزة التى تميزه عن أى مجتمع آخر , وهى لذلك تشكل أهم عنصر من مكونات السلوك العام , بل الحركة للإقاع العام لحركة المجتمع بما تؤسسه من القيم وترسخة من عادات , بل وتستثمره فى الإحتيال والإبتزاز أو إثارة العطف والإستجداء .

هو سلوك قديم ولكنه تطور لديهم استجابة الى مقتضيات التغيير الذي فرضته عليهم ظروف الحياة وطبيعة العصر .

ولعلنا لا نخرج عن الموضوع إذا أشرنا إلى إختلافهم لإساطير العهد القديم والى شنائع التلمود ... وأخيراً إختلافهم ما ادعوه حقاً تاريخياً لهم فى فلسطين . وكان دافعهم ومبررهم بذلك ما إختلفوه كذباً (بالهولو كوست) التى يدعى اليهود ان هتلر اركبها ضدهم اثناء الحرب العالمية الثانية , وهو إدعاء كاذب يقوم على دعاوى كاذبة تدحضها حقائق ووقائع ثابتة تاريخياً , ومن هذه الحقائق ما ابرزه المرخون وباحثون اورويون أثبتوا بالوثائق كذب وبطلان هذه الدعاوى المختلقة ومنهم المفكر الفرنسى (روجية جارودى) والمؤرخ البريطانى (دافيد اير لنج) وغيرهما ومنهم يهود

فلا غرابة أن يكون من أساتذتهم الأولين ومعلميهم وقدوتهم السابقين (أخوة يوسف) ... (وجاءوا اباهم عشاءً يكون) .

لا يكفى البكاء لابد أن يدعوه دليل آخر يسندة ويعضدة وكما يقول أهل القانون (تضافر الادلة) .

فليكن إختلاق القصة (وقالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا) تمهيداً أو مقدمة لما بعدها يترتب عليه حدوث الكارثة المختلقة (فأكله الذئب)

أما تمثلية كاذبة وإختلاق لقصة ملفقة - طبعاً هم بين انفسهم يعرفون أنهم كاذبون ... خائنون ... رغم أنهم فى غلسة الليل لأنهم (جاءوا اباهم عشاءً يكون) احسوا ان اباهم لا يصدقهم ويحسون أنها تمثلية مكشوفة , (ويكاد المرعب أن يقول خذوني) لذلك قالوا:

(وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أى وما انت بمطمئن لما نقوله ولو كان هو الصدق ... لانك تشك فينا وأدرك يعقوب من دلائل الحال ... ومن نداء قلبه , أن يوسف لم يأكله الذئب وأنهم دبروا مكيدة ما ... وأنه يلقون قصة لم تقع ويصفون له حالا لم يكن وهذا أفدح الكذب الذى كذبوه وهذه أول مخالفة لشرط أذن والده له بالخروج معهم فكان الشرط لأخذه أن يرتع ويلعب ويحفظوه وليس ليحفظ هو متاعهم وهم يلعبون بالتسابق , لذلك كذبهم , واستشعاراً بسل التيقن أنه لم يصدقهم قالوا:

(ما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أنهم من داخلهم يعلمون يقيناً أن والدهم لم يصدقهم وفى قولتهم (ما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) إقرار للحقيقة لذلك لم يقولوا و ما أنت بمصدق لنا و بادروا باقمام لابيهم بأنه يتحداهم حتى ولو كانوا صادقين وإنما قالوا (ولو كنا صادقين) تفيد أنهم غير صادقين وأنهم يعرفون أن أباهم يعرف أنهم غير صادقين وأنه لا يؤمن بقولهم والنص التوراتي الإصحاح ٣٧ يختصر هذا المشهد فلا يستطيع أن ينقله إلى وجدان ومشاعر القارئ ولكن يجعل منه صورة باهتة فيقول النص :

"فأخذوا قميص يوسف و ذبحوا تيساً من المعز و غمسوا القميص في الدم * وأرسلوا القميص الملون و أحضروا إلى أبيهم و قالوا وجدنا هذا . حقق أقميص ابنك هو أم لا * فتحققه و قال قميص ابني وحشي رديء أكله . إفترس يوسف إفتراساً * فمزق يعقوب ثيابه ووضح مسحاً علي حقويه و ناح علي ابنه أياماً كثيرة * فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه . فأبى أن يتعزى و قال ابني أنزل إلى ابني نالحاً إلى الهاوية و بكى عليه أبوه" ٢١ - ٢٦

ومن النص واضح:

١- أنه هو الذي إستتج من نفسه أن وحشي إفترسه فكافهم مؤنة البحث عن السبب بل إنه تأكد أن هذا الفعل هو من وحش .

٢- أنهم أنكروا معرفتهم بنسبة القميص ليوسف فقالوا له حقق أقميص ابنك أم لا .

٣- قام جميع بنيه و جميع بناته ليعزوه - و ربما نسي كاتب هذا الإصحاح أنه ذكر في الإصحاح الرابع و الثلاثين أن يعقوب له ابنة واحدة هي دينه التي أخذها حمور بن شكيم .

٤- لم يذكر النص أن إخوة يوسف بكوا عليه و لكن فقط قاموا ليعزوه .

ومن النص القرآني يتضح أنه رغم هذا المظهر الحزين المفتعل الذي حاولوا سبكه بذرف الدموع و أصبح البكاء المستع بكاء أخوة يوسف مثلاً يضرب في جالات إفتعال الحزن ومن ذلك ما ورد عن الحسن البصري أنه :

تكلم يوماً فارتفعت أصوات من حوله بالبكاء فقال:

"عج كمجيج النساء , وبكاء كبكاء إخوة يوسف".

قال الشعبي : حضرت شريحاً (أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام) وبين يديه امرأة تخاصم زوجها وتبكي . فقلت لزوجها : يا فلان هذه مظلومة فقال: يا هذا إن أخوة يوسف (جاءوا أباهم عشاء سيكون) و هم ظالمون ثم إنه أنشد في معناه :

أغرك من شيخ بكاء و مملقة أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فإن بني يعقوب جاءوا أباهم عشاء و هم سيكون زوراً و مخزقة^(١)

و كذلك اليوم يفعل الكيان الصهيوني نفس الشيء فهم يملأون الدنيا صياحاً وبكاء وشكوى مما يدعونه زوراً و بمتاناً و كذباً بالإرهاب الفلسطيني (المقاومة الفلسطينية) و هم - الصهاينة - الظالمون المعتدون الأثمون.

(وجاءوا أباهم عشاءاً سيكون)

فكلها أدلة غير مادية وبلغة أهل القانون أدلة غير منتجة في القضية لذلك فأنهم احتالوا للأمر وأعدوا له الأدلة المادية التي ظنوا انها قاطعة ... ترى ما هي ؟؟؟

و هذا هو موضوع البحث الرابع

(١) قصص الأنبياء - عرائس المجالس - الثعلبي - ص ١٣٨ مطبعة الأنوار المحمدية

المبحث الرابع

{ اختلاق الدليل المادى المزيف }

" وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٦﴾ " .

وحق يثبتوا واقعة أكل الذئب ليوسف التى اختلقوها فلا تحجر ضدهم او ضد مجهول , عمدوا الى قميص يوسف (وجاءوا على قميصه بدم كذب) اى جاءوا فوق قميصه بدم , وليس بدم يوسف ولا بدم آدمى , بل للتصويه فهو دم كاذب , لم يوضح لنا القرآن نوع هذا الدم ولكنه وصفه بالكذب وهذا من الاعجاز البلاغى للقرآن حيث:

" وصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه , كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه , والزور بذاته" .

ليكون الدليل المادى الذى يراه يعقوب بعينه فيتأكد له أن قد أكله الذئب ولا أمل فى عودته إلى الحياة, وربما عز عليهم القميص وخشوا من مغبة الإقتال عليه أو الاقتراع , وكيف يناله أحدهم ويراه أبوه عليه , فالحقد على مالدى الغير متأصل فى بنى اسرائيل , حتى عندما صلبوا المسيح (كما يزعمون) اقترعوا على ثيابه بعد صلبه فكان من عادتهم الاقتراع على ثياب القتيلى وحاجياته , وهى لا يمكن ان تتمخض الا عن تجربة طويلة من الصراع بين اللصوص عليها .

ولكن أمام الأدلة الغير المادية السابقة مضافا اليها هذا الدليل المادى هل اقتنع يعقوب عليه السلام بصدق القول أو دليل ؟

الأجابة بالنفى لماذا؟

لان يعقوب أدرك بل أيقن أن هناك مؤامرة حيكمت بإحكام , ذلك أن حالهم مع يوسف من قبل يدل على ما يضمرون له ويكونون فى قلوبهم . وقلب يعقوب حدثه بمشاعر الابوة ... وحس الحكمة أن يوسف لم يأكله الذئب بل غيبته المؤامرة ودبرت له المكيدة وأن ما يفترونه من الكذب ويخترقونه من الاحداث كلها كذب فى كذب .

وهذا الدم ليس دم يوسف أنه (دم كذب) . وإذا كان المثل يقول (اهل مكة أدري بشعابها) , كذلك فان يعقوب أى اسرائيل أدري بنيه.

ويتقصى جذور الظاهرة العدوانية نجد انها ضاربة بجذورها في التكوين السيكولوجي التاريخي والعقائدي للشخصية اليهودية و مما يثير الفكر و يبعث علي التأمل ان :

"كلمة الدم (دم - دماء) ذكر في اسفار اليهود العهد القديم ١٣٩ مره في ١٢١ آية.

و ذكر في العهد الجديد اناجيله الاربعة وأسفار النصاري المقدسة (٨٨ مرة في ٧٨ آية.

و ذكر في القرآن احدي عشر مرة في إحدى عشر آية !! تري هل من دلالة؟؟.

والظاهر أن الدموية نجدها ضاربة في جذورها في أساليب عبادتهم و طقوسها ومنها ماجاء ذكره في كتاب (الذبائح البشرية التلمودية) إذ يعتبرون هذه الذبائح البشرية من الفرائض عليهم و قد ذكر الحاخام (ناوفيتوس) بعض استخدامات هذه الدماء في الطقوس العديدة مثل الأعمال السحرية و التعاويذ و الرقى , كما تخلط في طعام العروسين ليله العرس , وتخلط بدماء الطفل المخون و يدهن حلقه بهذا الخليط. و يخلط هذا الدم بعجينة الفطير ليلة الاحتفال بعيد الفصح كم يخلط هذا الدم بخبز عيد البوريم .

و حتي الآن فالعنف بالنسبة للفكر الصهيوني ليس وسيلة فحسب " بل هو غاية في حد ذاته فاليهودي كانسان - حسب التصور الصهيوني - يحتاج لممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه و من ذاته الطفيلية الهامشية , فالعنف أصبح مثل الطقوس الدينية التي يستخدمها بعض القبائل البدائية عندما يصل احد افرادها سن الرجولة (و اليهودي حينما يقوم بهذا العمل الذي يخاف منه اجداده , ذبح احد افراد الجويميم (السكان الفلسطينيين غير اليهود) يتخلص من مخاوفه و يصبح جديراً بحمل رمز الذكورة) و هذا الجانب من الفكر الصهيوني يتضح في كتاب الثورة الذي كتبه مناخم بيجن فيقول فيلسوف العنف:

" من الدم و النار و الدموع سيخرج نموذج جديد من الرجال نموذج غير معروف البتة للعالم في الالف و ثمان مائة سنة الماضية : اليهودي الحارب أولاً و قبل كل شيء يجب أن يقوم بالهجوم " بالدم و العرق سينشأ جيل متكبر كريم قوي .

ونقرأ في تفسير الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله عليه :

" وكان القميص كان معهم ووضعوا عليه دماً مكذوباً ، لان الدم لا يكذب إنما كذب من جاء بدم الشاة ووضعه على القميص .

وشاءوا الله الحق سبحانه هنا أن يعطى الوصف المصدرى للمبالغة وكان الدم نفسه هو الذى كذب . وهل كان يمكن أن يوصف بأنه صادق ؟ .

نقول نعم لو كان الذئب قد أكل يوسف بالفعل وتلوث قميص يوسف وتمزق . لكن ذلك لم يحدث ، بل ان الكذب يكاد يصرخ في تلك الواقعة ويقول (أنا كذب) . فلو كان أكله الذئب فعلاً ، كان الدم قد نشع من داخل القميص الى خارجه ولكنهم جاءوا بدم الشاة ولطخوا به القميص من الخارج .

وبالله لو كان الذئب قد أكله فعلاً لم تكن انيابة قد مزقت القميص؟.

وحين انكشف أمرهم أمام أبيهم ، اشار أحدهم خفية للباقيين وقال لهم همساً : قولوا لا ييكم إن اللصوص قد خرجوا عليه وقتلوه ، فسمع يعقوب همس فقال : اللصوص اخرج لقميصه مسن دمه وهذا ما يؤكد فراسة يعقوب (أ.هـ

ويكون التساؤل عن موقف يعقوب من بنية ؟

لقد واجههم بحقيقتهم وما أضمره ونفذوه . (قال بل سولت لكم انفسكم أمراً) ...
فماذا هو فاعل؟

أنه النهى المتلىء ايمان بالله المتوكل على الله ... فليس أمامه ازاء ابناثة الأ : (فصر جليل والله المستعان على ما تصفون) هذا هو المشهد كما صورة القرآن .

المشهد في العهد القديم و كيف صورته سفر التكوين إصحاح ٣٧ نجد :

أن يوسف هو الذى ذهب للبحث عن اخوته كطلب ابيه: (تعال لارسلك اليهم وأذهب وأطمئن على أخوتك وعلى المواشى ثم عد وأخبرني عن احوالهم) (فلما ابصروا من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه.....) (فكان لما جاء يوسف الى اخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه ، القميص الملون الذى عليه * وأخذوا وطرحوه في البئر) (ثم جلسوا لياكلوا طعام ، فرفعوا عيونهم ونظروا واذا قافلة اسماعيليين مقبله من جلعاد وجماهم حامله كثيراً) (فقال يهوذا ل اخوته ما فائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه * تعالو نبيعه للاسماعيليين ولا تكفن ايدينا عليه لانه اخونا ولحمنا ، فسمع له اخوته) . و هنا لنا وقفة تأمل في تصرفات إخوة يوسف :

فهم يكرهونه و يضمرون له الشر لأسباب يمكن أن نذكر بعضها مثل :

- ١- فرط حب أبيه له دولهم .
- ٢- تدليله إذ أنهم يقدحون و يعملون و هو يتمتع بأجل الثياب و أطيب الطعام .
- ٣- أنهم يعتبرونه عيناً لأبيهم عليهم و حسب النص (وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلي أبيهم) .

لذلك إستحق منهم العقاب بل أشد إنتقام الذي تمثل في :

* التخلص منهم نهائياً بإبعاده إلي غير رجعة عن وجه أبيهم.

* خلعوا عنه قميصه الذي كان من عوامل حقدهم .

* بعدما ألقوه في البئر إستراحت نفوسهم (ثم جلسوا ليأكلوا طعامهم) .

و هذه كلها أساليب إنتقامية تدل علي غريزة الإنتقام و التشفي , و يضاف إليها ما قر في نفوسهم و تصرفاتهم من حب المادة .. كيف

أنهم حسب رواية العهد القديم لما رأوا الإسماعيليين أرادوا بيع يوسف لهم وبنص الآية (تعالوا لنبيعه للإسماعيليين ...) .

وبعدما ألقوا يوسف في الجب عمدوا إلي سخله من الغنم فذبحوها فلطخوا قميص يوسف بدمها و شووها و أكلوا لحمها .

يوسف إلي أين؟

(واجتاز رجال مديانيون تجار, فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعو يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة)

ورجع راوبين الى البئر واذ يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه* ورجع الى اخوته وقال الولد ليس موجود وانا الى اين اذهب ؟) (فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم * وأرسلوا القميص الملون واحضروه الى ابيهم . وقالو وجدنا هذا * حقق أقميص أبئك هو ام لا* فتحققه وقال قميص أبني * وحشى ردىء أكله * أفترس يوسف افتراساً * فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وقال انى انزل الى ابني نائحاً اياما كثيرة * فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه * فأبا أن يعزى وقال أنى أنزل الى أبني نائحا إلى الهاوية وبكى عليه ابوة) .

ولسنا في صدد ما يعتبر قصة العهد القديم من عيوب ومطاعن فنحن لا نتق إلا في قصص القرآن

ولكن نأخذ ما في قصة العهد القديم كدليل على تزويرهم حتى في كتبهم المقدسة , إذ كيف يكون كل حب يعقوب لابنه وخوفه عليه وعلمه بمقصد أخوته عليه ثم يرسله إليهم قاتلاً: (تعالي لارسلك اليهم اذهب وأطمئن على اخوتك والمواشى ثم عود واخبرني عن احوالهم) .

أما عن عدم تصديق يعقوب للدم الكذب يقول بعض المفسرين ان كذبهم كان مفوضاً رغم انهم احكموا التخطيط بالجريمة ولكن الله لا يبد أن يعمي عيونهم عن بعض الأمور التي تكفى كشفهم إذ انهم :

" حينما عادوا ليلاً يكون ومعهم قميص يوسف وقد لطخوه بدم حيوان ليس فيه اى أثر لمخالب أو أنياب ذئب . ولماذا ذهبوا للسباق وتركوا يوسف وحده وهم الذين اكدوا انه هو الذى سوف يلهو ويلعب (وليس هم) .

وهل الذئب كان رحيماً فطلب من يوسف ان يخلع قميصه ؟

وهل الذئب ياكل غلاماً لا يبقى منه شيئاً ؟ .

لكل هذا وياحساس الاب المتناع وشفافية النبوة كان يعقوب متاكدا من كذبهم وتزوير الأدلة .

لذلك أعرض عنهم ولم يتكلم معهم او يطلب اى تفاصيل , ولم يسأل عن حق بقية جسم يوسف , دلالة على عدم تصديقه وكان ردة عليهم (بل سولت لكم انفسكم أمراً) وتوجه الى الله طالباً ان يلهمه الصبر الجميل قائلاً :

" فصرر جميل والله المستعان على ما تصفون "

والله تعالى ذكر في القرآن (الهجر جميل , والصفح الجميل , والصبر الجميل) .

وقد قيل أن الهجر الجميل هو هجر بلا اذى .

والصفح الجميل هو صفح بلا معاتبة ..

والصبر الجميل هو صبر بغير شكوى الى مخلوق

وقوله (تصفون) يعنى انكم لا تقولون الحقيقة , بل تصفون شيئاً لا يصادف الواقع ,
مثل قوله تعالى : " ولا تقولون لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) النحل ١١٦ .
اى السنتكم نفسها تصف الكلام انه كذب , والحق سبحانه يقول : (سبحانه ربك , ب العزة
عما يصفون) الصافات ١٨٠ .

وتعنى أن هؤلاء الذين قالوا ما قيل عنه أنه وصف قد كذبوا فيما قالوا : وكان مصير كذبهم
مفضوحاً .

" فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " يوسف ١١٨ .

وهكذا عبر يعقوب عن نفسة فالجوارح قد تكون ساكنة لكن القلب قد يزدحم بالمهموم
ويفتقد السكون لذلك لا بد من الاستعانة بالله^(١) .

وتمت الجريمة وتخلصوا من يوسف وأصبح مجهول المصير . وفقد الشيخ الكبير ابنه
.... الصبي ابن السبع عشر عاماً فى مقتبل عمرة لا يدرى اين هو ؟ .

هل انطفأت جذوة الحقد فى قلوب اخوته ؟ هل نسيه أبوه الشيخ الكبير ... الذى كان يرى
فيه الامل ... وميراث النبوة ؟ هل انتهت القصة

أبدأ شىء من هذا لم يحدث الاب ظل ييكي ابنه حتى كف بصره ولم يكف لسانه عن
ذكرة .

الأخوة زادت نيران الحقد تأججاً كلما ذكر ابوهم يوسف . تحولوا الى ايهم يلومونهم
ويعنفونه بل ويحذرونه أن بقى على هذا الحال لأبد أن يؤدي به إلى مالا تحمد عقباه .

و ظل السؤال فى فكر يعقوب و كذلك بنيه ... أين ذهب يوسف ؟
ذلك موضوع الفصل التالي .

(١) تفسير الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٦٨٩١

الفصل الرابع

يوسف يقوده القدر إلى مصيره

المبحث الأول

يوسف في مصر (في سوق النخاسة)

(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا
غُلْمٌ وَّأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ
مِصْرَ لَا مَرَاتِمَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
أَمْرِهِ ۖ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾)

يوسف في سوق النخاسة :

تتفق رواية العهد القديم مع ما قصه القرآن الكريم بالنسبة لمصير يوسف فقد التقطه
بعض السيارة و أسروه بضاعة أي ضموه الي قافلة العبيد معهم ووصلوا به إلى أرض مصر ليبيع
يوسف في مصر التي كانت تحفل بسوق كبير للعبيد .

" هكذا وجد يوسف نفسه واحداً في جماعة كبيرة من العبيد الأرقاء المكبلين بالقيود , المقضى
عليهم بالذهاب إلى أرض غريبة .

ألم يكن هذا أشر من الموت ؟

بالآلام التي مزقت ذلك القلب الغض , لا شك أنه كان متلهفاً ليرسل رسالة واحدة أخيرة

إلى أبيه .

لم يخطر بباله أنه فيما بعد سوف ينظر إلي هذا اليوم كحلقة ذهبية في سلسلة أعمال عناية الله ومحبه أو أنه سوف يأتي اليوم الذي يقول فيه مخاطباً أخوته "لا تتأسفوا ولا تفتاظوا لأنه لإستبقاء الحياة أرسلني الله قدامكم".

وفي أسواق العبيد عرض يوسف مع مئات العبيد غيره ... ولكنه بالقطع كان صبي سنه سبعة عشر عاماً أكثرهم حيوية وهما وجمال ليس كبقية العبيد مما لفت نظر العزيز عزيز مصر فأشتراه ومهما دفع فيه فإنه بالنسبة لقيمة هذه البضاعة بتعبير القرآن (وأسروه بضاعة) وصفاتها الواضحة ... وبالنسبة لثراء وجاه المشتري (عزيز مصر) أي كان الثمن فهو ثمن بخس في نظر المشتري والناظر الي قيمة (البضاعة) دراهم معدودة أخذها التجار من العزيز وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً , وقيل بوزنه مسكاً و وزنه حريراً ووزنه ورقاً والله اعلم . ولكن لا تخرج عن كونها دراهم معدودة كما أخبر القرآن.

ونقل د/ نواف الحليس عن الإمام الزمخشري في تفسيره ..

" وشروه " وباعوه (بثمان بخس) بخوس ناقص القيمة نقصاً ظاهراً (دراهم) لا (دنانير) معدوده أي قليلة تعد عدداً ولا توزن , لأنهم كانوا لا يزنون إلا مابلغ الأوقية وهي الأربعون درهما ويعدون مادونها . وقيل للقليلة معدودة لأن الكثرة يمتنع من عددها لكثرتها وعن ابن عباس : كانت عشرين درهماً وعن السدي الثنين وعشرين (و كانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بأي ثمن لأنهم التقطوه و الملتقط لشيء متهاون به لا يبالي بما باعه و لأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن , و يجوز أن يكون معنى (وشروه) يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخاطروا بماهم فيه " .

ودراسة التاريخ المصري توضح لنا لماذا بيع يوسف بثمان بخس وكانوا فيه من الزاهدين لأنه:

حمل يوسف إلي مصر حيث كانت تجارة الرقيق الأسويين تلقى رواج كبير في مصر كما تدل علي ذلك بردية مصرية في متحف (بروكلين) بنيويورك و لعل بخس الثمن دليلاً علي زيادة المعروض للبيع من العبيد فقد جاء في تلك البردية ذكر ما يربو علي أربعين أسويماً بأسمائهم الأسوية , وما منحوا من أسماء مصرية , من نيف و ثمانين كانوا يعملون خدماً في بيت واحد من عصر الأسرة الثالثة عشر قبل مجيء الهكسوس .

و لما بيع يوسف لعزير مصر (فوطيفار رع) حيث أنزله مراً طيباً وأوصى به إمرأته
وإستبدل باسمه العبري يوسف إسماً مصرياً^(١)

"لقد كان في يوسف و إخوته آيات للسائلين".

يوسف في بيت العزيز :

يختلف المفسرون وكتاب سير الأنبياء في أشخاص قصة يوسف بين أطراف البيع وأطراف
الشراء .

هناك من يقول (نقلا عن ابن عباس) كان اسم الذى باعه بمصر (يعنى الذى جلبه اليها)
مالك بن زعر بن نويت بن مديان بن ابراهيم.

وقيل الذى اشتراه عزيز مصر , قال ابن اسحاق اسمه (أطفير بن رحيب) قال , وملك مصر
يومئذ (الريان بن الوليد) , رجل من العماليق .

وقال واسم امرأة العزيز " راعيل بنت رماييل " وقال غيره كان اسمها (زليخا) وقيل (فكسا
بنت بنوس) .

أما العهد القديم فقد أورد اسم المشتري (فوطيفار) وأنه كان خصى فرعون ورئيس الحرس
والاسم لا يهمننا كثيراً أو قليلاً في هذا المقام ولكن الذى يهمننا حقاً ونلفت النظر اليه هو :

هذه القصة جرت أحداثها إبان حكم الهكسوس لمصر بين عامى (٢٠٩٨ق.م . الى ١٥٧٨
ق.م.) والذى إستمر لأربع أسر من الأسرة الرابعة عشر الى السابعة عشر حسب رأى بعض
الكتاب .

والذى يستحق التأمل حقاً والتفكير هو دلالات هذه الملاحظة ولأن السورة أوردت أو
أطلقت على حاكم مصر اسم (فرعون) في قصة يوسف , ولكن القرآن الكريم في هذه القصة لم
يورد إلا أسم عزيز مصر كما أورد كذلك لقب (الملك) ولم يأت في هذه القصة على ذكر اسم
فرعون , وإنما ذكر اسم (فرعون) في قصة موسى عليه السلام , إذ أن لقب فرعون أصبح اللقب
الذى يطلق على حاكم مصر منذ عهد تحتمس الثالث الذى أقام الدولة المصرية في القرن الخامس
عشر .

(١) د / أحمد عبد الحميد يوسف مصر في القرآن و السنة ص ٤٢ , ٤٤ بتصرف الهيئة العامة للكتاب

ويقول المتخصصون في تاريخ مصر أن كلمة فرعون هي في الأصل (برعا) من مقطعين الأول (بر) بمعنى البيت والآخر (عا) بمعنى على أى صاحب البيت العالى . ولأن الباء المصرية القديمة تنطق فاء في اللغة السامية فأصبحت تنطق (فرعا) في العبرية - وفي العربية (فرعون).

ولعل ما يثير الدهشة في هذا الملمح السريع أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يدرس تاريخ المكسوس ولا تاريخ مصر ولم يكن أحد في عصره يعرف هذا التاريخ فمن أين أتى به؟!.

أليس في هذا (آيات للسائلين) ؟ .

إعجاز يضاف الى إعجازات القران اللامحدودة ا.

إن الايات الكريمة التي ذكرت ما حدث في عهد يوسف عليه السلام جاءت مجملة لا يتعارض تفاصيلها مع الوقائع التاريخية المعروفة وبالتالي يصحح وزر أو ثم تحريفها على محرفوها تصديقا لقوله تعالى :

" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " .

ويدلف هذا المشتري الصبي ولعله قارن بين بيت أبيه المتواضع الذي فيه حظيرة للمواشى ومريض للابل إن وجدت , وإنعدمت فيه مظاهر الأبهة والعظمة ... التي يشاهدها لأول مرة في حياته .

إنه يدلف من الباب خلف الذى اشتراه ويلفت نظره التماثيل المختلفة والنقوش الغريبة فهو لم يألف أى شيء من هذا من قبل مكان غريب ... بناء غريب ... أناس غريباء ... حتى لغتهم غريبة عليه كل ذلك يزيد من حنينه وشوقه الى أبيه وبيته المتواضع القريب الى قلبه خلاف هذا الجو الجديد الغريب كل ما فيه ولعل شعر بالوحشة ولكنه واثق أن الله معه هو الذى حماه من تدبير أحوته له ... وهو الذى أخرجه من البئر .. وهو الذى سرعاه ويحميه في هذا المكان الجميل ولكنه الغريب العجيب .

وقدمه العزيز الى أمراته كعبد جديد يعمل لديها في خدمتها , في بلاطها , ولكنه ليس كإى عبد , إنه بادی الحسن والنبيل والذكاء يتسم بالقبول والإجلال , فليس من المقبول أن يجعله كإى

عبد عندها.... إنه سيكون زينة البيت ومديره لذلك قال لامراته.... (أكرمى
مثواه)..... لماذا؟

لأنه وجد فيه من الصفات والملامح ما يجعله فوق طيبة العبيد . لقد قرأ في صفحة وجهه
علامات النبيل ودلالات الذكاء . يمكن أن يتفعه في إدارة البيت وملاحظة بقية العبيد والخدم
وتنسيق العمل بينهم ومتابعتهم فهو فتي صبور مليح الصورة ملامحه تدل على أنه من أصل
عريق ... إذا فعليهم أن يتخذونه ولدا... وهم اللذين حرّموا الولد .

ذلك كان أول استقبال له في بيت العزيز منذ اللحظة الأولى ولكن قبل ذلك وبعده
ذلك ترتيب العناية الالهية وتقدير العليم الحكيم . ولأنه ذكي حصيف إستطاع أن يكسب حب
أصحاب البيت وينال ثقتهم , وكذلك بقية العاملين في القصر وكان مجداً ... نشيطاً ... كيساً
... مطيعاً ... مريحاً .. ناجحاً في كل أعماله .. موفقاً فيما يقوم به ... وفي كل ما قام به كان يعمل
ضميره الحى وشعوره اليقظ واستراح قلبه وسكنت نفسه ورضى بما قدره الله له .

وكما جاء في سفر التكوين :

إنه كان يحدث نفسه في كل يوم بقوله : " لقد أرسلنى الله الى هنا " .

فوجه: يعنى ماوى (لقوله تعالى في سورة محمد " والله يعلم متقلبكم ومثواكم") .

. وجه ثان : يعنى مرلة كما فى سورة يوسف " أكرمى مثواه " وكذلك قوله تعالى فيها " إنه
ربى أحسن مئواى " .

وجه ثالث : يعنى الإقامة فى المكان كما فى سورة القصص " وما كنت ثاوىا فى أهل مدين) .

أنه لذلك فقد أعتبر أن مرسل من الله ليخدم اله ابراهيم واسحاق لا ليخدم العزيز .

لذلك لم يكن كبقية الخدم فى القصر الذين يؤدون أعمالهم بطريقة شكلية .. المهم أنهم
يعملون مجرد ارضاء العزيز أو تجنب سخطه أو خوفاً من سياطه , كان يوسف يؤدى العمل
على أتم وجه وأكمل صورة ويجهد نفسه فى سبيل الأتقان لذلك حاز رضا العزيز وأهل بيته , وشعر
العزيز أو أحس بأن وراء هذا الانسان الكريم أمراً عظيماً فهو مبارك, كل أعماله ناجحة فأنزله منه
مرلة خاصة وميزة على غيره وأطلق يده فى قصره يفعل ما يشاء وأصبح يوسف رجلاً موفقاً ,

وصار وكيلا على بيت سيده " فترك كل ما كان له في يد يوسف ولم يكن معه يعرف شيئا الا الخبز الذي يأكله " (١)

ومرت ثلاث سنوات وهو في بيت العزيز , وكان وصل الى سن العشرين , وأصبح شاباً قوياً فتياً ناضجاً صالحاً بلغ أشده (ولما بلغ أشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين)
٢٢.

وهل تمضى الايام هكذا له ضاحكة دون إختبار من الله ... لابد من إختبار !!
" أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون " آيه ١ العنكبوت
لابد من الاختبار وإنه لنازل به وسيكون هو الابتلاء العظيم .

(١) حياة يوسف ... مرجع سابق ص ٣٣

المبحث الثاني

"يوسف والبلاء العظيم"

• وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ؕ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ؕ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٣﴾ آية ٢٩

قضى يوسف عدة سنوات في قصر العزيز منذ أن كان صبياً ابن أربعة عشر عاما وفي قول آخر ابن سبعة عشر عاما ... حتى بلغ أشده وصار شاباً فتياً قوياً .

وامرأة العزيز تراه ينمو أمامها ... ويكبر ويكبر مع الأيام حبا له وشغفها به ، فأغرمت به وبعبير القرآن " شغفها حبا " ربما قاومت في البداية رغباتها ونزواتها ولكن مع الوقت تضاءلت المقاومة ونمت وتعاطمت الإثارة والأفتتان حتى ملك عليها نفسها فلم تستطع المقاومة فراودته عن نفسه .

وبالقطع قبل المراودة الصريحة الجلية كان في البداي تلميح والتلويح والتعرض له في ذهابه وإيابه ... عليها تبعث فيه التفكير والإثارة .

حتى كان اليوم الذى رأت فيه أن الفرصة مواتية لها إذ خلا البيت إلا منهما , عندئذ:

(راودته التى هو فى بيتها عن نفسه)

ولم تكنف بذلك بل أحكمت التدبير والإعداد له إذ "وغلقت الأبواب" أى ليس باباً واحداً
دلاله على الاصرار , ثم كانت المصارحة بالفرض والهدف "وقالت هيت لك" مصارحة مكشوفة
بمطلق الفاظها .

إختيار صعب عسير على شاب فتى قوى أمام إغراءات امرأة ذات منصب وجمال وكل شيء
متاح ... والعاقبة مأمونة بل ومشجعة.

ولكن كيف كان تصوير المشهد الرهيب الصعب مشهد هذا الابتلاء العظيم؟؟

تتفق كتب أهل الكتاب فى وصف هذا المشهد الى حد كبير مع عرض القرآن الكريم .

فالقران يسبق مشهد المرادة بدواعيه من أسباب , أسباب الفتنة والأغراء ... وأسباب
المقاومة والامتناع فيقول:

" ولما بلغ اشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين "

وبلوغ الأشد - كما فى قول القرطبي فى تفسيره معناه استكمال القوة

ويقول الشيخ متولى الشعراوى (البلوغ هو الوصول الى الغايه وقوله تعالى " بلغ اشده " أى
وصل الى غايته فى النضج والاستواء

وحين يبلغ إنسان مثل يوسف اشده وهو عاش فى بيت ممتلىء بالخيرات , فهذا البلوغ إن لم
يكن محروسا بالحكمة والعلم ستولد فيه رعونته , ولهذا فقد حرصه الحق بالحكمة والعلم .

أعطاء الله الحكمة فهو قادر على أن يفصل بين الصواب والخطا .

وأعطاه الله العلم الذي يستطيع أن ينقله إلى الغير والذي سيكون منه تأويل الرؤى إذن
فهنا بلغ يوسف أشده وحرصه الحق بالحكمة والعلم ويذيل الحق سبحانه هذه الآية بقوله
("....وكذلك نجزي المحسنين") أ.هـ.

هو قانون الهى يجرى فى كل أعمال البشر فهو حكم عام , ولنا أن نتصور كيف تغيرت نظرة
إمرأة العزيز الى يوسف منذ أن كان صبياً صغيراً لا يثير فيها غرائز الجنس فقد قبلته من قبل على انه
طفل (أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)

أما اليوم فلم يعد طفلاً ولا ننظر إليه على أنه ولد بل شاب يافع قوى يثير الغرائز بما لديه من قوة وفتوة وجمال تأجج العواطف المكبوتة فانفجرت هذه الرغبة الثائرة كقنبلة شديدة الانفجار.

"ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقال هيت لك".

ثلاث أفعال أو تدابير كل منها كانت الصاعقة !!

التدبير الأول " المراودة " : يعنى عرض نفسها عليه بما يستلزم من اسلوب الملاينة والملاطفة والتقرب والاغراء بما يستثير الغريزة ... ولما وجدت منه الصدود أوجج ذلك فيها الرغبة الجامحة والاصرار الذى لا محيص عنه فأرادت أن تضعه أمام الأمر الواقع فكان .

التدبير الثانى " غلقت الأبواب " كل الأبواب وليس بابا واحدا .. لاحكام قبضتها عليه وحصاره وإدخال الاطمئنان عليه أن أحداً لن يراه .

ولكنه لم يستجب لذلك ولم يلتفت إليها ... فكانت الرمية الأخيرة من سهامها.

التدبير الثالث " وقالت هيت لك " أنا قِيَّالت لك .. أقدم إنى اريدك وكان رده المفحم الذى كان وقعه عليها كالصفعه " قال معاذ الله " رفض يلفت نظرها الى من لا يمكن تغييبه ... الله الله يرانى ويراك ... الله لا يقبل ولا يغفر لنا هذا ... مراقبة الله لا يمكن حججها مهما غلقت الأبواب .

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين"

فوجدت امرأة العزيز نفسها فى حرج شديد من غيظها منه وحنقها عليه . هذا من ناحية امرأة العزيز وتحكم الغريزة فيها .

أما من ناحية نظر يوسف اليها وهو الشاب القوى اليافع الفتى وهو فى مرحلة سنه تشتعل فيها الغرائز - بمجرد الاثارة هل انفعلت فيه الغريزة ؟

الاجابة بالنفى لماذا ؟

أولاً: لحفظ الله له " لما بلغ أشده اتيناه حكما وعلما"

ثانياً : أنه استنجد برب العزة فى هذا الموقف الصعب الرهيب فقال:

" معاذ الله " ... استعيذ بك يارب ... أدركنى لا تتركنى أنا واقع فى ابتلاء عظيم وشدة.

لقد استعاذ بمن يقدر على أن يعيذه... استعاذ بالله , وقد استعادت بالله ايضاً من بعده مريم
(قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) مريم ١٨

لم يتمتع يوسف فقط عن الفاحشة بل وقف أيضاً منها موقف المعلم والمؤدب الناصح فذكرها
بان لها زوجاً أحسن اليه وأكرمها: "إنه ربي أحسن مثواي ,إنه لا يفلح الظالمون " .

وإختلف المفسرون في معنى " إنه ربي " فقال بعضهم أن المقصود به (الله) الذي أنقذه من
كيد أخوته وأنقذه من الحب وأنقذه من العبودية .

وقيل المقصود به " العزيز " فهو الذي اشتراه وهو سيده.....ومالكة . ولكن البعض
يستبعد ذلك لأنه لا يجوز لني كريم أن يطلق على مخلوق أنه ربه ولو بمعنى السيد .

والرأى السائد إن يعود على الله سبحانه وتعالى وقد يعود على العزيز فكلمة رب لا تعنى الله
بذاته , بل هي صفة من صفاته ويمكن أن تكون لغيره أيضاً هذه الصفة حلت محل الاسم وتعنى
السيد وولى الأمر القائم على الشيء والوصى كما نقول في لغتنا رب البيت ورب العائلة ورب
العمل .

ثالثاً : لأنه نبي معصوم من الله... تتوافر فيه كل معاني وسلوك الراهة والطهارة فيكون
امتناعه عن امرأة العزيز رغم كمال قدرتها عليه وسيطرتها إذ هو يعمل في بيتها ولكن لرايته
وطهارة ذيله امتنع وليكن بعد ذلك من أمره ما يكون لأنه يعلم أنه " لا يفلح الظالمون "

وإنه يجب أن يصبر على الابتلاء ولا يشتري الدنيا بدنيه وأن رسالته تتمثل أن يدعو إلى
الاستمسك بالقيم والخلق العظيم , ويقاوم نزغات الشيطان ويقهرها فذلکم (الرجل الباكر يوسف
الصدیق - عليه السلام - الذي يتدفق الرجولة في صباه تدفق الطاقة المقعنة بالحوية في العود النضر
الدقيق فتغمره حياء مع الحياة , فتأمره جلالاً مع الجمال , إذ يعرضه القرآن الكريم علي البشر
درساً بشرياً في ترويض الرجولة للذكورة - و تحكم الإرادة السماء في الهيمنة كالحقما حتى
إستمسك الفتى الرجولي اليافع بالخلق الرفيع المنيع حين راودته: (التي هو في بيتها عن نفسه
فإستعصى) ٢٣ و تأمل كلمة : هو في بيتها هنا لتدرك مدى إصرار الرجولة علي الترفع عن التبذل
المهين , و الإنقياد المشين , حتى إذا كان صاحب هذه الرجولة تابعاً لتبوع و أئى تبعية الأقدار أن
تتال من رجولة الأطهار الأبرار؟!^(١) و في هذا المشهد المثير يسلط فضيلة شيخ الأزهر الضوء علي
عبرة و عظة وهي أن وجود يوسف مع امرأة العزيز تحت سقف واحد من سن كان كل منهما

(١) محمد مصطفى بسيوني - حقيقة الرجولة مجلة الأزهر أغسطس ٢٠٠٧ ص ١١٥٨

مكتملاً أدى إلي فتنتها به , لذلك حرم الإسلام تحريماً قطعياً الحلوة بالأجنبية سداً للزرائع , و إغلاقاً لباب الوقوع في الفتن , و من الأحاديث النبوية في ذلك : (ياكمم والدخول علي النساء) وأورد أنه في القصص المشهورة أن امرأة ذات شهرة في قومها إنحرفت عن طريق العفاف و عللت ذلك بقولها (قرب الوساد و طول السواد) أي قربها من أحبته و كثرة حديثها معه .

ثم إن النص القرآني لا يقول (و راودته امرأة العزيز عن نفسه) و قد تكون العلة في ذلك ترجع إلي أمرين :

أحدهما لأن العزيز بعد العرض القرآني لموقفه من إمرأته و من يوسف إذ قال لإمرأته (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) و لم يتخذ معها أي إجراء حاسم في مثل هذا الموقف المذل لشرفه و كرامته , و قال ليوسف (يوسف أعرض عن هذا) و لزوجته (و إستغفري لذنبك إنك كنتي من الخاطئين) فهو مثال الزوج الخانع الذي لا يثور لكرامته فهو لا يستحق الذكر بعد ذلك في نصوص القرآن , ثم إن في قوله تعالى (و راودته التي هو في بيتها) دليل علي أن الكلمة في البيت كانت لها وليست لزوجها . ثم الأمر الآخر : علي جانب من الأهمية نلاحظه في الإسلوب القرآني ففي قوله تعالى (التي هو في بيتها ..) و لم يذكر إسمها سترأ لها , و ذلك لون من الأدب القرآني الذي إلتزمه القرآن في أساليبه في مثل هذه الموضوعات حتى يكون مثلاً و إسلوباً يتبع في التعبير عن الموضوعات التي تمس الأعراس والعلاقات الجنسية و يقول د/محمد السيد طنطاوي في كتابه حديث القرآن عن الرجل والمرأة: والمقصود ببيتها مكان سكنها و الإخبار عن المراوضة بأنها كانت في بيتها أدعى لإظهار كمال نزاهة يوسف - عليه السلام - فإن كونه في بيتها يغري بالإستجابة لها و مع ذلك فقد أعرض عنها و لم يطاوع في مرادها .

وعدى فعل (المرادة) بحرف " عن " قوله تعالى عن نفسه لتضمنه معنى المخادعة و الخيالة . أي راودته محاولة مباحدة عن نفسه بأن يجعلها مطيعة لها و ناسية كل ما يخالف ذلك من معاني الشرف و الأمانة و الوفاء بالعهود و التحلي بما يليق من فضائل .

و لذا قال بعض العلماء : و الظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن الكريم , لأن النفس هنا كناية عن الإستجابة لمطالبها و من تملكها منه , و عن تسليم نفسه إليها ليكون طوع إرادتها^(١) .

والتأمل في الآيه التالية وهي قوله تعالى:

(١) محمد سيد طنطاوي مرجع سابق ص ٣٤٣

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِمِطٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٣﴾"

أما عن " ولقد همت به " فذلك واضح وهو حديث نفسها بإتمام ما انتوته باصرار والسدى وضحته من قولها "هيت لك"..... أما عن " وهم بما "فمما لا شك فيه أنه فكر فيما سيكون عاقبة رفضه فذلك أهمه فهمه هو هم الترك والإعراض والمقاومة وهم ما سترتب على ذلك لقد كثرت التفسيرات لدى المفسرين القدامى والحديثين ودخلتها بعض الاسرائيليات .

ولكن الراجح لدى جمهور المفسرين هو أنها همت به هم الفعل وهم بما هم النفس ثم تجلى له برهان ربه فترك .

والأقرب الى التصور في ضوء الظروف والأقرب الى الطبيعة البشرية والى العصمة النبوية وما كان يوسف سوى بشر , نعم إنه بشر مختار ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات .

فربما أن جرى فى داخله حديث نفسى أى حدثته نفسه أيضا بذلك ويؤكد هذا الاتجاه العبارة التالية " لولا أن رأى برهان ربه " لأن لولا هى حرف امتناع لوجود , فلولا رؤيته برهان ربه لما امتنع .

وفى تفسير الشيخ الشعرواى يطرح رأى جدير بالاعتبار وهو :

" إن لم يقل الله لنا أنه قد هم بما لظننا أنه عنين - أى لا يأتى النساء - أو خصاه موقف أمّا سيدته فخارت قواه , فالحق يريد أن يوسف كان طبيعيا وقد بلغ اشده ونضجه , ولسولا أن رأى برهان ربه لهم بما " .

إذن فبرهان ربه سابق على الهم فوجد هم ولم يرتكب ما يتطلبه الهم , لأن برهان ربه فى قلبه , وقد عرف يوسف برهان ربه من البداية لأنه من المخلصين"أ.هـ .

إذ كشف الله له فى هذه اللحظة الفارقة عن المحرقة الرهيبة التى ينحشر الزناة من الرجال والنساء فى أسفلها , إذ يضيق بهم و تشتعل النيران فيصرخون من الألم و يقفزون إلى أعلي يريدون الفرار من العنق الضيق و بعد معاناة فظيمة و إذا توهمونه إنهم قد أوشكوا أن يخرجوا من فوامة المحرقة الضيقة على حين فجأة يجدون أنفسهم يهبطون إلى أسفل حيث تسعهم النيران.

والتقدير لولا ان رأى برهان ربه لهم بما فكأن يوجد لهم على تقدير إنتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان فإنتفى بهم.

وقد تحقق قوله تعالى:

"كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء إنه من عبادنا المخلصين "

لقد إختلف المفسرون في معنى البرهان .

فمن قائل إنه رأى وجه أبيه يعقوب يلومه , ومن قائل أن أصوات الحراس نبهت لمقدم العزيز.

و من قائل إنه تذكر فضل الله عليه و منه فإستحيا من الله .

و من قائل أن عصمة النبوة عصمته .

و من قائل أن (برهان ربه) تمثل في تفتح الأبواب التي غلقتها امرأة العزيز بمعنى أن رحمة الله أدركته ففتحت له الأبواب إستجابة لإستغاثته (كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء) ليسرع بالهرب .. و تأمل قوله تعالى (لنصرف عنه) كان السوء و الفحشاء يطاردانه , و لم يقل (كذلك لنصرفه عن السوء)

تفعيل مقاومة يوسف لامرأة العزيز :

وحتى يكون رفضه قاطعا باتا كان عليه أن يترك وبسرعة حلبة الصراع ...فأسرع نحو الباب , وادركت هدفه .. فهل تتركه يفلت منها وهو صيدها الثمين .؟

..... إندفعت خلفه مسرعة لتجذبه من ثيابه من الخلف " واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر " قال العلماء في قوله تعالى " واستبقا الباب هذا من اختصار القرآن المعجز الذى يجمع المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة , وذلك انما لما راودته عن نفسه وأبي عزمت ان تجبره بالقسر والاكره , فهرب منها , فتسابقا نحو الباب هي لترده الى نفسها وهو ليهرب منها فأختصر القرآن ذلك كله بتلك العبارة البليغة (واستبقا الباب) .

وهي مميزات القصص القرآني : طي ما يقتضيه الكلام , فقد طوى حضور سيدها وتركه
بالباب و سراعهما بفتحه^(١).

أليس في هذا الاعجاز " آيات للسائلين "

وكانت المفاجأة " وألفيا سيدها لدى الباب " .

أمر مريب ومريب ومن حقه - سيدها - ان يعرف ما يحدث , وقيل أن يسأل بادرته
هي بالشكوى , لتبعد عنها الشك والريبة وترمى بالثبعية والمسؤولية على يوسف فقالت " ما
جزاء من أراد بأهلك سوءا؟ " .

ولحكمة الشكوى وعدم ارتياحها مما أخت إليه قررت أو اقترحت العقوبة " إلا أن يسجن
أو عذاب أليم "

فها هو ذا يلقي العنت من مرادة امرأة العزيز له , فيأبي . و ينتصر في النهاية علي الإغراء ,
ويعلمك نفسه في الموضوع الذي تهاود فيه الإرادة , و هنا تبرز " المرأة " في حالة من أنكر حالتها ,
وفي دفعة من دفعات غريزتها " و إستبق الباب و قلدت قميصه من دبر " . و تقع المفاجأة المذهلة : "
وألفيا سيدها لدى الباب " و هنا تدرك المرأة غريزتها أيضاً فتجد الجواب حاضراً , إنما تهتم الفتى
قالت " ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ " .

ولكنها امرأة تعشق فهي تخشى عليه الردى , فتشير بالعقاب المأمون " إلا أن يسجن أو
عذاب أليم "^(٢).

ولنتأمل الآن كيف أوجزت هذه الآية القصيرة المشهد الرائع في كلمات قليلة وتصوير يجسم
المشاعر الفوارة في القلوب في حركات جسمية معبرة , وكيف عبرت عن رغبة المرأة الجامحة دون أن
تخدش حياء القارئ أو تثير غرائزه أو تهن المرأة نفسها , وكيف أظهرت لنا قدرة المرأة على التلون
والكذب المقنع الذي يثير عواطف الرجل , إن أعظم الأدباء لا يستطيع أن يعبر في هذه الكلمات
القليلة عن عشر المعاني التي ترد الى القلب للتأمل في هذه الآية^(٣)

(١) د/ جمعه علي عبد القادر - مرجع سابق - ص ١٩ - و في كتاب إعراب القرآن لم يخاطبها بقوله (أنتي راودتيني)
بل أشار إليها بقوله هي (راودتيني عن نفسي) و كل هذا علي سبيل الأدب في الألفاظ و الإستحياء في الخطاب فأبرز
الإسم في الضمير الغائب تأدياً مع العزيز و حياء منه ص ٥٢٢ - أما كاتب العهد القديم فيعبر عن ذلك بلفظ (يضطجع)

(٢) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن ص ١٦٨ دار المعارف مصر
(٣) د/ التوحيد زهيري - القرآن معجزة كل عصر - مؤسسة دار الشعب

وما لاشك فيه فإن الشكوى والتحرير على العقوبة مفادها أن هذا الأمر منكر أقدم عليه يوسف ولا بد أن يعاقب عليه وبذلك إعتقدت أنها برأت نفسها وأتمته مما اضطره لقول الحقيقة ليرأ نفسه " هي راودتني عن نفسي" (١)

قضية كل منهما فيها يدعى على الآخر ويتهمة !!

والهم الله شاهداً من أهلها إختلفت في صفته الروايات ومحصلتها " وشهد شاهد من أهلها " بأن وضع الأساس الذي يبنى عليه الحكم فقال " إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين".

وغير يوسف كانت تنال " اللخمة " ولكن يوسف الراجعي يجيب صادقاً : " هي راودتني عن نفسي " ويستشهد بقميصه المقدود من الخلف . ويجد من يؤيدة في إستشهاده من أهل المرأة ذاتها : " وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين , وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " فيوسف إذن برئ (٢) .

وتبين صدق يوسف " فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم "

وماذا كان قرار الملك او حكمه ؟

" يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين " .

* القرار في أمر ليوسف بأن يعرض عن هذا الموضوع أى يكتمه ولا يتحدث به .

* القرار بالنسبة لامرأة العزيز يقرر بأنها اذنبت ويجب أن تستغفر الله لذنبها ولا ترجع الى هذا الخطأ ثانيا .

وإكتفى العزيز من امرأته بتوجيه اللوم لها وانه يجب عليها الاستغفار لذنبها وأنها اخطأت ولم يتجاوز عقابه لها أكثر من هذا , ولم يحل العزيز بين يوسف وأمرأته وتركهما معا في القصر كما

كانا !!

ويعلل هذا لاسباب شتى:..... تري ما هي؟

(١) جمعة على عبد القادر - مرجع سابق ص ١٩

(٢) جمعة على عبد القادر - مرجع سابق - ص ١٦٨

منها وأهمها عدم الفضيحة إذ لو أراد عقابها فإنما قد تكشف عيبه بأنه عين أو كما يقول بعض المفسرين (خصي) ويقول البعض " قال ابن اسحاق إنما كانت بنت اخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر^(١) .

وقد يكون كما يقول صاحب الظلال^(٢) - في شأن الطبقات الراقية في المجتمع - " وكانها هي هي شاخصة رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية وميل إلى كتمانها عن المجتمع وهذا هو المهم كله " لكل ذلك طلب من يوسف كتمان الأمر تجنباً للفضيحة " .

ويبقى يوسف في القصر حيث إزدادت ثقة العزيز فيه وإطمأن جانبه وبمكّن إدراك ذلك واستنتاجه من طريقة مخاطبة العزيز ليوسف إذ قال له يوسف اعرض عن هذا وكان الطلب فيه رجاء أن يكتمه وأن لا يبوح بذلك لأحد.

أما امرأة العزيز فلم تتل عقابا رادعا الا توبينا لا يجدى ولا يناسب الواقعة وهي بعد ذلك لم تشفى غليلها من يوسف ولم تتل رغبتها فذلك جعلها تصر على إشباع رغباتها طالما أن الأمر لن يكون عليه عقاب !!

وتسرب خبر هذا الواقعة لنساء المجتمع الراقى .

وهذا المشهد يعطينا صورة عن واقع حال ما يجري في المجتمعات الراقية البعيدة عن منحه الله ... ففيه الدرس والعبرة حقاً:

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

وأرى هنا أنه من الضروري التعرف على ما سجلته كتب أهل الكتاب حول هذه الواقعة وليكن مرجعنا هو العهد القديم (سفر التكوين الاصحاح التاسع والثلاثون) وفيه :- (٧ . وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة العزيز رفعت عينها الى يوسف وقالت اضطجع معى ٨ . فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت أعظم منى ولم يمك عنى شيئاً غيرك لانك امراته فكيف اصنع الشر العظيم واخطى الى الله ١٠ . وكان اذا كلمت يوسف يوماً فيوما انه لم يسمع لها ان يضطجع بجانبها ليكون معها . ١١ . ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن انسان من اهل البيت هناك فى البيت ١٢ . فأمسكت بثوبه قائلة اضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج الى الخارج ١٣ . كان لما رأت انه ترك ثوبه فى يدها

(١) قصص القرآن لابن كثير - تحقيق د / السيد الجميلي - ص ٢٢٩
(٢) ص ١٩٨١

وهرب الى خارج . ١٤ . انها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قد جاء الينا برجل عبراني ليداعبنا دخل الى ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم ١٥ . وكان لما سمع اني رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجاني وهرب وخرج الى خارج ١٦ . فوضعت ثوبه بجانيها حتى جاء سيده بيته ١٧ . فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل الى العبد العبراني الذي جئت به الينا ليداعبني ١٨ . وكان لما رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجاني وهرب الى الخارج . ١٩ . فكان لما سمع سيده الكلام امراته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك ان غضبه حمى ٢٠ . فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان اسرى الملك محبوبين فيه " !!

هذا ما هو مدون في التوراة العبرانية أما في التوراة اليونانية فنقرأ :

" كان يوم هادي دخل يوسف الى البيت لم يعمل أعماله ولم يكن أحد داخل البيت فتعلقت بشابه , وعرتة إياة قائلة: أرقد معي فخلف ثيابه في يدها وهرب وخرج . وكان لما نظرت أنه خلف ثيابه في يدها وهرب وخرج . دعت اللذين في البيت وقالت لهم " (تك ٣٩ : ١١ - ١٥) ولنا هنا عدة ملاحظات منها :

الأولى : في التوراة العبرانية " فأمسكت بثوبه قائلة اضطجع معي فترك ثوبه في يدها وخرج الى الخارج "

كيف أمسكت بثوبه فتركة لها؟ غير متصور إلى أن يكون عاريا وثوبه في يده وإذا كان ذلك كذلك فكيف خرج عاريا ...؟ أليس الخروج عارياً يفضحة ؟

الثانية: في التوراة العبرانية أيضا : تنص الآية ١١ " ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت".

ثم بعدها بآيتين فقط ففي الآية ١٤ ونصها : " إنها نادت أهل بيتها وكلمتهم ...! "

فأول هذا الكلام يقتضي أنه لم يكن أحد داخل البيت وآخره يقتضي أن فيه جماعة أليس في ذلك تناقض ؟.

ثالثا : في التوراة العبرانية تقول : " فأمسكت بثوبه قائلة اضطجع معي , فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الى الخارج "

أما التوراة اليونانية فتقول : " فتعلقت بشابه , وعرتة إياهم قائلة أرقد معي "

ففي الثانية تقول " وعرته إياهم " ومعنى ذلك أنه وقف ساكنا وهي تعريه من ملابسها ثم ترك ملابسها معها وهرب عريانا!! وهذا منطق غير مقبول شكلا وعقلا .

والملاحظ هنا إختلاف المشهد في رواية التوراة العبرية والتوراة اليونانية رغم أن اليونانية مترجمة عن العبرية .

ونفس المعنى نقرأه في التوراة السامرية : " كان كالיום هذا دخل يوسف الى البيت ليعمل صناعته في البيت , وليس إنسان من أهل البيت هناك في البيت * فقبضته بثيابه قائلة إنضجع - هكذا - معي فترك ثيابه بيدها وهرب وخرج خارجا * فإستدعت أهل بيتها وقالت لهم"

وبأعمال النظر في النص القرآني ونص سفر التكوين يتضح أنهما يتفقان في ;

* إمرأة العزيز هي التي راودته عن نفسه .

* وإن يوسف استعصم ولم يقترب الفحشاء معها .

* وإن العزيز علم بالخبر من امرأته.

* وإن امرأه العزيز أتمت يوسف بأنه أراد بها السوء .

فالنصان إختلفا اختلافا كبيرا في أمور جوهرية في عدة ادعاءات في وقائع منها:

أولا :- في النص القرآني : (أنهما إستبقا الباب وقادت قميصه من دبر).

في سفر التكوين :- (أنها أمسكت بثوبه قائلة اضطجع معي فترك ثوبه في يدها وهرب الى الخارج).

ثانياً : في النص القرآني: (والفيا سيدها لدى الباب).

في نص سفر التكوين :- أنها وضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده بيته

ثالثا في النص القرآني: ان شاهداً من أهل بيتها حكم وقال: (ان كان قميصه قد من قبل الخ الآية).

في سفر التكوين (أما نادى أهل بيتها قائلة انظروا فصرخت بصوت عظيم وكان لما سمع انى رفعت صوتى وصرخت انه ترك ثوبه وخرج).

رابعاً في النص القرآني: - كان رد فعل العزيز انه قال :-

(يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين.)

في سفر التكوين (ان غضبه حمى فأخذ يوسف سيده و وضعه في بيت السجن) .

فأى الكتابين كان أدق في سرد هذه الوقائع ؟ إننا نتساءل ؟!!!!

هل ينطبق هنا قول الله تعالى :

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين؟).

أما الاجابة هي نعم بالاجاب: فإذا حكمنا منطق العقل في تفاصيل الروايتين نجد:

أولاً :- من منطق الأمور تصويره وهو يجري نحو الباب ان تجذبه من الخلف فتقد قميصه وليس من منطق الأمور ان تجعله يخلع قميصه ثم تقول له اضطجع معي فيجري ويترك ثوبه فلماذا هو خلع قميصه أم انها خلعت عنه يارادته ثم غير رأيه!!؟.

ثانياً :- من المنطقي أن يتصادف توجههما نحو الباب ان يأتي سيدها في هذه اللحظة ولكن من غير المنطقي انها وضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده بيته وهل من المقبول عقلا ان يأتي أهل البيت علي النداء ولا يأتون علي الصراخ العظيم !!؟.

وهي في هذا القصر المنيف الذي يعج بالخدم والعمال والعبيد عندما صرخت ألا يهم أحد لنجدتها والامساك بيوسف ؟.

ثالثاً : عرض القرآن يؤكد ان العزيز اقتنع ببراءة يوسف وخطأ امرأته لذلك كان رد فعله نحو يوسف هادئاً مطمئناً له (يوسف اعرض عن هذا) فيه طلب يشبه الرجاء ان يكتم الخبر ولثقتة في خلقة أبقاه في القصر ووجه اللوم الي امرأته .

اما عرض سفر التكوين : حمى غضبه يعني انتفخت اوداجه واحمر وجهه وجحظت عيناه بل المتصور في حالة مثل تلك ان ينهال عليه ضرباً يؤدي الي موته اويأخذه بعذاب شديد !!.

ولكن ماذا فعل ؟ اخذه ووضع في بيت السجن !!

انه غضب لا يرقى الي فداحة الجرم كما تندعي زوجته وصدقها زوجها.

فمن كتب تاريخ القانون نقرأ..

(١) لو تم الزنا عن طريق الغصب او العنف كان الجزاء يتمثل في قطع الاجزاء التناسلية اما اذا تم بدون عنف فإن الرجل الزاني كان يجلد ألف جلدة .

(٢) حرص المشرع المصري القديم علي العفة في العلاقات الجنسية , ولهذا فإنه جرم العلاقات الغير مشروعة وهي فعل الزنا وإغتصاب الاناث , واذا كان الجاني احد النبلاء أو أحد أفراد الاسرة المالكة فإنها كانت تنفذ عليه بأن يفرض عليه الانتحار بالطريقة التي يختارها .

(٣) الراجح ان الملك كان يملك سلطة محاكمة بنفسه . وكان من وسائل التحقيق استجواب المتهم بعد تحليفه يمينا , والاستجواب المقترن بالتعذيب بالعصي او بعجلة التعذيب , ويستفاد من البرديات هول وشناعة خيانة الزوجة لزوجها في المجتمع المصري القديم إذ كان العقاب قاسيا عنيفا فكانت تحرق ويلقى برمادها في البئر , أو تلقى لتفترسها تماسيح النهر^(١).

وفي ذلك حرمان لها من الدفن والشعائر الجارية وبذلك تحرم من الحياة الأخروية ويكون فنائها الى الأبد لأن الروح لا تجدد جسدا تعود إليه .

وفي العرض التحليلي لما ورد في العهد القديم والمدعي كذبا انه من عند الله , ولكن لانه من عند غير الله فقد وجد فية الاختلاف , وهذا التحليل يثبت دقة ما أوردته القرآن الكريم في هذه الواقعة لمن يبحث عن الحقيقة

(ولقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين)

حقا (انه لحق اليقين) ————— ويبقى سؤال هام:

لماذا تم اوان العزيز مع زوجته ولم يعالها ؟

هناك تفسيرات عديدة لهذا التهاون وقد أوردنا بعضها في سياق الواقع ... ولكن يضاف الى هذه التفسيرات أمر آخر على قدر من الأهمية والخطورة ... وهو ضرورة التفريق بين أمرين :

الأمر الأول : ما كان متجذرا في وجدان المجتمع المصري من ثقافة تسود فيها الأنفة والحمية والكرامة والثورة والإنتمام للشرف والعرض فكان المصريون القدماء يعرفون الله ويؤمنون بالبعث والجزاء إلا أنهم يشركون معه أربابا كثيرة كغيرهم من الأمم المشركه . ويؤكد هذا ما قاله العزيز لزوجته من الذين إعتنقوا عقائد المصريين وعبدوا آلهتهم وقلدوا عاداتهم يوم أن راودت يوسف عن

(١) بردية سيزيل في متحف برلين وبردية (وستكار) في باريس وبردية تشستريتي في بريطانيا (عن مصر في الكتاب والسنة)

نفسه إذ قال لها ما استفاد منه أن المصريين كانت لهم قيم دينية ويعرفون الله لذلك قال " يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك " إذ يعلم أن المراودة وارتكاب الخطيئة ذنب يستحق التوبة الى الله وطلب المغفرة منه وما يكون ذلك إلا لمن يؤمن بالبعث والحساب وهو ما يؤكد التاريخ المصري القديم.

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

فلقد كان المجتمع المصري القديم مجتمع التقوى ومكارم الأخلاق وكان حكمة على مثل تلك الجرائم عنيفا قاسيا , فلم يكن المصري ليقبل الخيانة والخنا , وكان اسم الزوجة إذ تتهم بالإفك عند زوجها مضرب المثل في البشاعة كما ورد في قصيدة المصري القنوط الذي كرة الحياة وحدث نفسه بقتل نفسه وإنحدرت إلينا عن عصر الدولة الوسطي غير بعيد من عصر يوسف مسطورة بالخط الهيراطي على بردية يحفظها اليوم متحف برلين^(١).

الأمر الثاني: فإن موقف العزيز المتخاذل المستسلم المتهاون في عرضه وشرفه فإنه يعطي صورة للمجتمع الراقى المتحلل من أخلاقه بوجه عام ومجتمع الدخلاء من الهكسسوس والغرباء في هذه المرحلة من تاريخ مصر , وفي هذا ابلغ غجابه للسائلين عن الحياة الإجتماعية للطبقات الراقية البعيده عن الله في كا مكان وزمان .

ولو أمعنا النظر في ما سبق أن عرضناه من قصص التوراة لوجدنا أن كتاب التوراة في عرضهم كانوا متأثرين بثقافة مجتمعهم وقت كتابتها وإنما ربما تتساوى في كثير من المواقف مع موقف العزيز من إمرأته أو ادى ومن ذلك نجد في نصوص التوراة ان :

• أن يعقوب عندما تعرضت ابنته دينا لإغتصاب شكيم ابن حمور - حسب ما أوردته توراتهم - لم يفعل شيئا (تكوين ٣٤ : ١ - ٣٠) وإن ذكر كاتب الإصحاح أن اخوة دينا إنتقموا لها .

• ويعقوب عندما اضطجع رأوبين مع سريته - حسب ما أوردته توراتهم - " ذهب واضطجع مع سريه أبية وسمع إسرائيل^(٢) " (تكوين ٣٥ : ٢١) .

(١) د/ أحمد عبد الحميد يوسف - مصر في القرآن والسنة - ص ٤٨
(٢) هو يعقوب

• يهوذا ابن يعقوب يزني بثامار أرملة ابنية (غير ثم أوران) وكان الحكم عليها بالحرق عقوبة لإثمها ولكن رجوع عن القصاص إذ تبين أن يهوذا هو الذي زنا بها (تكوين ٣٨ : ١٤ - ٣٦).

• وكذلك سكت داوود عن أمنون ابنه إذ اغتصب أخته ثامار- حسب زعمهم- بنت آبية (صموئيل ١٣ : ١-٢١).

لهكذا يوضح الكاتب التوراتي كيف كانت الفاحشة تسري سريان النار في الهشيم في مجتمع الصفوة من بني إسرائيل وكان يتم التكنم على ذلك والسكوت عنه وكيف أصبحت الفاحشة سممة وموروث ثقافي في المجتمع اليهودي وهو ما نراه اليوم^(١).

وبعد ذلك الإستعراض نعود الى العزيز وقاونة مع زوجته فأنا اتفق تمام مع ذهب إليه صاحب الظلال في شأن الطبقات الراقية في المجتمع فيقول (وكأنها هي هي شاحصة رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية وميل الى كتمانها عن المجتمع , وهذا هو المهم كله لكل ذلك طلب من يوسف كتمان الأمر تجنباً للفضيحة) .

وحق لا تثار حول الموضوع أية إثارة فإنه أبقى يوسف في القصر حتى لا يكون التفسير في الوضع مثيراً للانتباه .

أو ربما خشي من بطش الملك إذ قيل إنما كانت قريبة من الملك .

أي كان السبب ... فإن هذا لا يمنع وجود مثل هذا الشخص الخانع الذي لا يصون لكرامته متخفياً بين الناس متزياً بزِي الرجال , و إن وصل إلي أعلي المراكز في المجتمع .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

للسائلين عن معنى الرجولة و الكرامة و العزة

(١) الكيان الصهيوني وفضائح الجنس كتاب جديد للباحث

المبحث الثالث

(بلاء الاغراء يزيد يوسف تمسكا بدينه)

♦ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٤﴾ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٥﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْسِبَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾

تسرب خبر هذه الواقعة الي نساء المجتمع الراقي آنذاك , ربما عن طريق الشاهد , أو ربما كانوا اكثر من شاهد , والقصر ملي بالخدم والحشم والعبيد وكما يقال " للجدران آذان " .
وطعن النسوة علي امرأة العزيز وعبئها , وشنعوا عليها في مجالسهن بأنها تراود فتاهها , ذلك العبد العبراني الذي اشتراه سيدها بثمان بخس , وهو ليس إلا مولي من موالئها , وما كان لها أن تفعل ذلك !!

وإمعانا في التشنيع قلن (تراود) للدلالة علي أن ذلك صار سجية لها فهي تخادعه عن نفسه لأن المضارع يفيد التجدد والاستمرار (قد شغفها حيا) أي بلغ حبه شغاف قلبها وهو حجابها وشقه حتي وصل الي فؤادها .

وقلن : (انا لتراها في ضلال ميين) .

ولكن (فلما سمعت بمكرهن) أرادت أن تمكرهن وتكيد لهن فماذا فعلت؟
دعتهن , فأرسلت اليهن

"وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ آخُزِّجْ
عَلَيْنَا^ط فَأَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ
هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾

وفي قولها (اخرج عليهن) أرادت أن تيه عليهن وتستعلي بأثما وإن كان أستعصم ، ولكن
لها السيطرة علي ، وهي تملك هذا الذي مكرهن بحسن طلعتة والتي لم يرين مثله مما جعلهن يجملنسه
ويعظمنه ، الأمر الذي أذهلهن حتى نسين ما في ايديهن من سكاكين وجعلن يحززن بالسكين ايديهن
بدلاً من الفاكهة وهن مأخوذات غافلات عما أحدثن بأيديهن .

ولهذا عذرن إمراة العزيز ولذلك :

(قالت فذلكن الذي لمتني فيه) .

وإعترفت بكل صراحة وبأوضح عبارة قائلة: (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) قبل ان
يكون اعتراف صريح منها فهو شهادة ببراءته واقرار براءته وعفته لأن الإستعصام يدل علي مبالغة
الإمتناع , لان زيادة المني يدل علي زيادة المعنى .

ولم تقف عند حد الاعتراف ولم تعرب عن ندمها عن الذنب بل أصرت أن تعود
إليه إصراراً قائلة :

(ولئن لم يفعل ما أمره لا يسجنن وليكونن من الصاغرين) !!

إصرار , ما بعده من إصرار ويتضح ذلك من (اللام) موطنة للقسم , (وإن) شرطية ,
ولم حرف نفي وقلب وجزم (يفعل) فعل الشرط (ما) مفعول به وجملة (أمره) صلة , اي
الذي أمره به (لا يسجنن) فيها نون التوكيد الثقيل , (ويكونن) نون التوكيد الخفيفة ,
فأداوات التوكيد متوفرة في قولها الحاسم , مما يدل علي قوة الاصرار .

قال القرطبي : عاودته المرادة بمحضر منهن وهتكت جلباب الحياء , وتوعدت بالسجن ان لم يفعل ولم تعد تخشي لوماً ولا مقالاً خلاف أول أمرها اذ كان ذلك سراً بينها وبينه .

ماذا كان موقف النسوة ؟:

أمام ما رأيته من حسن وجمال يوسف العصي علي الوصف وهو الأمر الذي تُعذر من أجله امرأة العزيز .

وأمام إصرار امرأة العزيز علي أن يفعل ما تأمره به تغير موقفهن وانحزن لها , والواضح أنهن طلبن من يوسف أن يوافقها وبذلن جهدهن في الالحاح عليه بالسمع لسيدته وطاعته وحذرته أو هددنه ان لم يفعل فإن امرأة العزيز ستلقي به الي السجن .

وقفه لرصد طبيعة الصفوة آنذاك:

١- يمكن أن نرصد من تتابع الأحداث و المواقف أنه : مجتمع أكابر القوم و عليته وهم غرباء عن المجتمع المصري الأصيل , كان مجتمعاً متفسخاً من حيث الأخلاق و إستياغ القيم ذلك المجتمع الضيق الحدود الذي ضاعت فيه المبادئ و الحياة حتى إن النسوة جارين إمراة العزيز فيما ذهبت إليه وانضممن لها بمطالبة يوسف للإنصياع و حذرته من مخالفة سيدته أو رفض طلبها وإنهن جميعاً كنا مشتركات معها في دعوته إلي المرادة بدليل قوله عليه السلام رداً عليهن جميعاً (السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) و توجه إلي الله بقوله : " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن " و لم يقل أصب إليها . وقول الله تعالى " فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ... " و لم يقل فصرف عنه كيدها .

٢- إن الحضارة المصرية في ذلك الوقت كانت قد بلغت شأوا بعيدا , وان التصرف في القصور كان عظيما , فإن إستعمال السكاكين في الأكل قبل هذه الآلاف من السنين له قيمته في تصور الترف والرغد والحضارة المادية التي كانت تعيشها مصر في بيوت طائفة من سكانها^(١).

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين ."

للسائلين عن الحضارة المصرية في هذا العصر .

(١) د/ محمد السيد طنطاوي - حديث القرآن عن الرجل والمرأة ص ٣٥٥ دار السعادة للطباعة

موقف يوسف عليه السلام :

حسم أمره وتوجه الي ربه بأعظم دعاء واتم استسلام لله والاذعان لقضاء الله وأمره وحده ورفع رأسه الي السماء منادياً ربه قائلاً:

(ربي السجن احب الي مما يدعوني اليه) , طالبا من الله ان يغيثه ويدركه برحمته قبل ان يتسرب الضعف الي نفسه داعياً:

(....والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) ٣٣

ومعنى قوله هذا رب لا تكلفني الي نفسي طرفة عين ولا تتركني الي ضعفي وقله حيلتي . وكما يقول صاحب الظلال: (وهي دعوة الانسان العارف ببشريته , الذي لا يفتر بعصمته , فريد مزيدا من عناية الله وحياطته , يعاونه علي ما يتعرض له من فتنة وكيد واغراء).

انه دعاء المضطر أليس الله يقبل دعوة المضطر اذا دعاه؟

(فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) ٣٤ .

في دعاء يوسف ربه (قال رب السجن أحب إلي مما يدعوني إليه....) ٣٣ .

لقد أعطي الحق تعالي يوسف علم وحكمة كما إن شخصيته غير معوجة ، فهو يحكم علي الأمر بجياد تام. بصيرته تعمل غير معطلة ، فهو يري ما في نفسه ويستتجد بربه ، فالشخصية السوية ليست شخصية لا تخطئ ولا تميل بل هي من تري ميول وهوي النفس وتقومه وإن كان أشد منها تلجأ إلي ربه وخالفها وهذا هو التصرف السليم الذي اتبعه يوسف. لقد توالى علي يوسف الإبتلاءات لعانى منها صنوفا ، فعاش فترة من حياة في صباه وشبابه واخن تطرا عليه متلاحقة.

لقد كانت محنته الأولى وفاة أمه وهو صغير ، وكانت المحنة الثانية مع أقرب الناس إليه بعد والده مع أخوته الذين حقدوا عليه وكادوا له كيدا وتآمروا للخلاص منه وأجمعوا أمرهم علي قتله ثم دبروا إلقاءه في الجب وكانت محنته الرابعة أن يساق أسيرا في يد التجار ليتبادلوا بيعه ويعرضون في سوق النخاسة ويسلمونه لمن يدفع أكثر ثم كانت محنته الخامسة أن يباع الي عزيز مصر كعبد يدفع فيه ثمن بخس .

لكن الله أراد لعبده أن يستقر في بيت الحاكم ربما كفترة تدريب حتى يتهيأ لما قدر له
 بعد ذلك قال تعالى : وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَاتِمََ أَكْرِمِي مَثْوَهُ
 عَسَىٰ أَنْ يَدْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
 وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

ولكن هل يدوم له العيش في قصر العزيز , عيشة الرخاء والنعيم بعد المحن الشدائد , أم
 تلاحقه الإبتلاءات مرة أخرى ويتعرض للمحن من جديد ؟

لقد كانت الحنة السادسة الحنة الصعبة محنة الإغراء والشهوة والفتنة ... إبتلاءات امرأة
 العزيز تطارده ... تراوده عن نفسه ... وهي من هي امرأة ذات جمال وسلطان .

هي امرأة مترفة لا تعرف المستحيل ولا يمكن ان يستعصي أمامها هذا الغلام فإذا
 أمتنع وتأبى , إذا رفض ما تعرضه عليه وما تريده منه " ليسجنن وليكونن من الصاغرین " .
 أيترك الفراش الوثير النعيم المقيم ليعود الى السجن؟
 لا بد من خضوعه وإستسلامة وتنفيذ ما تأمره به .

هكذا كانت المرأة تتصور أن يوسف سيعود إليها راضيا راغبا . ولكن رد يوسف في
 ذلك كان حازماً وقاطعاً ويصور القرآن رد يوسف في ذلك بقوله : " قَالَ رَبِّ السِّجْنُ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
 وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٠﴾ " (١)

ويذكر الله - في القرآن - حادثة ليوسف قبل دخوله السجن لم تذكر في التوراة ذلك
 أن نسوة في المدينة قلن أن امرأة فوطيفار تراود يوسف عن نفسه أو شغفها جسا , فأرسلت
 إليهن واعدت لهن مجلسا لطعام يقطع بالسكاكين وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت له حين

(١) د / جمعة على عبد القادر - مرجع سابق ص ١٨٤

أخذن يأكلن (أخرج عليهن) فلما رأينه أكبرنه وعظمنه لجماله (وقطنن أيديهن) أى حزنهما بالسكاكين وهؤلاء قلن معاذ الله إنه ليس بشر غنه ملك كريم^(١) علما بأن تلك النسوة سوف يستشهد بهن يوسف بعد ذلك على برائته كما سيأتي

كان موقف يوسف , هو الموقف العظيم الكريم , الذي لا يصدر إلا عن كريم أليس هو من قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم).

الذي يجب ان ندرس سيرته لتكون المثل الذي يحتذي والامثول في العفة والطهارة للشباب كل الشباب ليمسك بالقيم والمبادئ مهما لاقى من متاعب ومصاعب ومهما كانت النتائج .

حقاً " لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

وقف يوسف موقف الحزم والقوة متسلحاً بالخلق والطهر أمام امرأة سيده واغضبها في حين كان إرضاءها ثمناً لرفعته وزيادة نفوذه , وكان اغضابها مجلبة لعداوتها وحرماً عليه ولكنه أحتمي بربه واستند اليه فعبر كل المحاذير ولم تنل منه العواصف التي أحاطته شيئا لقد قاوم اقتراف الفحشاء , فلا توجد فاحشة أقدر ولا أسرع منها في هدم الشباب وتقويض الامم ولكنه قاوم فبقيت له كرامته وبقي قريباً من الله يسدد كل خطاه . وصارت عصمة يوسف مثلاً بارزاً أقوي وأعني من أن تطمسه يد الافتراء والتضليل التي تطاولت علي جميع انبياء الله بلا استثناء حتى يوسف

اقرأ ان شئت اسفار المهدي القديم كلها مليئة بالافتراءات علي انبياء الله .

ومن الذين اتري عليهم كتاب التوراه والتلمود وهم من بني اسرائيل ابناء اخوة

يوسف !!

نذكر اشارات لبعضها علي سبيل المثال والتذكير فقط (ونستغفر الله منها):

قالوا عن آدم : لما لعن آدم بعد هبوطه إلي الارض رفض أن يجامع حواء فجاءت اثنان من

نساء الشياطين الي آدم فجامعهن فولدن الشيطان من جماع آدم لهن.

كما ذكروا ان حواء كأن يأتي ذكور الشياطين تجامعها فولدت شياطين من هذا الجماع !!

(١) د/ شوقي ضيف - معجزات القرآن ص ١٢٠ دار المعارف

قالوا عن نوح :- انه كان يشرب الخمر وذات مرة لما سكر تعرى وتكشفت سواته فرآه ابنه حام فحجل واسف لما عليه أبيه من السكر والعري و ذكر ذلك لاختوته فلما علم نوح لعن ابنه حام وحكم عليه هو و ذريته أن يكونوا عبيداً لاختوته ولجميع الشعوب!!.

قالوا عن ابراهيم : انه سجد للملائكة, وحاشا لله ان يسجد نبي الله لعير الله (وظهر الرب لابراهيم عند بلوطات ممر , وهو جالس في حر الظهيرة عند مدخل الخيمة , فرفع بصره فرأى امامه ثلاثة رجال واقفين , واذ رآهم ركض من باب الخيمة لاستقبالهم وسجد!!

قالوا عن اسحاق ويعقوب ما سبق ذكره في هذا البحث

اما عن يوسف : فانهم جحدوا فضله ولم يذكروه في تراثهم ولم يتأسوا بخلقه , ويكفى هذا الجحود والنكران له وهو الذى اتى بهم الى مصر وكان سببا في اطعامهم من الجوع وآمنهم من الخوف .

عن موسى وهارون :- ان الله أمر موسى أن يطلب من الاسرائيليين أن ينهبوا أموال المصريين قبل خروجهم من مصر , ويذبحوا شاه يأخذوا من دمها ويلطخوا به قوائم الباب وعتبه العليا في يوقم لأن الرب يقول لهم ((فالدم على البيوت التى تسكنوها يكون علامة لحمايتكم فاذا أرى الدم اتعداكم)).

ثم بعد ذلك :

((عند ارتحال التابوب , كان موسى يقول : انفض يا رب ليتبدد اعداؤك وعند الحل) اذا حطوا رجلاهم للراحة) كان موسى يقول : حط رحالك يا رب لدى عشرات الاف من اسرائيل.

داود عليه السلام : حتى داود الذى يملأون الدنيا صياحا وصراخا لعودة ممتلكاته واتخذوا شعارا لهم نجمة داود فإنه لم يسلم منهم اقموه بانه من أهل زنى ذلك ان أمه وجدته (مؤايتان) ومؤاب هذا ولد من زنى عندما جامع لوط عليه السلام ابنتيه (كما يدعون في عهدهم القديم) وعندهم كما في (سفر راعوث) كل ما ولد من نسله فهو من غير اليهود !!

اما عن عيسى عليه السلام : فيكفى ان نذكر اثم رموه وأمهم بأحط الصفات وقالوا عنه انه ابن زنى وفي النهايه صلبوه كما يزعمون .

اما سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) :- فقد نقضوا معه العهد وآمروا عليه وكل ذلك بتفصيلاته ثابت في السيرة النبوية .

المبحث الرابع

يوسف في السجن

أولا يوسف في السجن في المشهد القرآني :

(ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٢٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ
السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۗ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْزِيكَ أَغْصِرُ خَمْراً ۗ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْزِيكَ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ لَا
يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۗ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي
إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ يَصْنَعِي السِّجْنَ ءَأَرْتَابٌ
مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ۗ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۗ أَمَرَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ يَصْنَعِي
السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ۗ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۗ
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿١٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِثْمَا أذْكَرَنِي عِنْدَ
رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٣٢﴾)

بعدها وقعت ملابسات ما حدث بين يوسف وامرأة العزيز وبعدها تيفقت براءته و باعتراف
امرأة العزيز بالعارة الصريحة بأنها هي التي راودته عن نفسه وانه اعتصم بل استعصم^(١) وبعده أن
طلب منه العزيز أن يكتم الأمر وأبقى وضعه في القصر ، بدا لهم أن يسجنوه (وبدا من البداء)^(٢)

(١) لأن زيادة المبنى زيادة في المعنى
(٢) البداء هو تغيير الرأي عما كان عليه في الأول

أي ظهر واتضح لهم من بعد ما رأوا الآيات المبررة له ليسجنه إلى حين أي تأكيد ضرورة سجنه إلى حين إلى بعض الوقت.

ولكن لماذا ؟ !!! وقد بدت لهم أمارات براءته؟ والآيات (وهي أن قميصه قد من دبر) إذاً هي كانت تطارده دليل علي أنه برئ ويجب عدم عقابه. والآيات تدل علي أنها خاطئة ، ويجب طمس معالم ما فعلت ، وإلقاء التهمة عليه ولذلك قضت بجس يوسف للتضليل ، ومراعاة المظهر لا الحقيقة. ومن لا يعرف الحقيقة يمكن أن يعتقد حسب هذه الآية أن يوسف مجرم ومن يعرف الحقيقة يفسرها علي حقيقتها. وهذا ما يعلمنا الحق تعالي فلكل حديث طرفان والطرف الذي يتلقي الحديث يفهمه حسب علمه لا حسب حقيقته^(١).

حقاً (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين).

للسائلين عن تحري الحقيقة وليس الأخذ بظاهر الأمور.

الاجابة تتسع لاحتمالات كثيرة . منها :-

* لعل الخبر ذاع وانتشر بين طبقات أكثر من الشعب . فلن يسكن اللفظ وفي المدينة نسوة .

* لعل العزيز خشي أن يقع الفعل خاصة أن امرأته هددت وتوعدت فخاف أن يضعف يوسف أمام تهديدها ومداومة المراودة ولما لم يكن في استطاعة العزيز أن يصون بيته فإن في استطاعته إبعاده عنها بسجنه حتى لا تستطيع هي الوصول إليه.

* أو لعلها ينست في محاولاتها رغم التهديد الوعيد فكان لابد أن تحل به تهديدها.

* ولكن المتيقن أن هذا مما قدر الله له ومن جملة ما عصمه به فإنه أبعد له عن معاشرتهن ومخالطتهن ويقول الشافعي : (إن من العصمة ألا تجد)^(٢) .

وخلاصة هذه الاحتمالات . أنه دخل السجن .. ودخل معه فتيان . واللائت للنظر أن امرأة العزيز اقترحت أن يسجن زمناً إلى حين حتى تبصر ما يكون منه ، وطاوعها زوجها لابسداء عذر الحال ، وإرخاء الستر على القليل والقال ، وللايهام أنهم سجنوه لأنه راودها عن نفسها ،

(١) تحية عبد العزيز مرجع سابق ص ١٥٩

(٢) أي لا تجد ما يدفع إلى الإثم فكان في إبعاده عصمة له ومن ماثور القول : " أحبهم الله فعصمهم ولو كرههم لتركهم يعصوه "

وأنهم سجنوه لذلك , ولهذا نلاحظ ان يوسف عليه السلام امتنع فيما بعد من الخروج من السجن إلا بعد إثبات البراءة وما كان سجنه والله أعلم إلا باستئصال المرأة زوجها المطواع على رأيها.^(١)

قال النسفي: "وقد طمعت أن يذله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون , وظنت فيه الظنون , فأجأها الخجل من الناس والوجل من اليأس الى ان رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفى بخبره إذا منعت من نظره". هـ .

أقول ومن ثم لم تقترح في الأصل إلا السجن والعذاب , ولم تذكر القتل وهذا يدل على تمكن الحب .

السجن في نظر يوسف : سبق أن دعا يوسف ربه متضرعا اليه إن خير بين السجن وبين ما تدعوه اليه , فانه يطلب من الله السجن فالسجن أحب اليه وبذلك يكون صرف عن كيدهن .

فاستجاب له ربه , فصرف عنه كيدهن ومن إستجابة ربه أيضا أنه بداهم من بعد ما رأوا آيات براءته لسجينته ... فدخل السجن , والسجن بذلك في نظره هو الملاذ له من الزلل ... ومجال يدعو فيه إلى الله ... وبيئة اجتماعية في حاجة أن يقوم فيها بدور التوعية والوعظ , فكان المشل والقدوة في الصلاح والاحسان , ولم يكن السجن لبث اليأس والقنوط من رحمة الله , فمشله يرى في السجن فرصته للتخفيف عن المظلومين وتوعية المجرمين وتقويمهم فكان محط انظارهم وموضع ثقتهم واكبارهم , لذلك اطمئنتوا اليه وأنسوا به حتى أنهم فتحوا قلوبهم وأظهروه على مكونات نفوسهم , وصارحوه بمشاكلهم حتى أن الفتيين اللذين دخلا معه السجن , وحكيا له أحلامهم وطلبوا منه تأويلها:

(ودخل معه السجن فتيان قال احدهما إني آرائى أعصر خمرا وقال الآخر إني آرائى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبينا بتأويله إنا نراك من المحسنين).

قال قتاده :- كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد في عبادته ربه. وقيل كان يعين المظلوم , وينصر الضعيف ويعود المريض.

وقيل (من المحسنين) في عبارة الرؤيا لأنه كان يعبر لغيرهما " .

يبدأ دعوته في السجن:

(١) سعيد حوى : الأساس في التفسير مجلد ٥ ص ٢٦٤٩ الناشر دار السلام

وحتى يجيبوه إلى دعوته إلى الله وإلى الخير ويكتسب ثقتهم كان عليه أن يبين لهم بعض المعجزات المؤيدة لنبوته ثم ليقدم لهم العقيدة الصحيحة ، فالسجن لم يجمعه من واجب الدعوة ، كما أن السجن لا يمنع المسجون من عبادة الله حتى عبادته ، فالله له حق العبادة في السراء والضراء^(١) .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

ومن الآيات المؤيدة لصدق دعوته :

قَالَ لَا يَايْتِكُمَا طَعَامٌ تَرْزُقَانِيَمَ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِم قَبِلَ أَنْ يَايْتِكُمَا ذَلِكُمَا

مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾

بدأ يوسف دعوة إلى خالقه في وسط هؤلاء الضعفاء ، بعد أن مهد لقبول دعوته بإظهار معجزاته التي أيده الله بها حتى يستجيبوا بندااه ويصفوا لمقالته ، وقبل أن يدعوهم يبين لهم أنه هو متبع لما يدعوهم إليه عملا لا قولاً فأوضح لهم أنه مطبق لهذه الدعوة على نفسه متبع لها قبل أن يأمر بها وبين لهم أيضا أنه معتق لدين الله الذي جاء به أباه وأجداده من الرسل الكرام وهو التوحيد الخالص: (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب).

أراد يوسف عليه السلام من هذه المقدمة أن يزيد الرجلين ثقة به وبما يخبرهم به حتى يصفيا إلى دعوته ، ويستجيبا لنصيحة فين لهم أن الله تعالى من علمه بعلم بعض المغيبات ، وهي القدرة على أن يخبرهم بنوع الطعام الذي يدخل عليهما داخل السجن مع أنه -عليه السلام- موجود معهما داخل السجن فلا يشاهد ما بالخارج^(٢) .

وقد أكد لهما أن الله مؤيده وواهب العلم والحكمة والقدرة على تأويل الأحاديث ولم ينسب العلم إلى نفسه بل قال:

" ذلك مما علمني ربي "

فأخبرها بأنه سيخبرها بأوصاف ونوع أي طعام يرزقانه قبل أن يأتي إليهم وأنها إذا أخلصا العبادة لله سيحسن الله لهما وأنها عليهما أن يسلكا مثله فهو ترك ملة (أي دين) قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون)

(١) د/ نواف الحلبي ص ١٢٩

(٢) د / عبد العزيز ابن الدردير - التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن ص ١٢٠-١٢١ مكتبة القرآن

وأنه لجدير بهم وحقيق أن يتبعوا هم أيضا ما اتبعه هو فقال لهم :

(وَأَتَّبَعْتَ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾) آية

٣٨

ثم بعد هذا التمهيد الدعوى يتقرب إليهما متحبيبا بقوله :-

(يا صاحبي السجن) .

أى يا من ربطني أو جمعني بكما السجن أى اطرح عليكما سؤالا: ليس له إلا إجابة واحدة. سؤال بديهي لا تخطئ إجابته إلا الفطر الغير سوية أو العقول المنغلقة:

(أَأَرْبَابٌ مُتَّفِرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾) آية ٣٩ .

فالإجابة الفطرية: الله الواحد القهار الذي بيده مقاليد كل شئ و هو القاهر فوق عباده هو خير من يعبد وحده دون كل الأرباب الزائلون .

ولكن الناس في غفلة وضياع يصنعون آلهة بأيديهم أو يعبدون أسماء من دون الله (مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِمْ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الْدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾) آية ٤٠

فإن ما يعبد من دون الله ليس لهم سلطان على تصريف أمور البشر وأن الحكم لا يكون إلا لله لذلك كان أمر الله لنا إلا نعبد أحدا من دون الله وذلك هو الدين الصحيح .

الدين القيم , الدين الذي يجب أن يسلم له الجميع لأن مصيرنا جميعا في يد الله يدخل من يتبع هذا الدين في رضوان الله ورحمته ويغفر له ما كان من ذنوبه .

ورجد يوسف في طلبهما لتفسير رؤياهما فرصته للاضطلاع بمسئولية الدعوة إلى الله واقول بمسئولية الدعوة إلى الله , لإثما مسئولية كما يقول الداعية (ابو الاعلى المودودي):

أن تلك المسئولية الكبرى لا تنتهي بمجرد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك لا يقضى حقها بالصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب ، وعلى غرار ذلك ليس معناها أن تلتزم قوانين الشرع في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث ثم تكون هادئ البال مطمئناً لا ينض لك عرق ولا يقض عليك مضجع لا... ، لا... ، ليس الأمر كذلك ، بل هناك مسئولية أخرى أعظم من ذلك وأخطر شأنًا ، ألا وهي أن تؤدي بين يدي العالم شهادة الحق الذي آمنت به ورضيت به لنفسك دينا .

هذه الشهادة إبلاغ كلمة الحق الى بنى آدم كافة باعمالكم الصالحة واخلاقكم الذكية وسياستكم العادلة المستقيمة حتى تتم حجة الله على عباده ولا يمكنهم أن يجحدوا بتبليغ الانبياء وبلوغ كلمة الحق الى مسامعهم يوم يقوم الاشهاد فالانبياء والرسل لم يبعثوا إلا لأداء هذه الشهادة وكان فرضا عليهم محتوما ، ثم ما زالت هذه الشهادة تفرض وتحتم بعدهم على الذين آمنوا برسالاتهم واتبعوا امرهم . أ . هـ .

فأنتهز يوسف هذه الفرصة لينشر بين السجناء عقيدته الصحيحة ، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين ، وجعلهم بالخضوع له أرباباً يزاولن خصائص الربوبية . فبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما فيطمئنتهما ابتداءً على إقناعهم مسؤولهم الرؤي.

قال البيضاوي: أراد أن يدعوها إلى التوحيد ويرشدهما إلى الدين القويم قبل أن يسعهما إلى ما سألاه عنه .

فيوسف عندما دخل السجن (مظلوماً) لم يشغله السجن عن واجب الدعوة إلى الله لإغاثتهم فرصة سؤال السجينين عن رؤياهما رؤيتين، فقال لهما قبل أن يجيبهما عما سألاه عنه ما حدث عنه القرآن الكريم:

يَبْصُرُنَا مِنَ السِّجْنِ بِأَرْبَابٍ مُّتَفَرِّقِينَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

﴿٦٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

فالدعوة إلى الله واضحة الهدف بينة الغرض دعوة خير وسلام وهداية ورشد ، إنما تخاطب
القطرة والعقل إلى الإيمان بالله عز وجل وتوحيده دون إكراه . هكذا كان يوسف ... كانت دعوته
إلى التوحيد وهو في السجن ، حتى إنه مهد لتفسير أو تأويل الرؤيا لهما بأن أراد أن يرجع كل منهما
إلى حقيقة الإيمان والتسليم بالله ليظمن قلب كل منهما لما سيصير إليه حاله ... وهو مؤمن فيشكر
الله الذي ينجو ويستسلم الآخر لقضاء الله بنفس راضية عائدة إلى الله متأكدا أن :

﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ آية ٤٠ .

وفي ذلك توضيح لمسؤولية المسلم في الدعوة إلى الله كأمير الله وأمر رسوله الكريم "بلغوا
عني ولو آية" .

لقد توجه يوسف بنفس النداء الرابطة الجامع المؤلف بين القلوب .

(يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) .

وهو ما يجب أن يتبع في أسلوب الدعاء البحث عن روابط الجمع لا عوامل النفور . , ولو
أن شخصاً آخر نظر إلى ماضية فوجده متقللاً بالآلام علي هذا النحو , لضافت به الأرض , وتنكر
للسماء بيد أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن يذكر بالله من جهلوه و يبصر
بفضله من جحدوه .

" يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟

يَبْصُرُ السِّجْنَءَ أَرْبَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

ذلك شأن أولي الفضل من الناس , لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم , ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم .

و يقول الشاعر :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من أهم أخلاهم من الفطن

فكان تكاثر المصائب إشارة إلا ما يروشح له المرء من خير , وما يرادوا له من كرامة ^(١) لذلك قيل "قد يأتي الخير في صورة شر" .

ثم كان واجب الرد علي طلبهم :

وليلى لهما طلبهما بتأويل رؤياهما فقال : (يا صاحبي السجن أما أحدكما فسيسقى ربه خمرأ وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه , قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) .

وجعل يوسف كلامه عاماً ينصرف الى نص الرؤيا وليس الى صاحبها فقال: (أما أحدكما فستظهر براءته ويخرج من السجن ويعود الى عمله الذى كان , فسيسقى ربه خمرأ , أما الآخر فيصلب وما قلته هو القضاء البات فيما تستفتيان .

ولعل يوسف قد انتحي جانباً بالذى ظهر إنه ناج وقال له:

((اذكرنى عند ربك)) اى اذكر ما عليه حالى وصفاتى وانى مظلوم .

ولكن لما تحقق تأويل يوسف للرؤيا وقضى من قضى , وخرج من خراج وعاد الى حيث كان يعمل ... لم يتذكر ما طلبه منه يوسف .

هل عقاب من الله لأن يوسف أراد الاستعانة بغير الله فى فك سجنه ولم يتوكل على رب الأرباب فأنساه الشيطان ذكر ربه و ذكر العبد الذى يمكن ان يساعده (فأنساه الشيطان ذكر ربه) ؟ .

(١) الشيخ محمد غزالي خلق المسلم ص ١٤٣ , ١٤٠ , دار القلم دمشق ..

هناك من التفسير من يرى أن الشيطان أنسى الساقى أن يذكر امر يوسف للملك , ويؤيد هذا الرأى أن الضمير يعود الى الساقى ورجح هذا كون الشيطان لا سبيل له على الانبياء .

وأجيب أن النسيان وقع من يوسف ونسبته الى الشيطان على طريق المجاز والانبياء غير معصومين من النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه , وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (إنما أنا بشر مثلكم انسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني).

وهناك من يرى ان نسيان يوسف ذكر الله , فيه نوع من العقوبة أو تحمل شيتا من التأديب ليوسف .

ولكن البعض يرد على ذلك ويعتبره دليل على جواز السعى في الاسباب ولا ينافى ذلك التوكل على رب الارباب .

وجاء في تفسير القرطبي أن:

(جبريل عاتب يوسف في السجن قائلاً له: كيف تركت ربك فلم تسأله ووثقت بمخلوق؟ قال يا رب كلمة زلت مني أسألك يا اله ابراهيم واله الشيخ يعقوب عليه السلام ان ترحمي فقال جبريل فإن عقوبتك ان تلبث في السجن بضع سنين)أ.هـ .

ومن ناحية اخرى يمكن القول ان الله طمس ذاكرة الساقى لئلا يحاول اطراء يوسف لدى الملك فلا يقبل منه الملك. حتى يأتي الوقت المناسب (رؤيا الملك) ليعلم الملك يقينا بمواهب يوسف وعلمه وحكمته وخلقه فيكون تقرب يوسف منه على أساس يدعم مكانة يوسف ويقومها وذلك يتضح بعد ذلك من مجريات الأحداث بين يوسف والملك .

اما عن توكل يوسف عليه السلام , يقول شيخ الاسلام ابن يتيمة :

"فيوسف قد شهد الله له إنه من عباده المخلصين , والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله , فإن ذلك شرك , ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته ولا توكله , بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله:

(وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)

فكيف لا يتوكل عليه في الفعل عبادته!!؟

وقوله (اذكرني عند ربك) مثل قوله لربه (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليهم) فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضا للتوكل , ولا هو من سؤال الإمارة المنهى عنه , فكيف يكون قوله للفتى (اذكرني عند ربك) مناقضا للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به , ليعلم حاله ليتبين الحق , ويوسف كان من أثبت الناس . وعموماً فإن مقتضى ذلك مهما كانت الاحتمالات فإن النتيجة كانت (قلب في السجن بضع سنين).

والبضع من السنين هي ما تقع بين ثلاث سنوات الى عشر سنوات وقيل إنه ما دون العشر.

وبعض المفسرين ذهب الى بقاءه سبع سنين والبعض قال بل تسع سنين وإنه دخل السجن ابن واحد وعشرين عاماً وخرج منه وهو ابن ثلاثين عاماً . وهناك رأي حديث يقول:

دخل يوسف السجن و عمره ٢١ سنة (عام ١٧٢٤ ق.م) وبقي في السجن ٩ سنوات وخرج منه عام (١٧١٥ ق.م) و عمره ٣٠ سنة و كان ذلك في عصر الاسرة ١٥ الهكسوسية في عهد ملك يسمى (خيان) او (سا او سيران رع) ويعرفه المؤرخون العرب بالملك الريان و قد عين هذا الملك يوسف وزيراً علي خزائن مصر في نفس عام خروجه من السجن و استمر يوسف وزيراً لمدة ٣٠ سنة حتى (١٦٨٥ ق.م) في عهد نفس الملك (خيان)

وحتى عندما كان يوسف في السجن فقد اعطى الدرس الذي يجب ان يعيه كل عقل ... درس نتعلمه من يوسف كآية من الايات .

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين"

من الآيات التي يجب ان نعيها جيداً :

ان لا يقنط الانسان من رحمة الله فلا يعبده على حرف بل إن اصابه خير شكر وان اصابه شر صبر واحتسب . وأن يظل على استقامته وجهه الله حتى لو اجتمعت عليه الدنيا بمومها وطوح به الظلم الى السجن . وإن عليه الآ ينسى الله وهو يعانى من الألم النفسي ما يعانى لأنه يكون في شدته هذه أحوج الى الله .

وأن عليه أن يكون معاوناً لغيره محسناً اليهم وأن يكون دائماً ممسكاً بكل خلق قويم ولا ينسى أن يكون داعياً الى الله والى صراط الله المستقيم .

(فمن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً و قال إني من المؤمنين) فصلت ٣٣ .

ألا يتحقق ذلك في قوله تعالى

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين"

ثانياً يوسف في السجن (في المشهد التوراتي)

نقرأ في الإصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين :

" فكان لما سمع سيده كلام امرأة الذي كلمته به قائلة : بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك , أن غضبه حمي . فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه . و كان هناك في بيت السجن .

ولكن الرب كان مع يوسف , وبسط إليه لطفاً وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن . فدفع رئيس بيت السجن إلي يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن , وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل . ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما في يده لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه " (١٩-٢٣).

وهذا النص ينتهي الإصحاح - ومفاد النص أن يوسف كان له وضع متميز في السجن وكان هو المتصرف بدلاً من رئيس السجن في تسيير شئونه , وهو نص منطقي لا يعترض عليه منطق العقل خصوصاً بين المؤمنين إذ يتفقون مع النص في أن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفاً ثم لنقرأ بداية الإصحاح التالي وهو الإصحاح الأربعون وفيه :

وحدث بعد هذه الأمور ان ساقى ملك مصر و الخباز أذنيا إلي سيدهما ملك مصر وحسب

النص:

" فسخط فرعون علي خصييه رئيس السقاه و رئيس الخبازين . فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرطة في بيت السجن , المكان الذي كان يوسف محبوساً فيه فأقام رئيس الشرطة يوسف عندهما فخدمهما , و كان في أيام الحبس " (١-٤)

هنا نلاحظ أن أول آية لا تتسق ولا تتزن مع آخر آية إذا وضعناهما في ميزان منطق العقل إذ أن خصي فرعون أذنيا إلي سيدهما , و سخط عليهما فرعون , فكيف لرئيس الشرطة أن يجعل يوسف عندهما فيخدمهما ؟ .

رغم أن الإصحاح السابق ينص علي أن " الرب كان مع يوسف و بسط إليه لطفاً و جعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن ! , فدفع رئيس بيت السجن إلي يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن " .

كما يفهم من النص بصورة قاطعة أن يوسف كان في السجن قبلهما وبعبارة النص " فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرطة في بيت السجن , المكان الذي كان يوسف محبوساً فيه " .
أما النص القرآني فهو يترك للقارئ فرصة التصور ومعايشة الحدث كما يتصوره فيقول جل شأنه : " فدخل معه في السجن فتيان "

ويمكن أن نعتبر تزامن دخولهما مع دخول يوسف السجن و يمكن أن نعتبر إنهما دخلا السجن فوجداه فأصبح معه .

وسواء دخل معه أم إنه كان الأسبق منهما دخولاً للسجن فإن هذا ليس بالأمر الجوهري لأن لا أثر له علي مجريات الأحداث في هذه القصة .

فالقصة في القرآن قد يهتم فيها شخص أو أشخاص و قد يهتم فيها المكان أو الزمان إذ لم يكن أي منهما يمثل بالضرورة ركناً للخبر المُحدث به . فالذي يهتم به القصص القرآني هو الحدث و العبرة , أما بقية عناصر القصة المحدثه فإن الذي يوجد منه هو ما يكون لذكره أهمية و هذه هي البلاغة .

ونجد أيضاً بعد ذلك في الإصحاح الأربعين (من سفر التكوين) :

" وحلم كلاهما في ليلة واحدة كل واحد حلمه كل واحد - كذا - بحسب تعبير حلمه .
ساقى ملك مصر وخبازه الخبوسان في بيت السجن فدخل يوسف إليهما في الصباح و نظرهما و إذا هما مهتمان . فسأل خصصي فرعون الذين معه في حبس بيت سيده قائلاً لماذا وجهكما مكمدان اليوم . فقال له حلمنا حلماً و ليس من يعبره فقال لهما يوسف أليست لله التعبير قصا علي .

فقص رئيس السقاء حلمه علي يوسف و قال كنت في حلمي و إذا كرمة أمامي و في الكرمة ثلثه قضبان ^(١) و هي إذا أفرخت طلع زهرها و أنضجت عناقيدها عنباً و كانت كأس فرعون في يدي فأخذت العنب و عصرته في كأس فرعون و أعطيت الكأس في يد فرعون * فقال له يوسف هذا تعبيره الثلثة القضبان هي ثلثة أيام * و في ثلثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك و يردك إلي

(١) هكذا مكتوبة (ثلثة قضبان) في العهد القديم العبري الذي بين يدي - و في التوراة السامرية ص ٩٣ تحقيق د/ أحمد السقا مكتوبة (ثلاثة دواكين) و يقصد بها ثلاثة أفرع .

مقامك فتعطي كأس فرعون في يدك كالعادة الأولى حين كنت ساقبه و إنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع إلي إحساناً و تذكرني لفرعون و تخرجني من هذا البيت * إلا لي قد سرت من أرض العبرانيين . و هنا أيضاً لم أفعل شيء حتى وضعوني في السجن , فلما رأي رئيس الخبازين إنه عبر جيداً قال ليوسف أنا أيضاً في حلمي وإذا ثلاثة سلال حواري علي رأسي * و في السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز و الطيور تأكله من السل عن رأسي * فأجاب يوسف و قال هذا تعبيره الثلاثة السلال هي ثلاثة أيام * و في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك و يعلقك علي خشبة و تأكل الطيور لحمك عنك " .

بمقابلة هذا المشهد التوراتي بالمشهد القرآني نجد أن النص القرآني يلتزم الدقة في العرض التاريخي في حين وقع كاتبوا هذا السفر من العهد القديم في أخطاء منها أن سمو حاكم مصر في عهد يوسف بفرعون علماً بأن الذي كان يحكم مصر في هذه الفترة لم يكن مصرياً من فراعين مصر بل كان أجنبياً - من الهكسوس - يطلق عليه لفظ ملك أو عزيز مصر , و هذا إن دل علي شيء فإنما علي جهل كاتبوا هذا السفر بتاريخ مصر في هذا الوقت ... فهو من فعل البشر .. و البشر يخطئ و يصيب و لأنه قول بشر فهو قول من لا يعلم التاريخ ... و قول من نسي ما جاء بالتوراة الحقه

"ونسوا حفظاً مما ذكروا به" المائدة ١٣ النص القرآني فهو يلتزم الدقة التاريخية ولا يسميه فرعون بل هو ملك أو عزيز مصر ... و لكن في قصة موسى فأطلق القرآن علي حاكم مصر إسم أو لقب فرعون لأنه كان من فراعين مصر ...

إنه القرآن إنه كلام الله و ليس قول البشر ... لذلك كان الإعجاز القرآني ... ترويل العزيز الحكيم حقاً

" لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين"

للسائلين عن إعجاز القرآن وعن تحريف التوراة ... وعن التاريخ الصحيح , ولعل السؤال التالي يكون ...

كيف خرج يوسف من السجن؟ وماذا بعد الخروج؟

فذلك موضوع الباب التالي

الباب الثالث

الخروج من السجن والتمكين من حكم مصر

الفصل الاول

الخروج من السجن

(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿١٢٦﴾
قَالُوا أَضْغَفْتَ أَحْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿١٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٢٨﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلَيْمٍ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْتَصِرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ ﴿١٣٣﴾ مَا بَالَ الْنِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا حَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ

سبق ليوسف ان قال للذي نجا من السجن (اذكرني عند ربك) وانتظر يوسف على امل ورجاء , ولكن خاب الامل , وخاب الرجاء (فلبث في سجنه بضع سنين) فلما استياس من البشر نظر إلى السماء , إلى الله , وكان ذلك ادعى للتوجه بكلياته الى الله , ولن يفقد الأمل في الله , ولما أراد الله ليوسف أن يخرج من السجن هيا الله سببا لخروج يوسف خروجاً كريماً مشرفاً ذلك ان جاءه الذي نجا من السجن . وقال له : الفتى في رؤيا الملك حيث :-

(وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر

يابسات)

وهكذا عبر القرآن عن رؤية الملك بأقتدار واختصار , وبكلمات بليغة .

وفى المقابل نقرأ ما جاء فى العهد القديم عن هذه الوثيقة فى الاصحاح الحادى والأربعين

وفيه :-

وحدث بعد سنين من الزمان أن فرعون رأى حلما واذا هو واقف عند النهر وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم , فأرتعت فى روضه ثم هو ذا سبع بقرات اخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر فاكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة اللحم واستيقظ فرعون . ثم نام فحلّم ثانية وهو ذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحدة سمينة وحسنة , ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابئة وراءها , فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة , واستيقظ فرعون , اذا هو حلم :-

وكان فى الصباح أن نفسه انزعجت فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه , فلم يكن من يعبره لفرعون" . أ . هـ .

اليس فى القرآن البلاغة والبيان إنه الإعجاز القرآنى لمن يبحث عن جوهر الموضوع

ودقة العرض والبيان.

"لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

والقرآن يحكى عن لسان الملك :

(وقال يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون).

ولكن الملأ عجز عن ذلك وقال له: (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين)

وهنا ذكره الناجى (بعد أمه). فقال لهم (انا أنبئكم بتأويله فأرسلون) و(فأرسلون) هنا

تعنى اسمحوا الى بالذهاب الى من عنده التأويل للرؤيا , وسمح له وذهب الى يوسف قائلا له: (يوسف

ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف , وسبع سنبلات خضر واخر يابسات)

فأخبرنا عن هذه الرؤيا العجيبة , (لعلنى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون).

ويلاحظ هنا عدة ملاحظات منها أن :

* لفظ تعبرون بهذا المعنى لم ترد بهذا المعنى في القرآن إلا في هذا الموضع فقط.

* أن الرؤية غير الحلم فالأولي لها أساس و تحتاج إلي تأويل لأن لها دلالة أما الحلم فلا أساس له ولا دلالة.

* أن إرادة الله جعلت هؤلاء الكهان لا يقدمون علي التأويل إما جهلاً أو خوفاً أو تجاهلاً للملك و شأنه بإعتباره أجنبياً و هم مصريون و ذلك حتى يتم قدر الله و إخراج يوسف من سجنه بعد ظهور براءته و ليتبوا مكانته في مصر.

* أن الساقى - الذي نجى من السجنين - لم يقل (أنا أنبئكم بتأويلها) بإعتبار الضمير يعود إلي (رؤيا الملك) وهي مؤنثة بل قال (أنا أنبئكم بتأويله) بإعتبار الضمير مذكر يعود إلي ما ذكره الملأ من إنه (أضغاث أحلام).

* أن الساقى تقدم إلي يوسف بقوله (ألتنا ولم يقل نبئنا) لثقته في قدرة يوسف إذ الفتيا لا تكون إلا من الموثوق بعلمهم .

ان الرجل الذى نجأ يخاطب يوسف ويقول له: (يوسف ايها الصديق) والصديق صيغة مبالغة من صادق أى كثير الصدق . لأنه ما جرب عليه كذبا لا في قول ولا في فعل , وطلب منه تعبير (تفسير) الرؤيا حتى يرجع الى الملك والملأ , فلم يتأخر يوسف الصديق عن تفسير الرؤيا , وبذل العلم اليهم بلا تأخير , ولا طلب منهم مقابل ولا اشترط الخروج أولا , لأنه هنا إنما يقدم النصيحة ويدل على الخير , وذلك من كمال الخلق وعمق الايمان حيث (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون).

هنا بذل لهم مما آتاه الله من العلم الصحيح الذى اثبتته أبحاث العلوم الزراعية الحديثة , إن تخزين القمح أو الأرز في سنبله يحفظه من التلف والتسوس , وهذا مما افاض الله عليه من علم لدنى لم يتلقاه عن أحد من البشر , ونقل هذا التأويل ساقى الملك الى الملك و لكنه لم يصرح بذلك ليوسف بل قال:

لعلني أرجع إلي الناس لعلهم يعلمون " ٤٦ و لم يقل : إلي الملك ذلك أن تفسير هذه الرؤية إنما يمس حياة الناس و مستقبلهم و يظهر ذلك من تكرار الفعل لعل مرتين في سياق كلامه ... لأن الأمر الجليل في الأمة إنما يصيب الناس بأكثر مما يصيب الحاكم خاصة إذا كان غريباً عنهم و ربما أن

الساقى في قوله لعلي (لعلي أرجع إلي الناس) أراد بذلك التستر عن عمد عن صاحب هذه الرؤية و إنه هو الملك.

فتفسير يوسف لرؤيا الملك تتم عن قدرة النفاذ إلى ما وراء الظواهر الخارجية ومن ثم قدرة على التنبؤ بما ينتظر أن يصيب البلاد وأهلها إذ يحل القحط نتيجة نقص مياه الفيضان .

ثم راح يوسف ينصح الملك بالسياسة التي لا بد من إتباعها لتجنب إخطار القحط والجاعة , نصحهم أن يزرعوا سبع سنين حسب عادتهم المستمرة , فما حصده يتركونه في سنبله إلا ما لا بد منه لتموين البلاد , بعد ذلك تأتي سبع سنين من القحط يأكلون ما ادخروا إلا القليل الذى يخصصونه للبذر , ثم يلي ذلك عام فيه يمطر الناس وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وأمثالها .

وهذه النصيحة تدل على دراية واسعة باحوال البلاد , ومعرفة جيدة بكيفية خزن الغلال وذلك بابقاء المحصول في سنبله حتى لا يتعرض للتلف .

كما تدل على القدرة على تنظيم الأمور الحصد وخزن الحصول باستثناء ما يلزم لأقوات الناس فإذا حل القحط كان المخزون كافيًا فلا يتعرض الناس للهلاك وبذلك يستطيعون اجتياز الخنة والنظر الى المستقبل ورسم سياسة زراعية وتخزينية لمدة سبع سنوات فهذا جوهر سياسة التخطيط الاقتصادى كما نعرفها في العصر الحديث .

حقا : "لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

فقصة يوسف عليه السلام تعتبر ركنا من أركان علم التعبير لأن فيها أربع رؤى وتعبيرات , ولقد قاس المعبرون على ذلك واستنبطوا قواعد .

واستخرجوا أسسا بنوا عليها علم التعبير , والملاحظ ان علم التعبير عند المسلمين هو أوسع منه عند غيرهم, فقد كتب علماء المسلمين في هذا الموضوع الكتب المطولة , و اساس ذلك كله ما ورد في الكتاب والسنة في تأويل الرؤى .

كما ان قصة يوسف ايضا تعتبر اساس من اساس دراسة الوضع الاجتماعى والثقافى السائد في مصر في ذلك الوقت , وما كان للسحرة والحكماء من دور في تفسير بل وتوجيه دفة الأمور وكان الملك يأخذ برأيهم ويستشيرهم في امور الدولة وشؤنه الخاصة إنها (آيات للسائلين) عن الحياه الاجتماعية.

وعلم الملك بتعبير رؤياه من الساقى بل وحمل الية الساقى زيادة عن التأويل بشري
اسعدته وهي

(ثم يأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)

يغاث الناس بكثرة الزرع ووفرة المياه ويعصرون الخمر والزيت

ولما بلغ الملك هذا التعبير وتلك البشري وسعد بها وطلب الملك رؤية يوسف لسمع منه
..... (وقال الملك اتوني به)

وجاء رسول الملك الي يوسف يخبره بطلب الملك ان يأتيه وهنا نجد موقف يوسف فيه فعلا:
(آيات للسائلين) .. كيف ؟

يوسف يرفض الخروج من السجن والذهاب الي الملك الا بعد ان يتأكد الملك من براءة
يوسف مما نسب اليه ودخل بسبب السجن !!

اي لا بد اولا اعلان براءته والتيقن منها لان ذلك يترتب عليه ما بعده .

كما إنه لا يجب ان يخرج وتعلق بسمعته اي شائبة تنال من طهارته ونزاهته.

لذلك رفض يوسف الخروج من السجن وابي إلا ان يعطي الدرس الهام من داخل السجن
وقبل خروجه في الحفاظ علي الحقوق وكيف يحافظ الانسان علي كرامته ونزاهته .

فقال للرسول (ارجع الي ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن.....)

آية ٥٠

و اسأل الملك ان يعلم من أمر النسوة اللاتي قطعن ايديهن ؟

و هل يعلم لماذا اودع يوسف السجن و مكث فيه سنين ؟

و هل يعلم ان يوسف مظلوم ام مذنب ؟

ان الله سبحانه يعلم بحاله (إن ربي بكيدهن عليم

ولا بد ان يعلم الملك ذلك حتى يخرج من السجن و ساحته المبراه من كل قومه و يعلم

الناس اجمعين براءته و عفته .

ويستطيع الملك أن يصدر عن يوسف عفوا ملكيا شاملا مهما كانت جريمة يوسف التي سجن من أجلها لأن الملك كما هو واضح من السياق - لا يعلم لماذا سجن يوسف.... ويوسف يرفض أن يكون خروجه من السجن على خلفية العفو الملكي ولكن يريد أن يستند خروجه عن براءة وإنه سجن ظلما .

و في ذلك درس و عبرة (آيات للسائلين) .

و لأي انسان بأن لا يُقدّم للناس و تلحقه وشاية أو اشاعة

و ان لا يترك الانسان الامور التي قد تثير الشك والريبة حوله الا قطعها أولاً بأول فلا يقف موقف الذي يتعرض للأرقام الباطل او التشكيك

و ان لا يستعجل الانسان قضاء حوائجه او الحصول علي الخير ، إلا بعد ان يحصن نفسه بالسيرة النظيفة الخالية من الهمز و اللمز

و بمصطلح العصر إنه يريد شهادة حسن السير و السلوك او صحيفة احوال جنانية تقرر براءته اول من يعتمدها الملك و تعلن للناس كافة . و كما علمنا رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم حكمته الرائعة : " دع ما يريك الي مالا يريك فإن الصدق طمانينة و ان الكذب ريبة "

وهنا يظهر الرجل الخفيف ,لقد دخل السجن ظلما , وإن حوله لفظا , وإنه لن يأمن إذا خرج أن يرد إلي السجن كما دخل إليه أول مره , فهو ينتهز الفرصة المناسبة للحصول على الضان والبراءة : " قال : ارجع إلي ربك فاسأله ما بال النسوة الآتي قطعن أيديهن ؟ إن ربي بكيدهن عليم " آية ٥٠ (١)

و كان ليوسف ما أراد فأستدعي الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ثم (قَالَ مَا

حَطَبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُهُنَّ يَوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ

سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّسَاءُ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ (آية ٥١

(١) سيد قطب المرجع السابق ص ١٦٩

ولم تذكر التوراة خبر النسوة التي طلب يوسف شهادتهن وأبى الخروج من السجن إلا بعد أن تثبت براءته مما ادعته عليه زوجة العزيز وما ادعته عليه زوجة العزيز وما ادعته عليه النسوة اللآتي أحضرتهن ، وجئن ، وقالت النسوة (ما علمنا عليه من سوء) وقالت امرأة العزيز (الآن حصص الحق)^(١)

ويذكر القرآن الكريم هذه المواجهة حيث :

قال الملك وهو ممثل الإدعاء (ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ؟)

ولنتأمل كلام الملك وهو يستخدم لفظة (الخطب) أي المصيبة الفادحة ، وكلمة خطبكن (تبين إهتمام الملك بالقضية ، وإقتناعه أن أي شئ يشين ينسب إلي هذا الرجل النبيل ، والعالم الجليل هو خطب أي مصيبة .

وقد إستخدم الملك في توجيه الاتهام إلي النسوة عبارة (راودتن يوسف عن نفسه) وهي العبارة الحقيقية لما كان وأقرأها القرآن في مشهد المرادة (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) وهي العبارة التي روجتها النسوة في المدينة (إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) وقد غفرت النسوة براءته : (قلنا حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) وإن لتصدير إجابة النسوة بقولهن (حاشا لله قبل الإعتراف ببراءته له قيمة بالغه في التعبير عن نزاهته)^(٢)

لنتأمل قول امرأة العزيز : (الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) ونرجع إلي ماسبق أن قالته لزوجها العزيز (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلي أن يسجن أو عذاب أليم) آية ٢٥

لقد مر من الزمان سبع سنين (حسب أحد التقديرات) بين القولين تغيرت خلالها شخصية المرأة ، فأعترفت أخيراً بالحقيقة تري ماالسبب؟

هناك كثير من التفسيرات منها:

- ربما إحساسها بالذنب بأن ألقت بإنسان برئ إلي السجن بمجرد إنه أمين نقي ظاهر .
- ربما أكبرت موقف يوسف وأعجبت بصلابته في الحق والتزامه بالأمانة.

(١) د/ شوقي ضيف معجزات القرآن ص ١٢١ دار المعارف
(٢) أحمد عطا إبراهيم - مرجع سابق ص ٢١٤ - ٢١٥ بتصرف

• ربما زاد حبه في قلبها مع الزمن، والحب الصادق المبني على الاعجاب بالخلق والمبادئ يهزم الشر في النفوس.

• ربما كما يقول الشيخ الشعراوي^(١): أن شرة الانسان قد تتوهج لغرض خاص وحين يهدأ الغرض ويذهب يعود الانسان إلي توازنه الكمالي في نفسه وقد يجعل من الزلّة الأولى في خاطره وسيلة إلي الاحسان فيما ليس له فيه ضعف ، كي تستر الحسنّة السنية مصداقاً لقوله سبحانه (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَلِكَ

ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ هود ١١٤

• ربما تمت نزع الخير وحب الحق فآثرت الحقيقة علي الباطل والكذب علي الصدق، لعل في ذلك ما يريح ضميرها ويطمئن قلبها.

• ربما كما يقول الشهيد سيد قطب فالظاهر أنها قد اسنت إذ نحن نرجح إنما فعلت فعلتها وهي في الأربعين أو فوقها ، فهي فعلة إمرأه مكتمله في نهاية المرحلة فإذا أضفنا إلي سنها بضع سنين أو قرب الخمسين فلا ضير حينئذ من كشف الماضي الدفين " قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين "

علي أية حال فقد انتهزت الفرصة التي حانت لقول الحقيقة فأعلنتها قائلة (الآن حصص الحق) أي الآن حان قول الحق ليستريح ضميرها من ذلك الاثم ولا تبالي العواقب أو العقاب.

يصور السياق القرآني اعتراف امرأة العزيز بالفاظ موحية توحى بما وراءها من إنفعالات ومشاعر عميقة " أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين "

شهادة كاملة يأتمها هي وبراءته ونظافته وصدقه هو ، شهاده لا يدفع إليها خوف أو خشية أو أي اعتبار آخر يشي السياق القرآني بمخالف أعمق من هذا كله حرصها علي كسب إحترام الرجل الذي أهان كبرياءها الأنثوية ولم يعأ بفتنتها الجسدية ، ومحاوله يانسة لتصحيح صورتها في ذهنه لا تريد أن يستمر علي تعاليه وإحتقاره لها كخاطنة ، تريد أن تصحح فكرته عنها " ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب " ولعلها بدأت تبكي وهي تقول " وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ."

(١) ١٠٠ سؤال وجواب في الفقه الإسلامي ص ٥٣ الشيخ الشعراوي مكتبة التراث

إن تأمل الآيات يوحى بأن امرأة العزيز قد تحولت إلى دين يوسف تحولت إلى التوحيد , إن سجن يوسف كان نقلة هائلة في حياتها آمنت بربه واعتقت ديانه وأحبته على البعد وما زالت هي المرأة العاشقة التي لا تملك إلا أن تظل معلقه بكلمة منه أو خاطرة إرتياح ولو بالغيب وعلى البعد دون لقاء أو أمل في اللقاء ويهمل السياق القرآني بعد ذلك قصة امرأة العزيز تماما فلا نعرف ماذا من امرها بعد شهادتها الجريئة التي أعلنت فيها ضمنا إيماننا بدين يوسف ^(١)

وتأمل معي إنما كانت حريصه على تبرئته من خلال تذكرها لآخر كلماته التي قالها في حضرتهما :

قال : هي / راودتني / عن نفسي

قالت : أنا / راودته / عن نفسه

تأمل كيف استخدمت نفس مكونات عبارته التي قالها وكأنه تذكرها تماما وتقرأها , وكأنها هي تقول (وغنه لمن الصادقين) تشير إلى هذا , أي إلى قوله (هي راودتني عن نفسي) والسياق يشي بحرصها على أن يحترمها الرجل المؤمن الذي لم يعابا بفتنتها , أن يحترمها تقديرا لإيمانها ولصدقها وامانتها في حقه عند غيبته , ويشي كذلك بأن عقيدة يوسف قد اخذت طريقها إلى قلبها فأمنت وهذا الموقف منها يختلف عن موقف أو تصرف أخوة يوسف اللذين لم يندموا ولم يعترفوا لأبيهم , ولم يرحموا ضعفه وشيخوخته . ولم يراعوا حق الأبوة له .

فكانت شهادة امرأة العزيز بمثابة توثيق لشهادة النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) فقد شهدن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) فتدخلت امرأة العزيز وأكدت براءته قائلتا (الآن حصحص الحق) أي ظهر وتبين ووضح الحق والحق أحق أن يتبع (

(أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) آية ٥١

وقالت (ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب والله لا يهدي كيد الخائنين) آية ٥٢

تؤكد امرأة العزيز أن (الله لا يهدي كيد الخائنين) أي أن الله سبحانه وتعالى لا ينفذ كيد الخائنين ولا يوصله إلي غايته .

(وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلي من رحم ربي إن ربي غفور رحيم) آية ٥٣

(١) أحمد بهجت - براءة يوسف - الأهرام المصرية

هذه الآية تثير مسائل كثيرة منها:

أولاً: ما هي النفس الأمارة بالسوء؟

الإجابة نجدها عند الشيخ متولي الشعراوي بقوله: (١)

إذا خضعت النفس إلي منهج خالقها أصبحت مطمئنة ، وإذا تمردت علي منهج خالقها أصبحت أمارة بالسوء، وإذا عصت مرة وأطاعت مرة كانت لوامة فهي تطيع ثم إذا عصت تابست وعادت إلي منهج الله فهي لوامة.

ثانياً : هل هذه الآية من قول يوسف أو امرأة العزيز ؟

اختلف العلماء في ذلك علي رأيين

الأول : أن هذا القول من تمام كلام امرأة العزيز ، وكأنها توضح سبب حضورها لهذا المجلس، فهي لم تحضر لتبرئ نفسها (إن النفس لأمارة بالسوء) آية ٥٣

ومجى قول الحق سبحانه المؤكد أن النفس علي إطلاقها أمارة بالسوء يجعلنا نقول :

إن يوسف أيضاً نفس بشرية (٢)

الثاني: قول بعض العلماء أن هذا من كلام يوسف ردا علي اعترافها بتبرته .

وهنا تحليل للنفس أدق وبجاء تام . هو لا يدعي إنه ملاك وأن الذنب كله من ناحيتها، بل يعترف أن في نفس كل إنسان استعدادا للميل إلا من يعفو عنه الله ويبيده عن الفتن ، لا يتباهي بخلقهم السليم القويم، ولا يري اللوم عليها وحدها ، بل يري الموضوع بجاء تام (٣).

ولنعد ثانية إلي اعتراف امرأة العزيز ونقارن بين تصرفها وتصرف أخوة يوسف نجد إنهم لم يندموا ولم يريدوا إظهار الحق بل كانوا يؤنبون والدهم كلما تذكر يوسف (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتي تكون حرصاً أو تكون من الهالكين) آية ٨٥

وطبيعي أن المجرم لا يريد من يذكره بجريمته . فإهم لم يعترفوا إلا بعد ذلك عندما وجدوا يوسف أمامهم عزيز مصر ذلك إذا استنبا الأخ الأكبر الذي لم يكن موافق تماماً علي قتل يوسف وأشار بوضعه في الحب .

(١) ١٠٠ سؤال وجواب في الفقه الإسلامي ص ٥٣ الشيخ الشعراوي - مكتبة التراث

(٢) تفسير الشعراوي ص ٦٩٩٨

(٣) تحية إسماعيل مرجع سابق ١٧١

ونستخلص من ذلك أن حتى بين المجتمع الذي يسود فيه الفساد والجريمة لابد أن نجد فيه من لديهم استعداد إلی التزام جانب الحق لذلك يجب عدم اليأس من الإصلاح للإنقاذ أمثال هؤلاء.

هذا هو تشريح للنفس الانسانية للسائلين عنها:

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين)

ثالثا: تبين أصل الشر وأصل الخير: فمن الناس يكون سلطان شهوته أكبر من سلطان عقله.

ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أكبر من سلطان شهوته.

فيقهر الغالب الضعيف .

إن كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتأني عليه نفسه وشهوته إلا تناوله ويقدم شهوته علي عقله ويسمي الأطباء عديم المروءة فهكذا أكثر مرضي القلوب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم لها.

فأصل الشر من ضعف الإدراك وضعف النفس ودناءتها ، وأصل الخير من كمال الإدراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها^(١)

وفي قوله تعالى عن لسان غمراء العزيز : " ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين " يقول فضيلة شيخ الأزهر :

والمعنى : ذلك الذي قلته واعترفت به على نفسي من أبي أنا التي راودته عن نفسه , إنما ليعلم اني لم اخنه في غيابه عني ولم أقل فيه شيئا يسوءه بعد أن فارقتي , وبعد أن لبس في السجن بضع سنين وان اقر امام الملك وحاشيته إنه لمن الصادقين .

لذا فأنا التزمت الأمانة في الحديث عنه , وابتعدت عن الخيانه لأن الله لا يرضاها ولا يقبلها .

ومن النص نجد إنما عللت شهادتها هذه بعلمتين :

إحدهما : كرهتها أن تخونه في غيبته إذ لا يستطيع الدفاع عن نفسه وهو في السجن

ثانيهما : علمها بان الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين ولا يسدده وغنما يبطله ويزهقه

(١) الداء والدواء ابن القيم ص ٢٨٦

ثم أضافت إلى ما قالت : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .

والمعنى : أنني مع كل ذلك لا أبرئ نفسي ولا انزهها عن الميل إلى الهوى الذي حملني على ذلك ، وأن النفس البشرية لها كثيرا ما تأمر صاحبها بالسوء إلا النفس التي رحمها الله وعصمها من الزلل والانحراف كتفيس يوسف عليه السلام-^(١)

ما هو الدرس والعبرة في رفض يوسف الخروج من السجن لما طلب الملك (وقال إئتوني به) ؟

درس يجب علي كل ذي ضمير ونخوة ، وكل صاحب كرامة ومرؤة أن يفهمه جيداً
..... كيف؟

" لقد تبينت للملك براءة يوسف ، كذلك تبينت له كرامته وإبائه ، فهو لا يتهافت علي الخروج من السجن ولا يتهافت علي لقاء الملك و إي ملك؟ إنه ملك مصر ولكن يقف وقفة الرجل الكريم المتهم في سمعته، المسجون ظلماً ، يطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه، ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه الذي يمثله قبل أن يطلب الحظوة عند الملك كل أولئك أوقع في نفس الملك إحترام يوسف عليه السلام وحبه فقال (إئتوني به أستخلصه لنفسي) آية ٥٤

فيا ليت رجالاً يمرغون كرامتهم عند أقدام الحكام، وهم أبرياء مطلقوا السراح - فيضعون النير في أعناقهم بأيديهم ، ويتهافتون علي حظوة الاتباع لا مكان الاصفياء ، فيا ليت رجالا من هؤلاء يقرأون القرآن ليعرفوا أن الكرامة والإباء تدر من الريح المادي - أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانهناء^(٢).

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

(١) محمد سيد طنطاوي - حديث القرآن عن الرجل والمرأة ص ٢٦٢ - ٢٦٤ بتصرف - دار السعادة
(٢) قصص الأنبياء - محمود المصري ص ٣١٩ - نقلا عن الظلال

الفصل الثاني

يوسف في القصر - مكين امين

" وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِمَاءٍ اسْتَخْلَصَهُ لِتَفْسِي طَ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ
الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١٠٠﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ طَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾ "

لما أتى يوسف الى الملك و كلمه الملك و ادرك من حسن كلامه رجاحة عقله و
ثاقب رايه قال له: " إنك اليوم لدينا مكين امين "

اي إنك مكين المكان , رفيع المرتلة مؤتمن علي امور البلاد , و هكذا استخلص الملك
يوسف و عينه وزيراً علي البلاد بعد ان تيقن من قدرته العلمية و حسن تصرفه في الامور بجانب
امانه و تساميه علي الرذائل .

و هنا امام هذه الثقوة تحميلة مسئولية تدبير امور البلاد و العباد كان عليه ان يتخذ من
الأمور ما تستوجه , فطلب من الملك ان يعينه مسئولاً عن التدبير لما ستأتي به السنين من ظروف
الرخاء و الشدة لذلك (قال إجعلني علي خزائن الارض ايني حفيظ عليم)

بذلك يعرض يوسف نفسه لتحمل المسئولية الكاملة للمرحلة الصعبة المنتظرة إذ إنه (
حفيظ) و إنه (عليم) .

حفيظ علي الأموال لا يخرجها من غير مخارجها و لا يصرفها في غير مصارفها فهني لسن
تصرف إلا لمن يستحقها و صاحب الحق فيها .

وعندما قال يوسف للملك (اجعلني علي خزائن الارض ايني حفيظ عليم) لم يكن يطلب
الدنيا و الجاه , بل كما يقول صاحب الظلال :

"ولم يكن يوسف يطلب لشخصه و هو يري اقبال الملك عليه فقد كان حصيفاً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعية الضخمة في اشد اوقات الازمة , ويكون مستولاً عن اطعام شعب كامل و شعوب مجاورة سبع سنوات , فليس هذا ثمناً يطلبه يوسف لنفسه , فإن التكفل بطعام شعب جائع سبع سنوات متواليه لا يقول احد إنه غنيمة انما هو تبعة يهرب منها الرجال , لانها قد تكلفهم رؤوسهم و الجوع كافر و قد تمزق الجماهير الجائعة اجسادهم في لحظات الكفر و الجنون , أ.هـ

وما كان ليوسف ان يطلب هذا الطلب إلا الهاما من الله من خلال تعبير رؤيا الملك مما ينتظر مصر من ازمات و ان الله سبحانه قد هيء يوسف ليتمكن له في الارض ليتخطي هذه الازمات بفضل من الله و عونه بالتخطيط السليم و العمل الجاد الدؤوب فوضع خطه للتخزين لأكبر قدر ممكن و هي تتطلب تقييد الاستهلاك او تحديده , ففي السبع سنوات الأولى كان يتجول في كل ارض مصر ليتفقد الحسور و البحيرات التي يجب ان تحجز أكبر كميته من فيضان النيل غير العادي و يشرف علي بناء المخازن و شراء خمس محصول الحنطة (أثمرت الارض في سبع سنين الشيع بحزم , فجمع كل طعام السبع سنين و خزن قمحاً كرمل البحر كثير جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد)

لقد كانت هنالك فيه قوة غير عاديه لا تتوفر في شخص واحد , و ننقل عن العهد القديم وصف فرعون و هو ملك و ليس فرعون له بقوله إنه (رجل فيه روح الله)

اما في سنى القحط : باع من اهل مصر في سنى القحط الطعام بالدنانير والدرهم في السنه الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي و الجواهر والدواب ثم بالضياع و العقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكاً أجمل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رأيت صنع الله عليّ فيما خولني مما تري , قال الرأي رأيك , قال فأني اشهد الله و أشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم و رددت عليهم املاكهم

و من تداعيات هذه الاحداث نتعلم ضرورة التخطيط الجيد و العمل الجاد في كل مناحي حياتنا حتى تغلب علي الصعاب .

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

السائلين عن معالجة مشاكل المجتمع الأقتصادية المترددة بين الرخاء والشدة .

و في تصرف يوسف المثل الأعلى و القدوة الصالحة لكل مستول أن يكون حفيظ عليم .
فيوسف لا يضع تخطيطاً خمسياً ولا عشرياً , كما تحاول بعض الحكومات الآن و مع ذلك
تفشل و لكنه وضع تخطيط سليم لأربع عشرة سنة مستقبلية . ونجح . لماذا ؟

لأنه مدعم بشروط النجاح وهي (حفيظ عليم)

و بذلك اعطى يوسف (الآيات للسائلين) عن طرق النجاح في التخطيط . و لتحمل
المستولية .

و يذكر الإمام ابن الجوزي في تفسيره ان يوسف كان لا يشيع في تلك الايام لماذا ؟

لأنه يخاف ان ينسي جاتعاً

منتهي الثقة في عون الله بعد ان اخذ بالاسباب فهذا هو حسن التوكل علي الله , فسبحان
من بيده الأمر كله , فيوسف بعد أن كان محبوباً أتى الجب بين جدرانته يخرج منه ثم بعد ان كان
مجرد غلام او عبد في قصر العزيز ثم سجيناً مقيد الإقامة محدود الحركة أصبح هو مطلق اليد في
البلاد (يتبأ فيها حيث يشاء) وهكذا كان فضل الله عليه و منه فالفاض الله عليه رحمته

(نصيب برحمتنا من نشاء)

لقد صبر علي كيد اخوته

و صبر علي فراق والده

صبر علي القائه في الجب

صبر علي أخذه بضاعه تباع و تشتري

صبر علي كونه عبداً في بيت العزيز

و يصبر علي اغراء امرأه العزيز و دعا الله و شكاه اليه

صبر علي اقامه بمراودة امرأه العزيز

صبر علي كيد السنوة له

صبر علي السجن مظلوماً و في كل هذه الحن لم يفقد إيمانه بربه و كان ذلك تدريجاً له علي
الصبر علي تحمل الامانة الملقاه علي عاتقه في إدارة شئون البلاد والعباد ثم الصبر علي تدبير الأمور

بمحكمة وأمانة. و التدبير يصبر و أنه خلال السبع سنوات الرخاء ثم الصبر علي تدبير الامور بمحكمة و روية خلال السبع سنوات العجاف ليرفق فيها بعباد الله و لكل هذا الصبر و هذا الايمان و هذا الاحسانا في العمل فالجزاء يكون من الله (و لا نضيع اجر المحسنين و لاجر الاخره خير للذين امنوا و كانوا يتقون)

هكذا من الله عليه فانتقل يوسف بين ليله و ضحاها من السجن الي العرش من العبودية الي السيادة , يفسح له بين صفوف اعظم الرجال و يتودد اليه اكابر القوم , و ازدانت يده بالخاتم الملكي بعد أن اشقتها الخدمه كعبد , و استبدل قميصه الذي نزعه اخوته منه

بأفخر الثياب و قدماه التي تعودت الوقوف طويلا و السير جيئه ذهابا أن لها ان تستريح في مركبه فاخره ، نعم

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

و من آيات تعيين يوسف وزيرو نستنتج ان على ولي الأمر واجب هام هو ان لا يقلد احد مركزا ماليا او اداريا او قضائيا او اى منصب هام في الدوله الا بعد التأكد اليقيني من امانته وعلمه والخبرة وبراءة الذمة من كل ما يشين صاحب المركز وعلى ذلك على ولي الامر ان يختبر من يتقدم للوظائف الهامة قبل تعيينهم (وقال الملك اتتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه ... الآية)

فلما كلمه اى خاطبه وناقشه وعلم ما هو عليه من حنكة وعلم وخلق ...

ورأى حسن منطقته وتأكد له منه الرشد والعقل

لقد طلب يوسف عليه السلام المنصب (اجعلني على خزائن الأرض وواكب الطلب سبب لذلك المنصب ممثلا بتزكية النفس إني حفيظ عليم)

إذن المطلوب :

١- المنصب

٢- سبب طلب المنصب : (أ- حفيظ ب - عليم)

ونحن نعلم أن في الإسلام لا يطلب المنصب إلا إذا كان وسيلة لتحقيق رضا الله تعالى في مهمة على الأرض , وكذلك التزكية مرفوضة في الإسلام إلا إذا كانت وسيلة لتحقيق هدف الإنسان في الدنيا بتحقيق رضاه جل و علا .

وقد جمع يوسف عليه السلام مواصفات الناجح في أي عمل في الدنيا فمثلا — :

أ- (حفيظ) ... بمعنى الأمانة وما يتبعها من أخلاق

ب- (عليم) بمعنى جودة التقنيات وعلم المهنة ذاتها

ونتعلم من مواصفات الناجح على الإطلاق في القانون الإلهي أن يكون صاحب المهنة ذا :
(خلق) , (علم)^(١)

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

وايضا داخل دائرة (آيات للسائلين) أمرين هامين نقلهما عن تفسير سعيد حوى^(٢) :

الاول :- طلب يوسف الولاية من سلطة كافرة بناء علي كفايته وامانته في القيام بمضمونها
وقبوله ما يشبه الوزارة في دولة كافرة , وهو محل القدوة , دليل علي ان حكم الله في هذا الموضوع
مرتبط بمصلحة الاسلام والمسلمين ومصلحة الخلق .

وفي ثناء يوسف علي نفسه دليل علي انه يجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة .

الثاني :- بعض المسلمين يترددون في المشاركة في الحكم , أو رفضه أو يترددون في ترشيح
أنفسهم لمناصب الدولة حيث فرضت انظمة كافرة علي الاقطار الاسلامية والذي تفهمه من قصة
يوسف (آيات للسائلين)

فيجوز للمسلم أن يزكي نفسه في بعض الحالات , وان يتسلم منصبه من مناصب الدولة
إذا كان في ذلك خدمة لدين الله أو مصلحة للمسلمين أو منفعة عامة للخلق لا يرافقها إثم , ويتدخل
في هذا الموضوع عامل النية وموقف أهل الحق .

والقاعده :- إذا وجد أهل الشوري من أهل الحق و رأوا رأيا أو رأت اكثرتهم رأيا فهو
الفيصل في كل مكان وزمان .

و لقد قال الألوسي عن قوله تعالي حكاية عن يوسف (¡جعلني علي خزائن الارض ¡بني
حفيظ عليم) فيه دليل علي جواز مدح الانسان نفسه بالحق إذا جهل امره وجواز طلب الولاية إذا

(١) نسيبة عبد العزيز المطوع قصة يوسف عليه السلام نموذج حياة ص ١٠٢ الكويت
(٢) الأساس في تفسير المجلد الخامس ص ٢٦٧١ - ٢٦٧٢ باختصار

كان الطالب ممن يقدر علي إقامة العدل وإجراء احكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر وربما يجب عليه الطلب إذا توقف علي ولايته إقامة واجب وكان متعينا لذلك (أ . هـ .

ويلخص ذلك كله د / أحمد عطا إبراهيم فيقول : وخلاصة القول :

● أن الملك هو الذي عرض على يوسف المنصب فاختار المنصب يوسف ولم يسع هو إليه .

● أن يوسف هو الذي وضع برنامج مواجهة أزمة الأيام المقبلة وهو أدري الناس بخطوات تنفيذها .

● إنه لم يرك نفسه - وإن كان ليس في حاجة إلي ذلك - وإنما قدم مؤهلاته لشغل المنصب المعروف عليه , وأن مؤهلاته التي طرحها النص هي إنه (حفيظ عليهم) فصيغة المبالغة تدل على القدرة الكبيرة وهما صفتان مهمتان لاجتياز المرحلة المقبلة .

● إن هذا المنصب في هذه الفترة ليس منصب تشريف وإنما هو منصب تكليف ومسئولية في فترة من أخطر فترات حياة الأمم^(١).

ولكن كل ذلك لم يكن ليبره يوسف ولا يطفه أو يطره , ولا أن يصرفه عن المهمة أو المسؤولية الجسيمة في تدبير الأمور والتخطيط لما هو آت , وحتى هذا الامر الجسيم والتخطيط لما هو آت لم ينسه أن يقوم بالدعوة الى دين الله وهو ممكن له في الأرض بل أن تمكينه من الأرض وإحسانه الى الناس وصدقه معهم وعمله لصالحهم قربهم إليه أو قربه اليهم فأصبح ذا تأثير قوى عليهم فتمكن من اشراك الشعب معه في المسؤولية , تنفيذ خطته بجزئها , ففي الخطة السبعية الأولى حيث سنى الرخاء بأن رشد الاستهلاك وشجع على الاقتصاد في الاستهلاك وبنى المخازن الى غير ذلك وما كان يستطيع النجاح لولا أن الشعب اقتنع بالتخطيط وكان جزء منه .

ثم في الخطة السبعية التالية اثناء سنوات القحط والشدة بأن قنن ما يأخذه كل فرد وهذا يستتبع بالضرورة ودراسة احتياجات الفرد لأن التموين في سنوات الجذب يقتضى دقة التخطيط ولا يحتمل أى اسراف. وما دام لكل شئ ثمن يجب أن يدفع فكل انسان على قدر ما معه , وعلى قدر ما يقيم حياته ويسد احتياجاته وهي عملية موازنة صحيحة بين الامكانيات والاحتياجات تحتاج الى دقة التقدير ودقة التخطيط ودقة التنفيذ لذلك تنفق مع ما جاء في العهد القديم (سفر التكوين ٤١ : ٤٥)

(١) احمد عطا ابراهيم - مرجع سابق ص ٢٢٨ بتصرف

أن أطلق على يوسف الاسم المصرى (صفات لعنيح) يعنى (مخلص العالم) واعترف المصريون بفضله (فقالوا : احببتنا) تكوين ٤٧: ٢٥ وحين سئل: لماذا أخذت منهم ما دمت قد قررت أن ترد لهم ما أخذته , اجاب: كى يأخذ كل انسان فى أقل الحدود التى تكفيه فى سنوات الجذب^(١). فكان فى تصرف يوسف هذا

(آيات للسائلين)

وهنا ايضا تتجلى آية من أعظم الآيات أو العبر التى يجب أن تسود المجتمع المسلم بصفة خاصة والانسانى بصفة عامة وهى التعاون التام والشفافية التقيه مما يشوفا بين القيادة العليا والوزراء والمعنيين والشعب.

وبعبارة أوضح التبصير والمصارحة حيث تدرك كل جهة مسئوليتها وبذلك يمكن التغلب على أعصى المشكلات وأعقدها , فليس هناك مشكلة عصية على الحل اذا صدقت النيات وكان الإخلاص فى العمل .

وحكى الثعلبى أن الملك عزل قطفير (العزيز) عن وظيفته وولاهها يوسف , وقيل إنه لما مات (العزيز) زوجه امرأته (زليخا) فولدت ليوسف ولدين (الفرام ومناش).

ملاحظات على التمكين ليوسف فى الأرض (مصر) :

بعد محنة الجب وإنقاذه منها وإتياده كمبد فى سوق النخاسة ثم فى بيت العزيز "وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض.... الآية" فكان هذا هو التمكين الأول ليوسف فى الأرض لأمر أراده الله (والله غالب على أمره) ثم بعد محنة إلقائه فى السجن مظلوماً وخروجه بعد ثبوت براءته مرفوع الرأس كريماً:

(وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوا منها حيث يشاء* نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) هنا كان التمكين أكبر وأوسع (يتبوا منها حيث يشاء).

وكان كل تمكين بعد محنة (إن بعد العسر يسرا).

(١) تفسير الشعراوي ص ٦٩٩٨

الفصل الثالث

اللقاء الاول لأخوة يوسف معه

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفَى الْكَفِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٦﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِمِثْلِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٣٧﴾ قَالُوا سَتَرِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَيْكُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهِمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَفِيلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ إِخْوِهِ مِنْ قَبْلُ قَالَهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِيٌّ هَذِهِ بَضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفِظُ أَخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِيَمِيهِ إِلَّا أَنْ يَحْمِطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَ تَدْخُلُوا مِن بَابِ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤٤﴾

جاء اخوة يوسف العشرة من ارض كنعان إلى مصر ليتزودوا من غلها , ودخلوا على يوسف (لانه كان يشرف بنفسه على توزيع الغلال) فعرفهم ولكنهم لم يعرفوه , وأني لهم أن يعرفوه وقد القوه في غيابة الجب فتي صغيراً لا حول له ولا قوة , وهو الآن ذو حول وطول وجاه وسلطان فلم يكن ليرد بخلدهم أن يصير الي ما صار إليه ربما تذكروا عند دخولهم مصر , اخاهم يوسف الذي رموه في الجب ومن ثم بيع كعبد في مصر...ربما يجدونه كعبد من عبيد أحد السادة يفلح له الارض

او يحمل له الغلال أو يعمل مع عمال البناء في حمل الأحجار ... يرتدي الاسمال الباليه , ووجه دليل , وليس اكثر من ذلك ... ولكن أن يكون ذا جاه وصلاحان صاحب الأمر المطاع فذلك لم يكن يصدق أو يطوف بخيال , ولم يكشف لهم عن نفسه ولكن من الواضح إنه تحدث معهم وأظهر حفاوة بهم وإكرامهم وسألهم عن أحوالهم وأهلهم وعددهم وعلم منهم إنهم كانوا إثني عشرة , ذهب احدهم وبقي أحد عشر وأن لهم أخوا أصغر منهم مع أبيهم ولم يحضر معهم وإنه بعدما كمال لهم من الميرة ما يستحقون, ووفى لهم الكيل طلب منهم أن يأتوا في المرة القادمة (العام التالي) ومعهم أخاهم ليوفيهم الكيل ويزيدهم كيلا لآخيههم.

(وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْعَا تَرُونَ)
 أَنِّي أوفى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٤﴾)

أى أننى أحسن وفادة من يأتى إلى ويرول ضيفا علىّ وحتهم على ان يأتوا في العام المقبل , وشدد على ضرورة أن يحضروا أخاهم الأصفر .

وأورد الفخر الرازى تفسيراً لذلك فقال :-

وأعلم إنه لا بد من كلام سابق حتى يصير ذلك الكلام سبباً لسؤال يوسف عن حال أخيههم وذكروا فيه وجوها , ونقل ما رجحه منها :

((وهو أن عادة يوسف عليه السلام مع الكل ان يعطيه حمل بعير لا يزيد عليه ولا انقص))
 , وأخوة يوسف الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة اجمال , فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا وأخا آخر بقى معه في خدمته ولا بدلهما أيضا من شئ من الطعام فجهزهما أيضا بعيرين اخرين من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا دليل على حب أبيكم له ازيد من حبه لكم , وهذا شئ عجيب مع جمالكم وعقلكم وأدبكم اذا كانت محبة ابيكم لذلك الأخ اكثر من محبته لكم دل هذا على ان ذلك أعجوبة في العقل , وفي الفصل , والأدب فحيثونى به حتى أراه , فهذا السبب محتمل مناسب .

وشدد يوسف على ضرورة أن يحضروا معهم أخاهم قاتلا لهم صراحة (فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) فوضعهم في موضع المضطر لذلك والمجبر عليه , ولكن نظرا لما اترفوه سابقا مع يوسف أصبح هذا الأمر صعب طلبه من ابيهم لذلك قالوا :

(سنراود عنه أباه وإنما لفاعلون)

ای انهم سيذلون جهدهم في اقناع ابيهم بمجئى اخيهم .

واذا قيل : كيف استجار يوسف إدخال الحزن على أبيه يطلب أخيه؟.

قيل له: عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاءً ليعقوب ليعظم له ثوابه فإتبع أمره فيه.

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليه السلام .

الثالث : لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه .

الرابع : ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل اخوته , لميل كان منه اليه والأول اظهر

والله اعلم^(١).

وهنا يعطينا يوسف آيتين من آيات الصدق في المعاملات وهي (الا ترون اني اوفي

الكيل...؟).

الوفاء بالكيل : من آيات الصدق في المعاملات وينم على خلق عظيم وأساس قوي من

أسس التعاملات الاقتصادية , وربما أراد يوسف بقوله هذا أن يعلمه ما يجب عليه في معاملاتهم او ما

عهد فيهم من عدم الوفاء بالكيل .. الذي توارثوه الي اليوم

وكذلك عدم الاحتكار : للسلع الاساسية فهؤلاء قدموا من خارج الحدود من ارض

كنعان خارج نطاق الدولة المصرية ولكنه التكافل الانساني وعدم الاحتكار ... رسالتين في الاخلاق

ليتعلم بنوا اسرائيل بعض ما ينقصهم من أخلاق

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) وأضف الي ذلك الصفة التي ينفر منها بنو

اسرائيل وهي الكرم فهو (يوسف) يعلم بني اسرائيل الكرم ويعلم أن يقلعوا عن طباع الشح والبخل

والاستغلال . فعلمهم:

اكرام الجلاء (الغرباء) باعتبارهم ضيوفا على أهل البلد .

...ة كلها آيات لها دلالاتها الاخلاقية:

(١) تفسير الرازي مجلد ٩ ص ١٧٠

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين"

وزيادة في الكرامة لهم وايضا باعتبارهم اهله فإنه :

(وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ آجَعَلُوا بِصَنَعَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا

إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾) آية ٦٢

وهنا يتبادر سؤال هام :

لماذا أمر يوسف غلمانه أن يدسوا البضاعة (أثمان الميرة) التي حضر بها اخوته ليستبدلوا بها القمح في رحالهم (اي متاعهم) ؟.....؟ وعلل ذلك بـ (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون).

قيل في ذلك اوجها :

أحدها : أن يكون خشى أن لا يكون عند أبيه دراهم اذ كانت السنة سنة جذب وقحط فيضر أخذ ذلك منهم به , وأحب أن يرجع إليه .

الثاني : اراد ان يتمتع به ابوه واخوته مع حاجته اليه لفرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكريما وتفضلا (اي إنه لم ير أنه من الكرم إنه يأخذ من أبيه وأخوته تمنا).

الثالث : وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلفون الوعد في الرجوع اذا وجدوا في رحالهم من طعام قد قبضوه وملكه عليهم غيرهم عوضاً عن طعامهم , ويتحرجون عن أمساكهم ثنا لطعام قد قبضوه حتى يؤديه علي صاحبه فيكون ذلك أدعي الي العودة اليه^(١).

ذلك لعلمه ان ما فيهم من الديانة يوجب عليهم رد الامانه واذا لم تكن فيهم فيستحشهم أبيهم علي ذلك ..

ولكن المشكلة الاكبر . كيف يحدثون أباهم بتأكيد (يوسف)عليهم بضرورة احضار اخيهم من ايهم المرة القادمة ؟.

نجد الاجابة في قوله تعالي (فلما رجعوا الي أبيهم قالوا : يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنما له لحافظون).

(١) نواف الحليسي مرجع سابق ص ٢٦٢

إن النص يثير بعض التساؤلات إذ ينظر إليه من جملة أوجه:

أولاً: لم يقل النص (ولما رجعوا إلي أبيهم) لأن التعبير بكلمة (فلما....) تفيد إنهم بمجرد دخولهم على أبيهم أسرعوا مباشرة بقولهم (ياأبانا منع منا الكيل).

ثانياً: إن مخاطبتهم ليعقوب بقولهم : (ياأبانا ...) فيها الإستعفاف وإستماتته ليوافقهم على ما يريدون .

ثالثاً: عن (منع الكيل) فإنهم يقررون أن الكيل منع منهم وليس من غيرهم لأن عبارة منع منا الكيل تفيد قصر المنع عليهم أي (منع منا نحن) وهذا بخلاف لو قالوا (منع الكيل منا)... فكان يمكن تأويلها بأن الكيل منع منا ومن غيرنا لأن المنع هو (منع الكيل منا) وليس (منع منا الكيل) .

رابعاً: عبارة منع الكيل تفيد الحدث في الزمن الماضي أي إنهم عادوا بدون كيل بعد رحلة الشقاء رغم ما كان من كرم يوسف معهم وهذا يتعارض مع ما سبق ذكره من عبارات النص :

(فلما جهزهم بجهازهم) (ألا ترون أني أوفي الكيل) .

(فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) .

ويتعارض أيضا مع ما تلي ذكره من عبارات النص .

(فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) ٦٥ .

هذه النصوص تثير عدة احتمالات:

إحداها: أن يكون يوسف بعد أن جهزهم بجهازهم وأكرمهم وزاد لهم في الكيل ثم منع منهم الطعام ورد إليهم بضاعتهم وهذا قال بعض المفسرين مثل صاحب الظلال وعلل ذلك بأن يوسف فعل هذا حتى يضطرهم إلى العودة بأخيهم.

ثانيها: أن يكون المنع هو منع الكيل لأخيهم الذي طلب إحضاره معهم فيكون المعنى يا أبانا منع منا الكيل لأخينا ويقوي هذا الإحتمال رجائهم لأبيهم أن يرسله معهم (.....) ونمير أهلنا ونحفظ أخاننا ونزداد كيل بعير وذلك كيل يسير) ٦٥ .

ثالثهما : أن يكون المنع هو المنع الموعود به إذا لم يرسل معهم أخاهم وذلك من باب التهويل والمخادعة للتأثير النفسي على يعقوب ويكون هنا استخدام صيغة (المنع) في الماضي مبالغة منهم في المنع المحتمل في المستقبل.

وفي كل الإحتمالات فإنه لا يتصور إنه منع منهم الكيل وذلك لما عرف عن يوسف برحمته بغير أهله فرحمته وبره بأهله أولى .

ونعود إلى أبناء يعقوب وهم يراودون أباهم عن أخيهم -بنيامين- فبعد أن واجهوه بحقيقة الموقف مباشرة دون تمهيد , ذكروا له الحل مباشرة دون تمهيد أو تطويل... (فأرسل معنا أخانا نكتل).

استخدموا الفعل المضارع (نكتل) الذي جاء جوابا للأمر في قولهم : (فأرسل ... نكتل) ففيه تشجيع وتحفيز للأب لإرسال الأخ فذلك حل المشكلة.

وتأمل كذلك التوازن بين المشكلة وحلها في قولهم :

الكيل	منع	منع
أخانا	معنا	أرسل

وتأمل بطء الإيقاع الموسيقي الذي يوحى بالخجل والتخاذل واليأس في تحقيق المراد , وهذا البطء يكشف كذلك عن إحساس الأخوة بالفشل في مهمتهم لعلمهم أن الأب مستحيل أن يوافقهم على طلبهم هذا بالإضافة إلى لين الجرس الموسيقي وهدوئه في قولهم (فأرسل معنا أخانا) فهم يسلكون المسلك الهادئ ليتحايلون على أبيهم وتأمل تكرار حرف النون في الآية وما يحمله من موسيقى هادئة . أضفت على كلامهم لنا وهدوءا .

(ياأبانا - منع - منا - أخانا - نكتل - نزداد - حافظون)

كما إنهم استخدموا في طلبهم لأخيهم صيغة لم يستخدموها من قبل وهي (أخانا) ... ولنقارن ذلك بطلبهم ليوسف من قبل .. (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف).

(ارسله معنا وأنا له حافظون) أما هنا فيذكرون أن الذي سيذهب معهم أخ لهم بما تحمله هذه الكلمة (أخانا) من معان تجعل الأب يطمئن اليهم^(١).

(١) د/ احمد عطا ابراهيم - سورة يوسف - قراءة تحليلية ص ٢٥٦ - دار الغريب

وهنا لابد من وقفات اعتبار وتأمل تدخل ضمن (آيات للسائلين) .

أولاً: أن يوسف قال لإخوته (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) يستفاد من ذلك إنه كان يسجل في سجلات خاصة أسماء الذين يأخذون الميرة منه وكميات ما أخذوها وتاريخ ذلك , وهذا يدل على حسن التنظيم ودقة التابعة وليس الامريتم بطريقة عشوائية أو غير منظمة .

ثانياً : لا بد أن هذا الوعد قد أثار كوامن يعقوب فعاد لذاكرته وعدهم له في يوسف (وإنا له حافظون ١١) فإذا هو يجهر بما أثاره الوعد من شجونه لقال:

(هل آمنتكم عليه الا كما آمنتكم علي اخيه من قبل ١١) فخلوني من وعودكم , وخلوني من حفظكم , فإذا انا طلبت الحفظ لولدي والرحمة لي (فإله خير حافظا وهو ارحم الراحمين)^(١) .

لم يصدق وعدهم لماذا؟

لأن من كذب مرة قد أنتهك مبدأ الصدق ولا يؤمن بعدها , وكلامهم حتى لو كان واقعا لا يرتقي إلى التصديق , ويعقوب شخص روحاني يشعر بما لا يعلمه العقل , ويعلم أن يوسف بخير وإيمانه الشديد يجعله لا يقنط أبداً من رحمة الله^(٢) .

أي سرحم كبري وضعفي , ووجدني بولدي , وارجو من الله ان يرده علي أو يجمع شملتي به لأنه خير الحافظين وارجم الراحمين.

ونعود الي يوسف :

فيوسف بما اوتي من علم وحكمة كان يعلم صعوبة ان يأمنهم ابوهم علي اخيه (بنيامين) ربما اراد يوسف ان يذكرهم بما كان منهم معه ومع ابيه اذا احتالوا عليه ليخلو لهم وجه ابيهم .

لذلك لما انذرهم يوسف بقوله .

(فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) كان ردهم ليس قاطعا بل (قالوا ستراد عنه اباه وانا لفاعلون) . والمرادة محتاج الي كثرة جدل وحوار , ليس بالامر الهين ولكنهم سيبدلون قصاري جهدهم (وإنا لفاعلون)

(١) في ظلال القرآن ص ٢٠١٦

(٢) تحية عبد العزيز مرجع سابق ص ١٦٢

فأظهروا العزم والتأكيد من جانبهم ببذل أقصى ما يمكنهم والمقصود إهم طلبوا من يوسف ان يزيد لهم في الكيل لان لهم اخ اصغر منهم بقي مع والدهم ولم يأت معهم , وان يوسف قال لهم ان تأتوا به ليزيد كيل بعير , وانه يوفي الكيل للمشتريين فكل مشتر يأخذ كيله والفا ولكن ولا يأخذ ما يريد ..

فالانصبه مقننة . , فان كنتم صادقين في قولكم فاتوا به .

وان لم يأتوا به فلن يكون لهم كيل عنده .

ونعود الي يعقوب وابنائاه :

ويصور لنا القرآن جانبا من حالتهم عند ما عادوا الي ابيهم :

(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَعْتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ آية ٦٥

يقول الشيخ الصابوني : (اي لما فتحو الاوعية التي وضعوا فيها الميرة وجدوا ثمن الطعام في متاعهم (قالوا يا ابانا ما نبغي) اي ماذا نبغي ؟ واي شئ نطلب من اكرام الملك اعظم من هذا ؟) هذه بضاعتنا ردت الينا) اي هذا ثمن الطعام رد الينا من حيث لا ندري , فهل هناك مزيد . فوق هذا الاحسان , اوفي لنا كيلنا ورد لنا الثمن !!

ارادوا بذلك استئصال ابيهم عن رأيه (ونمير اهلنا) اي تأتي بالميرة والطعام لاهلنا (ونحفظ اخانا) اي نحفظه من المكاره , وكرروا حفظ الاخ مبالغة في الحض علي ارساله (ونزاد كيل بعير) اي نزاد باستصحابنا له حمل بعير , روي إنه ما كان يعطي الواحد الا كيل بعير من الطعام , فأعطاهم همل عشرة جمال ومعهم الحادي عشر حتى يحضروا اخوهم , (ذلك كيل يسير) اي سهل علي الملك اعطاؤه لسخائه . ا.هـ

ويبدوا في قولهم " ونزاد حمل بعير) ان يوسف عليه السلام , كان يعطي كل واحد وسق بعير _ وهو قدر معروف مقنن_ ولم يكن يبيع لكل مشتر ما يريد وكان ذلك من الحكمة في سنوات الجذب كي يظل هناك قوت للجميع

ورغم ان يعقوب عليه السلام كان أضن شئى بولدة بنيامين لأنه يرى فيه اخيه يوسف
ويجد فيه السلوي والعض ولكن الرجل تحت الحاح وحاجة قومه الي الميرة وافق .

وجاء في تفسير الفخر الرازي :

فإن قيل : لم بعته معهم وقد شاهد ما شاهد ؟

قيل : لوجه :

و قيل تفسيرات كثيرة و تحليلات و لكن السياق القرآني لم يبين السبب , و لكن الآراء و
الاجتهادات في تفسير هذه الآية تدور كلها حول تجنب الحسد ننقل بها علي سبيل المثال بما أورده
الامام القرطبي بقوله فيه خمس مسائل :

الأول : لما عزموا علي الخروج خشي عليهم العين فأمرهم الا يدخلوا مصر من باب واحد
, و كانت مصر لها اربعة ابواب , و خاف عليهم العين لكونهم احد عشر رجلاً لرجل واحد , و
كانوا أهل جمال و كمال و بسطة قاله ابن عباس و الضحاك و قتادة و غيرهم

الثانية : يترتب علي هذا المعني ان يكون فيها دليل في التحرز من العين و العين حق , و قد
قال النبي صلي الله عليه و سلم (لتدخل الرجل القبر , و الجمل القدر) و في تعوذه عليه السلام :
" اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة و من كل عين لامة " ما يدل علي ذلك .

الثالثة : واجب علي كل مسلم اعجبه شيء ان يبرك , فإنه اذا دعا بالبركة صرف اخذور
لا محاله , ألا ترى قوله عليه السلام لعامر " ألا بركت " قد دل علي ان العين لا تضر ولا تعد و اذا
برك العائن , و إنما تعدو اذا لم يبرك , و التبرك ان يقول : تبارك الله احسن الخالقين ,
اللهم بارك فيه "

الرابعة : العائن اذا أصاب بعينه و لم يبرك فإنه يؤمر بالارتسال , و يجبر علي ذلك ان اباه
, لان الأمر علي الوجوب , لا سيما هذا , فإنه قد يخاف علي الهلاك , ولا ينبغي لأحد ان يمنع اخاه
ما ينفع به أخوه و لا يضره , ولا سيما اذا كان بسببه و كان الجاني عليه

الخامسة : من عرف بالاصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره , و قد قال بعض
العلماء : يأمره الامام بلزوم بيته , و ان كان فقيراً رزقه ما يقوم به , و يكف اذاه عن الناس .

و الشيخ متولي الشعراوي يوضح فكرة ارتباط الحسد بالعين بقوله : و اذا كان عصرنا وهو عصر الارتقاءات المادية قد توصل الي استخدام الاشعاع في تفتيت الاشياء , اذن : فمن الممكن ان يكون الحسد مثل تلك الاشعاعات و التي قد يجعلها الله في عيون بعض خلقه , و تكون النظرة مثل السهم النافذ أو الرصاصة الفتاكة ^(١) و من ناحية اخرى فان الدارس المتمعن فيما وراء الالفاظ ان يخلص الي تكوين صورة واضحة ناطقة بالالوان لما كان عليه الامن في مصر في هذه الفترة من التاريخ حتى ذاع خبر الامن و الاستقرار في مصر الي جميع البلاد من حولها , اذ يقول يعقوب لبيه : (لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من ابواب متفرقة) فالمدن القديمة كانت تحاط بأسوار و لها ابواب تعلق ليلاً و تفتح نهاراً و اذا ما حاقت بها الاخطار اغلقت جميع الابواب و اذا ساد الامن و الامان فتحت الابواب , و ان يعقوب امن علي اولاده خطر الطريق , و من ذلك نستنتج ان فتره تولي يوسف الامر إنه أمن طرق التجارة الموصله الي مصر حتي في ايام القحط التي يكثر فيها اللصوص و هذا يجيب علي من يسأل عن امن المجتمع في ذلك الوقت .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

وهنا يبرز سؤال هام لماذا لم يقدم يعقوب هذه النصيحة لابنائه في رحلتهم السابقة لمصر ؟

يجيب الدكتور / أحمد عطا ابراهيم ^(٢) عن هذا السؤال قائلاً

١- إن الفترة بين ذهاب الأخوه إلى مصر في المرة السابقة وهذه المرة قصيرة جداً ربما ليست أكبر من زمن السفر ذهاباً وإياباً وهذا حتماً يلفت الأنظار إليهم عند أبواب المدينة .

٢- إنهم هذه المرة يأخذون معهم بنيامين وهو العزاء الوحيد له بعد يوسف

٣- ملاحظة من خلال كلامهم عن الملك هذه المرة من إختصاصهم دون غيرهم من القادمين على مصر بحسن المعاملة مما قد يثير الحاسدين عليهم

٤- قال الزمخشري في الكشاف : لأنهم كانوا ذوي بماء وشارة حسنة , اشتهروا بين اهل مصر بالقربية عند الملك , فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وان يشار إليهم بالأصابع ويقال : هؤلاء أضياف الملك , انظروا إليهم , ما أحسنهم من فتيان ! وما أحقهم بالإكرام ! الأمر ما أكرمهم الملك وقرهم وفضلهم على الوافدين عليه , فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فبعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما

(١) تفسير الشعراوي ص ٧٠١٥ و ٧٠١٦

(٢) مرجع سابق ص ٢٧٢

يسوؤهم , لذلك لم يوصهم بالفرقة في المرة الأولى لأنهم قبل ذلك كانوا مجهولين
مغمورين بين الناس .

فقد قال يعقوب لبنيه بعد أن نصحهم بدخولهم مصر من ابواب متفرقة :

(و ما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم إلا لله عليه توكلت و عليه فليتوكل
المتوكلون)

اي ان هذه الوصية لن تغني شيئا اذا اراد الله بكم سوءا فهذا الحذر والاحتياط لا يرد قدر
الله و قضاءه ولا يمنعه (ان الحكم إلا لله عليه توكلت و عليه فليتوكل المتوكلون) تسليم كامل
لارادة الله و مشيئته , او ترك الامر لله وحده

(و لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يعني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في
نفس يعقوب قضاها) اي شفقة و خوفا علي ابنائه جعله يذكرها .

و نفذ ابناء يعقوب وصية - او أمر - ابيهم و دخلوا من ابواب متفرقة , والله يصف
يعقوب بقوله : (و إنه لذو علم لما علمناه) اي إنه يعرف موقع المسبب و موقع الاسباب , و يعلم
ان الأخذ بالاسباب لا ينافي التوكل علي الله , لأنه سبحانه قد خلق الاسباب رحمة بعباده (و لكن
اكثر الناس لا يعلمون) اي يعزلون الاسباب عن المسبب و اذا رجعنا الي العهد القديم , و قد اورد
واقعه قدوم اخوة يوسف الي مصر في الاصحاح الثاني الاربعين نجد ان النتيجة هي كما في القرآن مع
اختلاف جذري في التفاصيل و من ذلك :

" فأتى اخوه يوسف و سجدوا له بوجوههم الي الارض , و لما نظر يوسف اخوته عرفهم ,
فتكبر لهم و تكلم معهم بحفاء فتذكر يوسف الاحلام التي حلم عنهم , و قال لهم جواسيس
انتم لتروا عورة الأرض جنتم فقالوا عبيدك اثنا عشر أخا نحن بنو رجل واحد في ارض كنعان
, و هو ذا الصغير عند ابينا اليوم , والواحد مفقود .

١- فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قاتلا جواسيس انتم , بهذا تمتحنون و حياة
فرعون لا تخرجوا من هنا إلا بمجيء اخيكم الصغير الي هنا , ارسلوا منكم واحداً ليحيء
باخيكم و انتم تحبسون ,

فيمتحن كلامكم هل عندكم صدق , و إلا فوحية- هكذا- فرعون انكم لجواسيس
فجمعهم الي حبس ثلاثة ايام . " (٦-١٧)

و يقول هذا السفر إنه استبقي (شعون) و ترك الباقي يذهبون الي ابيهم , بعد أن ملأ اوعيتهم قمحاً ورد فضة كل واحد الي رحله و اعطوا زاد الطريق , ولما وصلوا الي ابيهم و قصوا عليه قصتهم مع (الرجل سيد الأرض) و بلغوه بطلبه باحضار اخيهم الصغير .

" فقال لهم يعقوب اعدمتوني الاولاد: يوسف مفقود و شعون مفقود و بنيامين تأخذه صار كل هذا علي " و رفض يعقوب ببول بنيامين معهم .

و بالقاء نظرة تحليلية لما ورد بهذا الاصحاح نجد :

اولاً : إنهم كأولاد نبي و يعتزون بانتسابهم الي ابيهم ابراهيم و اسحاق و يعقوب لا يتصور منهم السجود لشخص في نظرهم علي غير دينهم القيم .

ثم ان يوسف كني ابن نبي لا يقبل منهم لك , و ربما قائل يقول ان ذلك ورد في القرآن في قوله تعالي (و رفع ابوه علي العرش و خروا له سجدا ...) إن ذلك لم يكن سجوداً من يعقوب ليوسف كبشر و لكن له تفسير اخر سنعرض له في موقعه ان شاء الله .

ثانياً : يقول نص سفرا لتكوين : (لما نظر يوسف لأخوته عرفهم فتكر لهم و تكلم معهم بجفاء , ولا يتصور ان يوسف النبي ذو الخلق الحميد الذي قال (السجن احب الي مما تدعوني اليه) ان يكلمهم بجفاء , فليس من طبعه ولا من اخلاق الانبياء , بل المتصور و هو الذي حدث ان يكرم و فادقم , و كما عبر القرآن علي لسان يوسف لأخوته :

(الا ترون اني اوفي الكيل و انا خير المرلين)

ثالثاً : ما كان ليوسف و هو النبي الذي قال عنه القرآن :

(و لما بلغ أشده آتيناه حكما و علما , و كذلك نجزي الحسنين) أن يقسم بحياة فرعون و في الحديث النبوي الشريف من حلف بغير الله فقد اشرك .

رابعاً : ما كان ليوسف ان يسجن اخوته بدعوى إنهم جوايسيس لمدة ثلاثة ايام و هو الذي خبر السجن ظلما و عاش بين جدرانه ... أيسجن اخوته ظلما , هذا اليوسف الذي قال صاحب السجن له : (... انا تراك من الحسنين) يحسن للغرباء و ليس للاقرباء ... الي اخوته ؟! و هو الذي قال الله فيه (و كذلك مكنا ليوسف في الأرض ليتبوا فيها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر الحسنين) فهل زالت عنه صفة الحسنين مع اخوته !؟

خامساً : ما كان ليوسف ان يستبقي أخاه (شمعون) و ترك الباقيين يعودون الي ابيهم وهو يعلم من ابيه كيف حزن علي يوسف ا...!

أ يكون من بر يوسف بأبيه ان يفجعه و يزيد من حزنه بأحتجاز (شمعون).

خاصة بعد تلك الفترة الطويله من الزمن التي زاد فيها ضعف يعقوب ووهنت قوته واحتته شيخوخته , و هو ذلك الشيخ المسن الاعرج ؟

الا يكفيه حزنه علي يوسف ا؟

الفصل الرابع

عودة اخوة يوسف واللقاء الثاني معه

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ۖ أَوَىٰ ۚ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۚ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا مَّلِكٍ وَلِمَن جَاءَ بِهِ جِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ۗ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ تَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ كُنْهٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۗ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا يَا أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَهُ أبا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعِنَا بِهِ عِنْدَهُ ۗ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۗ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ۗ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٧﴾

يامعان النظر في الآية ٦٩ نجد إنها ركزت علي اهتمام يوسف بأخيه و أن أول ما فعله أن:

" آوي اليه اخاه قال ابني انا اخوك فلا تبتس بما كانوا يعملون " فعرفه بنفسه و طمنته و طلب منه عدم التفكير فيما كان من اخوته و ما فعلوه من قبل في يوسف , ثم بعد ذلك ينتقلب السياق الي ما تم لأخوه يوسف (فلما جهزهم بجهازهم) و اوفي الكيل لهم كما وعدهم , ثم كان التدبير المحكم ليحفظ بأخيه و بالشدّة شوقه اليه أو ليعطي اخوته الدرس و العهد و عرف اخاه بما سيفعله (جعل السقاية في رحل اخيه) اي وضع شربه الفضة التي يشرب فيها الملك و تستخدم في الكيل في قناه اخيه بنيامين (ثم اذن مؤذن ايها العير انكم لسارقون)

قالوا و ما ذلك قال ساقية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم قالوا يا الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض و ما كنا سارقين . قال المنادي (و لمن جاء به حمل بعير و أنا به زعيم)

اي لمن جاء به و اظهرت دون تفتيش

و هنا نقف لتساءل

في قوله (ثم اذن مؤذن ايها العير انكم لسارقون)

فهل كان ذلك النداء بأمر يوسف او كان من المؤذن من تلقاء نفسه؟

فان كان بأمره كيف يليق بالرسول الحق من عند الله ان يتهم أقواماً و ينسب إليهم السرقة كذباً و بهتاناً ؟

ثم لتدبر التعبير (ثم اذن مؤذن ايها العير انكم لسارقون) إتمام صريح بإتمام العير إتماماً مؤكداً بـ (أن و اللام) يضاف إلي ذلك الإشارة إلي إسم الفاعل لإثبات التهمة (إنكم لسارقون) و هنا نجد عدة ملاحظات :

الأولي أن الأذان لم يقع مباشرة علي الفور بعد أن جهزهم بجهازهم بل كان علي التراخي الذي يفيد حرق العطف (ثم) .

الثانية أن الإتمام موجه إلي كل العير و لم يوجه إلي أبناء يعقوب .

الثالثة : أن أبناء يعقوب و حدهم هم الذين إستفدوا من الإتمام , و كان في تصرفهم بمجرد سماعه ما يفيد إستنكاره و كان هذا التصرف منهم (قالوا و أقبلوا عليهم ...) مستفهمين عما فقد و ليس عما سرق (قالوا و أقبلوا عليهم ماذا تفقدون ؟) فالمؤذن يقول (.... إنكم لسارقون) و أبناء يعقوب يقولون (... ماذا تفقدون) لأنهم لا يتصورون أن تكون همة السرقة موجهة إليهم

نقل الرد من تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) باختصار : ذكر العلماء الجواب عنه وجوهاً:

الأول : إنه عليه السلام لما أظهر لأخيه إنه يوسف عرض عليه الفكرة ليستبقه ورضى أخوه بأن يقال في حقه ذلك ولم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فنخرج من كونه ذنباً

الثاني : - أن المراد أنكم لسارقون يوسف من أبيه وذلك من المعاريض

الثالث : - ربما ذكر النداء على سبيل الاستفهام فيخرج من كونه ذنباً

الرابع : - ليس في القرآن إنهم ادوا ذلك عن أمر يوسف فيكون ظاهر الحال إنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لإنهم لما طلبوا السقايه ولم يجدوها وما كان هناك أحد الا هم غلب على ظنهم إنهم هم اللذين أخذوها .

ثم نقف لتتدبر (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) .

والزعيم هو الكفيل فهذه الاية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم

ولكن كيف تحمل الكفاله لما لم يجب لأنه لا يحل للسارق أن تأخذ شيئاً (جمالة) على رد السرقة .

الإجابة : - لعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم .

(قالوا تالله قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) دخول التاء على لفظ الجلالة عند القسم يقصد به التعجب أى أن اخوة يوسف أقسموا إنهم مندهشون لاقامهم بإنهم يسرقون وأن الكل قد علم عنهم إنهم لم يأتوا بغرض الافساد بسرقة أو غير ذلك، لم يسبق أن اقمهم أحد بمثل هذا الاقام

قال المفسرون : حلفوا على أمرين :

أحدهما : على إنهم ما جاءوا ليفسدوا في الأرض لأنه ظهر من أحوالهم إنهم كانوا لا يربون على أحد ظلماً وإنهم وضعوا الأكمة على أفواه إبلهم حتى لا تأكل من زروع الناس وإنهم كانوا مستقيمين في تصرفاتهم ويوظفون على أنواع الطاعات وما يعرف بالنظام العام

الثاني : إنهم ليسوا بسارقين ويشهد لهم بذلك إنه لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم عادوا بها من بلادهم الى مصر ليرجعوها .

(قالوا : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين)أى فما جزاء الفاعل إن بان كذبكم ؟

(قالوا جزاؤه من كان في رحله فهو جزاؤه)

كان يوسف يعلم شريعة ال يعقوب وأن من يضبط بسرقة يسترى أو يظل في خدمه من سرقة ولما كان يوسف يهدف أن يستبقى أخاه معه لذلك تركهم يصدرن الحكم على أنفسهم فنتقوا هم بما يرضون من الحكم (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه)

وأكدوا هذا الحكم ورضاءهم به بقولهم (.... كذلك نجزي الظالمين)

لأن شريعة الملك التي كان يعمل بها في مصر هي كما قال قتاده

" كان حكم الملك الضرب والغرم ضعفين ولكن شاء الله أن يجرى على ألسنتهم حكم بنى اسرائيل (٦) عندئذ أمر يوسف بتفتيش العير

ولكن من أين يبدأ ؟ (فبدأ بأرعيثهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف)

عن قتاده إنه قال : " كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تائباً مما كذفهم به , حتى إنه لم يبق الا أخوه قال ما أرى هذا أخذ شيئا .

فقالوا لا تذهب حتى تفحص عن حاله أيضا , فلما نظروا في متاعه استخرجوا الصواع من وعائه , والقوم كانوا قد حكموا بأن من سرى يسترى , فأخذوا برقبته وجروا به الى دار يوسف ولا يخفى أن بدء التفتيش بأرعيثهم وهم عشرة قبل وعاء شقيقه كى ينتفى احتمال ظنهم بأنه طلب منهم أن يأتوا بأخيهم معهم ليدير هو هذا الأمر ويذكر العهد القديم إنه فتن مبتدئا - الكبير حتى انتهى الى الصغير -

(وكذلك كدنا ليوسف) أى تم تدبير الامر لصالحه ولكن هل يحق ليوسف أن يأخذ أخاه في دين الملك ؟

يجيب القرآن على ذلك بقوله تعالى:

(... ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)

أى ما كان ليأخذ أخاه بظلم بلا حجة ويدخله في سلطان الملك الا أن يشاء الله أن يجعل السقاية في رحله تعلقة وغدرا له .

ويقول صاحب الظلال: النص القرآني هنا يحدد (دين الملك) بأنه نظام الملك وشريعته.

ونظام الملك وشريعته ما كان يجعل عقوبة السارق هو أخذه جزاء سرقته ا.هـ.

وهنا وقفة هامة إذ تثير مسألة في غاية الأهمية وهي إذا ارتكب اجنبي جريمة فأى القوانين

تطبق عليه؟

هل قانون بلده..... أم قانون الدولة الموجود هو علي أرضها وتمت الجريمة فيها؟

الإجابة هذا التساؤل حسمتها في العصر الحديث الاتفاقيات الدولية ودرساتير الدول
وكتب فيها فقهاء القانون فيما يعرف بتنازع القوانين ، والأمر المستقر عليه حسب نص القانون
المادة ١٥١ الدستور المصري لسنة ٧١ علي أن:

(أن المعاهدات لما قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقاً للأوضاع
المقررة).

أي أن القاضي لا يطبق القاعدة الجنائية الدولية إلا إذا أفرغت في قاعدة داخلية ينظمها
القانون الداخلي المصري .

أما في فرنسا وهولندا أن القاضي يقدم الأولوية للقواعد الدولية علي القواعد الداخلية
لأن دستوره قد ألزمه بذلك .

ولكن بالرجوع إلي نص الآية (..... ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء) أي
ما كان ليوسف أن يطبق علي أخيه القانون المصري (دين الملك) إلا برضاه وموافقة أخيه باعتباره
الجنائي فما الأسباب لذلك؟.

الإجابة: تتناول الفراضات أو اجتهادات عديدة منها:

الأول: أن شريعة أو دين الملك هو قانون وضعي ولا يريد أن يخضع أخوه له لأن آل
يعقوب لهم شريعة إلهية يحكمون إليها.

الثاني: أن شريعة الملك كانت تقضي علي الجنائي بالضرب والغرامة ، وليس لدي بنيامين أن
أخوته ذلك المال ، وهو لا يرضي لأخيه الضرب لما فيه من مهانة واذلال.

الثالث: في تطبيق شريعة آل يعقوب استبقاء لبنيامين لدي يوسف وهو ما يتمناه .

الرابع: إنه عرف بنيامين بنفسه ، وبما ينتوي فعله فكيف بعد ذلك يعرضه للمهانة.

الخامس: ليكون في ذلك (آية للسائلين) أي القوانين أو الشرائع تطبق في أي مكان
الشرعية الحققة أي شريعة الله وليست دين الملك. أي ملك بذلك يمكن القول أن يوسف
عليه السلام كان أسبق من كل رجال القانون في وضع قاعدة (تطبيق القانون الأصلح للمتهم) .

السادس: إنه يعطي الآية والعبرة لكل القضاة والمسؤولين الذين يتعرضون لحاكمة الضعفاء،
أن لا تكون الحاكمة إلا أمام القانون العادل والقاضي الطبيعي فلا محاكمات استثنائية ولا قضاء
خاص إلا إذا اختاره المتهم كما فعل يوسف مع اخوته اذ قال له " ما جزاؤه إن كنتم كاذبين" ما
جزاء الفاعل إن بان كذبكم وكان هو الفاعل (قالوا جزاؤه من كان في رحله فهو جزاؤه) حقاً .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

وحقاً (.....) نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم علمه) .

أي إنه تعالى رفع درجات يوسف على أخوته في كل شيء .

وان أخوة يوسف كانوا علماء فضلاء الا أن يوسف كان زائدا عليهم في العلم .

ذلك لأن يوسف كان أعلم منهم , وأتم رأيا وأقوى عزما وحزما , وإنما فعل ما فعل عن
امر الله له في ذلك , لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك , من قدوم أبيه وقومه
عليه وولدهم عليه

إن إحتجاز يوسف لبنيامين على إنه هو الذي وجد الصواع في رحلة وكيف سيواجه
إخوته أبيهم بدون بنيامين كان حكمة بالغة بتوجيه الله ليوثق ضمائرهم ويستدعي ما فعلوه بيوسف
من ذآكرتهم فأصبح يملك عليهم كل تفكيرهم بعد طول نسيان , فرجما تمثلت أمام أعينهم تلك
المأساة التي تسببوا فيها ليوسف وهو في قاع الجب وضيق جدرانه من حوله وربطوا بينه وبين
موقفهم الحالي وما هم فيه من ضيق المأزق , ولا بد إنهم فهموا مدى التطابق بين الموقفين .

ولعل كان هذا نوعا من العقاب لضمائرهم التي لم تتألم حالما فعلوا بيوسف ما فعلوا .

ولعل كان في ذلك كسر لغرورهم بقوتهم وكثرتهم , فهم الذين تكرر منهم قولهم (ونحن
عصبة) ورميهم أبيهم بالضلال (إن أبانا لفي ضلال مبين) فالיום هم هم نفس العصبة , وهم هم
اليوم الذين في (الضلال المبين) لأنهم لم يجدوا ما يدافعون به عن أنفسهم إلا أن يقعوا في الضلال
المبين وخاطنوا في يوسف بأن:

(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل).

قضية شرطية أثارها أخوة يوسف , تعليلا لسرقة بنيامين وتبرأة لساحتهم منه ومن السرقة
....إنها صفة مشتركة فيه وفي أخيه هكذا هما أبناء راحيل....فقد سرق أخ له (أى يوسف من
قبل !!) أى إنه اقتدى بشقيقه يوسف ولم يقتد بنا لأنه ليس من أمنا !!

فهل سرق يوسف من قبل ؟

لم يعين القرآن ذلك ولكن المفسرين تعرضوا له وما ذكر في اسفار العهد القديم .

وقد اختلفوا في السرقة التي نسبت الى يوسف في عدة روايات :

أحدى الروايات : بعد وفاة راحيل والدة يوسف عاش مع عمته التي أحبته جدا , وحين
ذهب أبوه ليسترده أخفت عمته منطقة اسحاق (التي آلت اليها باعتبارها الاكبر سنا الذى له حق
الميراث حسب شريعتهم) في ثياب يوسف وأدعت أن يوسف سرقها وبذلك استبقته معها حيث كان
المعمول به في شريعة ال اسرائيل أن من يضبط بسرقة يسترق أو يظل في خدمة من سرقة.

الروايه الثانية : أن عمته امرته بأن يسرق صنما لجدته أبى أمه فسرقه وكسره والقاه على
الطريق.

بدافع تغيير المنكر حتى لا يعبد .

الروايه الثالثة : إنه كان مع أخوته على طعام , وكان يسرق من الطعام للمساكين .

الروايه الرابعة : إنهم كذبوا على يوسف فيما نسبوه الى يوسف أخيهم ليدفعوا الشبهة عن
أنفسهم بالسرقة , والله أعلم .

(فأسرها يوسف في نفسه ولم ييدها لهم).

فلم يكن من المناسب أن يرد عليهم ويفند اقوالهم , فآثر أن يبقى كل شيء يسير الى نهايته
, وإن كانت نفسه حدثته برأيه فيهم , قائلًا بينه وبين نفسه (أنت شر مكانا والله أعلم بما تصفون).

أى أن الله يعلم سلوكهم, سلوك اخوة يوسف التي اقتدي بها بنوا اسرائيل وأصبحت فيهم
طبيعة للغدر واختلاق أسباب براءتهم , والظعن على الغير , بل التخلي بعضهم عن بعض إن كسانه
لبعضهم مصلحة في ذلك .

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين).

والتاريخ القديم والحديث ملئ بالأمثلة على ذلك ومنها :

إنهم مروجون للفتن مشعلون للحروب , ودورهم في إشعال الفتن بين القبائل العربية في يثرب قبل الإسلام معروف , وأشهرها دورهم في إشعال الفتن بين الأوس والخزرج حتى بعد الإسلام في المدينة معروف .

ودورهم في إشعال الحرب العالمية الأولى والثانية خير شاهد في العصر الحديث , ودورهم في تحريض الولايات المتحدة على ضرب العراق غير منكور وأيضا تحريضهم الولايات المتحدة على ضرب إيران جارى على قدم وساق وفي كل يوم يقدمون الأسباب المختلفة المختلفة . وهم خونة يغدرون حتى بمن يقدمون لهم المساعدات والخدمات فهم جبلوا على الخيانة واشربوها .

(ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم).

وأحداث إغراق المدمرة (ليرتى) الأمريكية أثناء عدوان ١٩٦٧ معروفه وأحداث التجسس على المتكررة على أمريكا غير خافية !!

في طبعهم أن ينقلبوا على أى أحد حتى لو كان منهم وما إنقسامهم الى فرق وطوائف تلحن كل طائفة الأخرى إلا أوضح دليل.

ولفضيحة لافون بين قياداتهم في كيانهم الحالى معروف إذ تآمر فريق من قادتهم على الفريق

الأخر .

ونعود الى أخوة يوسف بعد استخراج صواع الملك من رحل بنيامين , وجهوا اللوم الى أخيهم بنيامين ورموه بالسرقة اتباعا لسلوك أخيه يوسف وبرأوا ساحتهم من السرقة وأنهم يأسفون لذلك الموقف المخجل وهم يقرون ويوافقون على العقوبة التى افترضوها هم (فهو جزاؤه).

الانسان النقي النقي السليم الطوية حسن النية ، ليس في حاجة إلى تأكيد براءته.... لماذا؟

لإنه يري صفحته بيضاء ناصعة ويرى نفسه البريئة بوضوح ولا يتصور إلا أن الناس أيضاً

تراه علي هذه الصورة وبذلك الوضع.

أما الانسان الذي يرتكب الجريمة..... فعلي العكس من ذلك وكان هذا هو حال

أخوة يوسف فعندما قالوا (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) آية ٧٧ فلأنهم افترو

الكذب بسبب ما بقي في قلوبهم من حقد دفين علي يوسف رغم كل ما فعلوه به، إذ الحقد مرض

خبيث يتمكن من النفس المريضة وبمرور الوقت لا يزداد إلا نموا.

فمن يرتكب جريمة تظل صورتها ماثلة في عقلة متفاعلة في شعوره حتى يأتي أو يحدث ما يذكر الكل بما فتطفو علي السطح فيبدو ما كان فيه في سلوكه وتصرفه ، في أقواله وأفعاله، ويكون في حالة قلق نفسي لذلك يكره ضحيته التي سببت له هذا القلق رغم البعد الزمني للجريمة خصوصا إذا وجد ما يذكره بها. ومن هنا أو لهذا السبب فإن أخوة يوسف اتمموا يوسف بالسرقة (إن يسرق فقد سرق له أخ من قبل) لماذا؟.

لكي يبرروا لأنفسهم ما ارتكبوه ضده لعل في هذا الاتهام ما يخفف عنهم أو يريحهم شيئا ما من وزر الجريمة.

ولنمنع النظر فيما ارتضوه عقوبة للسارق:

" قَالُوا جَزَاءُ هُوَ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾

شهود واقعة استخراج صواع الملك ثلاثة :

* يوسف

* أخوة يوسف وبينهم بنيامين

* الملك ورجال الملك

هؤلاء الثلاثة اطراف شهدوا صواع الملك من حمل بنيامين ، وقوانين ملك مصر كانت لاتقضي باستبعاد من يسرق (أي لا يؤخذ من يسرق عبداً بذنبه) .

ولكن تقاليد آل يعقوب هي التي كانت تقضي بذلك.

وفي دفاعهم - أخوة يوسف - عن نفسهم قالوا (لأن يسرق فقد سرق أخ لهم من قبل) .

إذا سرنا مع التاريخ بعد ذلك وصل بنا إلي أن أبناء يعقوب (الذين سرقوا يوسف) .

أصبحوا (بحسب قوانينهم) عبيد عند فرعون ثم خضعوا لعبادة إله الشر (ست) وهو دين

ملوك الهكسوس ، حكم عليهم بنفس القانون الذي قضوا به علي بنيامين.

ولعلمهم تذكروا موقفهم أمام أبيهم والعهد الذى قطعوه على أنفسهم أمامه , وما كان منهم سابقا مع يوسف .. فراجع موقفهم ... , وأخفضوا رؤسهم وتقدموا بذلة وإنكسار متضرعين متذللين مستعطفين الى العزيز (يوسف) :

(قالوا ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبير فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين).

وهذه الآية تعرض استعطاف أخوة يوسف وتوسلاتهم مركزة على أمرين:

الامر الاول: (أن له أبا شيخا كبيرا) وكما فى تفسير الشيخ الشعراوى , قد تكون ترفيحا بالعزة: أى إنه له أب شيخ عظيم فى قومه , وحين يبلغه ان أبه احتجز من أجل سرقة , فهذا أمر مؤلم ولك أن تقدر ذلك وأنت عزيز فى مصر , وترجوا أن تحفظ للاب شرفه ومجده وعظمته , واستر ذلك الآن من أجل خاطر ومكانة والده.

أما الترفيق بالضعف: أى أن يكون قولهم مقصود به أن الاب شيخ مهدم لا يتمتع الصدمة وخصوصا أن له أبنا قد فقد.

أما الأمر الثانى: (... فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين) فهم يعرضون عرضا آخر بان يأخذ بدلا منه

وسألوه أن يتم احسانه عليهم فقد أحسن استقبالهم وسبق أن أنزلهم مـرلا كريما و..... الخ.

ومن يفعل ذلك لا يهن عليه بان يستجيب لرجائهم , بان يأخذ واحدا منهم بدلا من أخيهم الصغير.

فهل أجدت هذه الترفيقات أو غيرت من موقف يوسف شيئا ؟ قبل ان نتعرض لرد يوسف عليهم , تجدر بنا ان نقف لنحلل طريقتهم التى اتبعوها فى التفاوض مع يوسف لنلقى الضوء على طريقة تفاوضهم للسائلين عنها

((لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين))

الاسلوب الذى يتبعونه فى التفاوض يختلف حسب حالتهم من القوة او الضعف:

إذا كانوا فى موقع القوة : فالفطرة العشومة والتجرب بغير حدود والتكبر بكل ابعاده واعماقه....

فيذهبون الى اقصى مدى فيه مما لا يمكن قياسه على اى متجبر متكبر آخر وخير شاهد على ذلك فى تاريخهم القديم ما تعرضه اصحاحات اسفار عهدهم القديم ابتداء من أعمال يوسع بن نون وحتى فى عهد المسيح وبعده فى عصر الاسلام وفى العصر الحديث وحدث ولا حرج عما يحدث فى فلسطين وما حدث للأسرى المصريين فى اعتداءات سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

والحديث فى ذلك يسيل ويطول ...

وإذا كانوا فى موقع نضعف : فالتذلل والاستعطاف ووضع الحدود على الارض ... وتقبيل الأرجل قبل الايدى .. وخير شاهد على ذلك فى تاريخهم القديم تسابقهم فى تقديم فروض الطاعة لتيطس الرومان وانقسامهم على بعضهم.

وكذلك كان بعد السبي وعودة اليهود إلى فلسطين ظلت يهوذا والسامرة تحت سلطة ونفوذ الأشوريين وقرر أحد ملوك يهوذا (حزقيا ٧١٥ - ٦٨٧ ق.م) عدم دفع الجزية لآشور فإستاء سنحريب ملك آشور وتفرغ ليهوذا فدمر أكثر من أربعين من مدنها المحصنة وفرض حصارا على حزقيا وبقيّة جيشة داخل أورشليم وإنتهى الأمر بحزقيا إلى طلب الصلح مع سنحريب بكل الشروط التي طلبها سنحريب وقد أشارت الحفائر فى (لحيش) إلى بقايا ما يقرب من (١٥٠٠) جثة يعتقد إنها نتيجة إحدى المذابح التي قام بها سنحريب فى المنطقة وكان من شروط الصلح إن استقطعت أجزاء من يهوذا وأعطيت لملوك أشدود وغزه ، والزّم سنحريب حزقيا بجزية مضاعفة وكما جاء فى العهد القديم:

" وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور إلى لحيش يقول قد أخطأت ارجع عني ومهما جعلت علي حملته ، فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك * فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك آشور" الملوك الثاني (١٨ (١٤-١٦)) ويقول بعض المتخصصين فى الدراسات اليهودية إنه لاسترضاء سنحريب فإن حزقيا " وهب أيضا بعض بناته كمحظيات لسنحريب وتم ارساهن إلى نينوى".^١

وفى العصر الحديث تذللهم للخليفة العثمانى ثم جريهم وسعيهم وبكائهم على اعتبار الغرب ليجعل لهم كيانا عنصريا يجمعهم .

^١ رقم د/ محمد خليفة حسن التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم ص ١١٢ كلية آداب القاهرة .

فاسلوب التفاوض مع الغير محكوم بمدى قوتهم أمام قوة الآخر , ففي حالة التفاوض مع يوسف كانوا هم الأضعف , الاذلاء فبدأوا بالمسكنة , واظهار الذلل والضعف من جانبهم والاشارة والمدح لموقف العزيز الكريم السخى الحسن لعل ذلك يجد طريقة الى قلبه , ويجيبهم الى طلبهم , فإن لم يحصلوا على طلبهم , فلتكن صفقة مساومة على امر اخر فيه الربح لهم ليس تاما ولكنه خير من عدمه وتمثل الصفقة استبدال رق (بنيامين) برق آخر (خذ احدنا مكانه) ويقول بعض المفسرين (القرطبي): قد قيل أن هذا مجاز , لانهم يعلمون إنه لا يصح اخذ حر يسترق بدل من قد أحكمت السنة عندهم رقه . وانما هذا كما تقول لمن تكرر فعله : اقلني ولا تفعل كذا ... وانت لا تريد أن يقتلك , ولكنك تبالغ في استواله , ويحتمل ان يكون قولهم حقيقة.

وبعض المفسرين (الفخر الرازي) يرى في قولهم (فخذ احدنا مكانه) يحتمل ان يكون المراد على طريق الاستبعاد , ويحتمل أن يكون المراد على طريق الرهن حتى نوصل الفداء اليك.

وعلى أى حال فهذا توصيف لسلوكيات بنى اسرائيل أن تأتي عروضهم أو اتفاقاتهم أو مساوماتهم أو كل تعاملاتهم مع الغير بصيغ مبهمه تحتمل التأويلات , فالغموض شأنهم قديما وحديثا لأنه من طباعهم المتوارثة.

وعن نماذج المسكنة والاستذلال عند ضعفهم ما نقرأه في الاصحاح الرابع والاربعين من سفر التكوين (١٤ : ٣٤) بعد ان وجد الوعاء في رحل بنيامين وكنتفى بتقل بعضها :

((١٤ فدخل يهوذا واخوته الى بيت يوسف وهو بعد هناك , ووقعوا امامه على الأرض ١٥ فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذى فعلتم . لم تعلموا أن رجلا مثلى يتفاءل ١٦ فقال يهوذا: ماذا نقول لسيدي .. ماذا نتكلم , وبماذا نترير . الله قد وجد إثم عبيدك . ها نحن عبيد لسيدي ,

٢٧ فقال لنا عبدك أبي أنتم تعلمون أن امرأتى ولدت لي اثنين

٣٣ فالأن ليمكث عبدك عوضا عن الغلام عبدا لسيدي))

ولنعرض رد يوسف عليهم كما جاء في القرآن الكريم, إذ قال :-

(معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا اذا لظالمون)

انقطع أمهلهم في خلاص بنيامين فماذا يفعلون ؟

(فلما استئتموا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ٨٥).

كان تصرف يوسف تصرف الواعي الحصيف إذ جعل حصوله علي أخيه شرطا و ثمناً بحصولهم علي الميرة و لفته الدرس و العبرة فجعلهم يقبلون ما يريد وهم كرهون وتركهم يعودون بدونهم و لما قدموا كل الوان التذلل والمرفقات ولم يستجب لهم واستئتموا .

وكأنهم بذلك يلحون على اليأس أن يأتيهم , لأنهم لم يجدوا أى بارقة أمل عندئذ (خلصوا

نجيا)

أى انفردوا جانبا بعيدا عن الاعين(وتناجوا) أى تشاوروا وإلى أى شئ انتهوا ؟

(قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ٨٥).

إن كبيرهم الذى تعهد لايه بسلامة بنيامين وعودته وقع فيما حذر منه ولا يستطيع أن يواجه الموقف ففضل الانسحاب السلبى ، أن يبعد عن ميدان المواجهه ويعرض أخوته لمواجهة أبيهم ... هو موقف سلبى لا يدل على نضج حسى حقيقى وإن كان ظاهره لا يدل على ذلك ولكنه تصرف ينجى خلفه جن وإنهزامية كيف؟.

أولا:- قرر عدم مشاركته فى المواجهة (فلن أبرح الارض).

ثانيا:- ترك غيره يتصدى بها وهم أخوته .

ثالثا:- نسى وقع الصدمة على أبيه عندما يعلم بفقد بنيامين .

رابعا:- يزيد من قسوة الألم الذى يلم بأبيه اذ يذكره يوسف اخي بنيامين .

خامسا :- يتصاعد هذه القسوة على الأب عندما يجد أن ابنه الكبير ليس بجانبه وإنه فقد

ولعله لحق بنيامين ويوسف .

لكل هذا نقول إنه بالتحليل الدقيق لما قاله كبيرهم هو فعلا ما يتصف به السلوك العام

لبنى اسرائيل الهروب من المواجهة اذا كانت قاسية .

ثم إنه يريد أن يتملص من المسئولية حتى أمام أبيه فيقول له

(فَلَمَّا اسْتَيْسُّوْا مِنْهُ خَلَصُوْا بِحَيِّطٍ قَالَتْ كَيْفَ لَهُمْ اَلَمْ تَعْلَمُوْا اَنْ
 اٰبَاكُمْ قَدْ اَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْتَقًا مِّنَ اللّٰهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِيْ يُوْسُفَ فَلَنْ اُبْرَحَ
 الْاَرْضَ حَتّٰى يَأْذَنَ لِيْ اَبِيْ اَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ لِيْ وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ ﴿٨٠﴾)

وهنا يوجه له (أي بقية أخوته) اللوم وحدهم (ومن قبل ما فرطتم) أي لا يضع نفسه
 معهم فقال (ما فرطتم) ولم يقل (ما فرطنا) صحيح أن ضميره يؤنبه علي عدم منعهم
 فرغم تائب الضمير منذ كانت الواقعة ولكنه لن يتخذ موقفاً إيجابياً.

ويكون السؤال بعد ذلك :

وهل سيقبل أخوته ذلك منه ؟

الاجابة نجدها عند هذا الكبير الذي خطط لهم ما سيفعلونه عند لقائهم بدونه مع ابيهم
 وكانت نصيحة بل نستطيع القول إنه وضع لهم الكلمات على لسانهم التي سيقولونها لابيهم كانت
 نصيحته والكلمات التي حفظها لهم : (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق , وما شهدنا
 الا ما علمنا وما كنا للغيب حافظين ٨١) حفظهم أن يقولوا لأبيهم إن ابنك قد سرق (وأي قراءة
 سُرقَ بضم السين وتشديد الراء مكسورة) وأخذه العزيز طبقاً لشريعتنا , ونحن لم نشهد عليه سرقة
 ولكن نشهد أن صاع الملك وجد في رحله , وأخرجه فتیان العزيز من رحله ولا نعلم كيف وضع
 فيه؟.

ولكن كبيرهم يعرف أباه جيداً ومن الطبيعي أن يكذبهم ولما لم ينس حادثة يوسف (وهو
 الدم الكذب) فإنهم الآن سيقدمون دليلاً صادقاً ليس بلسانهم بل يقولون له : (وستل القرية السقى
 كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون) آية ٨٢

و هنا لا بد من وقفة تأمل في نص الآيتين ٨٠ , ٨١ لإثباتهما يضعان الأساس لما يجب أن
 تكون عليه الشهادة والإستدلال في القضاء

(لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)

عن أصول الشهادة وكيف تكون ففي الآية ٨٠ (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك

سرق)

وفي قراءة (سُرُق) فيجب أن تكون الشهادة منصبة علي ما وقعت عليه المشاهدة فعلاً أي الرؤية بالعين و ليس السماع أو النقل عن الغير فهم لم يرون بنيامين يسرق و لكنهم رأوا الصاع يُخرج من رحله و لم يعلموا من هو السارق ... وكيف وضع الصاع في رحله هكذا قيل له و نادى المؤذن (أذن المؤذن العير إنكم لسارقون) هذا ما وصل إلي أسماعهم وإخراج الصاع من رحل بنيامين هذا ما شهدته عيونه ولكن لم يتيقن إليهم ولم يشاهدوه وهو يسرق .

و قد وضع علماء المسلمين شروط للشهادة هي (الوضوح و المطابقة و ألا يكون علي النفي المحض بل علي العلم و الجزم - لقول رسول الله صلي الله عليه و سلم .. (هل تري الشمس؟ علي مثلها فأشهد أو دع)^(١) وفي الآية ٨١: وإسأل القرية التي كنا فيها و العير التي أقبلنا فيها و إنا لصادقون) تحويل الاستدلال إلي شهادة القرية و المقصود بهم القافلة التي كانت تصاحبه و نفذ إخوة يوسف ما خططه فهم كبيرهم: - و صدم يعقوب عليه السلام ... فماذا قال ؟ .

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي

بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥١﴾)

كيف تصرف يعقوب بعد هذا الخبر ؟

قابل يعقوب هذا الخبر بثلاثة مواقف :

الموقف الاول: - كما سبق له إنه إرتاب في تصرفهم و أستلهم الصبر من الله و عادت به ذاكرته إلي يوم أن جاءوا له بقميص يوسف (و عليه الدم الكذب).

و قال لهم: (بل سولت لكم انفسكم أمراً فصبر جميل)

لم يعبا يعقوب بما إستند إليه أبناؤه من أدلة هي :

- سؤال أهل القرية (وأسأل القرية).
- سؤال أهل القافلة و العير .
- صدق قولهم المبني علي المشاهدة.

(١) محمد جواد مغنیه - أصول الإثبات في الفقه الجعفري ص ٦٩ - دار العلم للملايين - بيروت

والسبب في ذلك تجربته معهم يوم أن جاءوا له بقميص يوسف عليه (الدم الكذب)
فإنطباع الكذب عليهم أسقط كل أدلتهم - وواجههم برأية فيه:

(بل سولت لكم أنفسكم أمراً)

و الحل عنده فصبراً جميل

صبر جميل يستلهمه من الله لأن :

• ولد جديد قد إختفى ... شقيق ولد سبق أن إختفى فكان تعميق جرح لم يندمل.

• أبنائه وسنده .. جبهته الداخلية ... زادت فيها عدم الثقة وتصدعت.

• في هذا الجو المشير للشكوك و الريبة عليه أن يحافظ علي كيان الأسرة من التفكك
والتشرذم بل والسقوط إلي الهاوية ... فلا بد له من حكم التصرف بحنكة وحكمة إن
لم يمنحها الله له لآل الأمر كله إلي الضياع .

وهذا الصبر الجميل الذي طلبه من الله أمدته بقوة نفسه زادت من يقينه وتفاؤله , ما أجمل
حسن الظن بالله في أصعب الأوقات و أخرج اللحظات ؟

هنا يقول يعقوب عليه السلام (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) نفس العبارة قالها عندما قال
له أبنائه عن يوسف (.....) وأكله الذئب) و لكنه أردفها بقوله: (فصبر جميل و الله المستعان علي
ما تصفون) وفيها معنى التكذيب و التآمر فلم يصدقهم أن الذئب أكله ... ولكن في واقعة بنيامين
أردف القول: (عسى الله أن يأتيهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم) ٨٣ .

قال بعضهم ليس المراد منه هنا الكذب و الإحتيال , لكنه عني سولت لكم أنفسكم
إخراج بنيامين عني والمصير به إلي مصر طلباً للمنفعة فعاد لذلك شر و ضرر , وألحتم علي في
إرساله معكم و لم تعلموا أن قضاء الله إنما جاء علي خلاف تقديركم.

وقيل: بل المعني سولت لكم أنفسكم أمراً , خيلت لكم أنفسكم إنه سرق , وما سرق^(١)

الموقف الثاني : - توجه الي الله داعياً اليه قائلاً:

(... عسى الله ان يأتيهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم):

يقين المؤمن بربه المتوكل عليه يعلم أن اليسر قانون إلهي بعد العسر

(١) محمد علي أبو العباس مرجع سابق ص ٦٣

وهنا دعا يعقوب الله ان يأتيه بهم جميعا .. بالثلاثة أبناء وليس بهما فقط (يوسف وبنيامين) بل أيضا يابنه الاكبر .

الموقف الثالث:- إنه اعترهم ، فخلا إلى نفسه ويتأسف ويتحسر على أولاده.

(وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف واييضت عيناه من الحزن فهو كظيم).

أي أعرض عنهم ، والإعراض عن المخطأ إنما هو عقاب وذجراً له ، فالمخطأ يألم نفسه أن يكون معرضاً عنه ، لأن فيه معنى فرض عزل إجتماعي عليه، فيه قطع علاقات معه ولو مؤقتاً ، فيه تأنيب نفسي له يراجع موقفه و يتحسس موقعه الإعراض فيه تسفيه وإحتكار لتصرف المخطأ ، وإنه لا يستأهل العتاب أو المناقشة والحوار ، الإعراض رفض لتصرفات المخطأ بالكلية دون ضجيج أو جدال.

وفي الوقت نفسه فيه إبقاء علي خيوط العلاقات الإنسانية ممدودة و إن كانت مرتحية موجودة ولكن مع إيقاف التنفيذ ... لذلك (تولي عنهم) (.....) وقال يا أسفى علي يوسف).

الواقعة التي أخبر بها يعقوب هي (أخذ بنيامين في صواع الملك) فما بال يعقوب لا يذكر بنيامين و يذكر يوسف و يتأسف عليه ؟

إن ما حدث لبنيامين هو الجرح الجديد ... النازف أما واقعة يوسف فهي جرح قديم آن له أن يندمل و ينسى أو علي الأقل يقدم عليه أسفه علي بنيامين ! .
ولكن أسف يعقوب في هذه الحالة علي يوسف دون بنيامين له أكثر من مغزي و أكبر من دلالة .. لذلك :

* إنما رسالة شديدة اللهجة عميقة المغزى مفادها إنهم أخطؤوا قديماً وأخطؤوا حديثاً ، فسلوكلهم قائم علي الخطأ .

* إنما رسالة شديدة اللهجة عميقة المغزى مفادها أن خطاهم في حق بنيامين أيقظ في ذاكرته خطاهم في حق يوسف فهو لم ينس بنيامين بل شمله أسفه و لم ينسائه ... كما لم ينسئ يوسف .

* إنما رسالة شديدة اللهجة عميقة المغزى مفادها الإستغناء عن الجدل معهم إذ لا يفيد جدالهم أو قبول أعذارهم لذلك فهو منكر لأفعالهم حزين لسلوكلهم .

(... وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) ٨٤.

هو حزين ... نعم ... ولكنه ليس ساخط علي قضاء الله , فالحزن والبكاء في المصائب من أدوات التنفيس عن مكونات المشاعر الإنسانية , ولا بأس أن يعبر عنها بمشاعر الحزن والأم والبكاء , و لكن مع التسليم والرضا بقضاء الله لذلك (فهو كظيم) أي يمنع غضبه أن يثير السخط في القلب أو يطلق اللسان بما يغضب الرب .

نعم كانت عينيه تدمع وقلبه يحزن ولكنه صابر محتسب لا يقول ما يغضب الله وذلك معنى قوله فهو كظيم أي صابر على ما بنفسه من الفيظ أي مغموم يتردد حزنه في جوفه .

ولما رأى أبنائه وأحفاده ذلك منه لاموه وأرادوا أن يخرجوه مما هو فيه (قالوا تا الله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين).

قالوا له ستظل تذكر يوسف حتى ينحل جسدك وتضعف قوتك حتى تشرف على الهلاك أو تملك فعلا.

فماذا وكان رده عليهم ؟

(قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون).

لست أشكو اليكم ولا لأحد من الناس ما أنا فيه , إنما أشكوه الى الله عز وجل , وأعلم أن الله سيجعل لي مما أنا فيه مخرجا (وهذا من حسن ظنه بالله) وأعلم أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع , ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما رأى ولهذا قال (وأعلم من الله ما لا تعلمون).

رفض مشاعرهم نحوه .. و مشاركتهم الوجدانية لهم لنصيحتهم إليه بالتوقف عن تذكر يوسف حتى لا يكون حرضا أو يكون من الجاهلين ... إلتفت عنهم

(قال إنما أشكو بثي إلي الله) لأن الله هو العليم بحاله الرؤوف به

(و أعلم من الله ما لا تعلمون) فهذه المشاعر إنما هي بينه وبين الله تعالي و يرفض تدخل أبنائه فيها ... و دلائل الصبر و اليقين برحمة الله و التسليم له أن يعقوب لم ينس إنه نبي و له رسالة ففي هذا الوقت العصيب عليه فإنه يعلم أبنائه أسس العقيدة الصحيحة و هي الرضا بالقدر و عدم السخط بالفعل أو القول ولا يشتكي الله للناس و لكن شكاه بته و حزنه إلي مولاه العليم القادر الحكيم و لتأمل قول يعقوب عليه السلام

(وأعلم من الله ما لا تعلمون) فهو يشير إلى قصور عقول أبنائه عن فهم جوهر الأمور وفي نفس الوقت فهو ينسب مصدر العلم إلى علام الغيوب عز وجل وهذا ما سبق وأكدته ربه بقوله تعالي (إنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ٦٨ أي أكثر الناس لا يعلمون مقصود الله تعالي وقد تردد قوله تعالي:

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) في سياق الآيات في أكثر من موضع:

١- في سياق التعليق علي شراء العزيز بيوسف (... و الله غالب علي أمره و لكن أكثر

الناس لا يعلمون) ٢١

٢- في سياق التعريض بعبادة الأصنام و الدعوة إلى التوحيد (... ذلك الدين القيم و لكن

أكثر الناس لا يعلمون) ٤٠

٣- في سياق الكلام عن علم يعقوب (... و إنه لذو علم لعلمناه و لكن أكثر الناس لا

يعلمون) ٦٨

٤- في سياق طلب يعقوب من أبنائه أن يبحثوا عن يوسف (..... وأعلم من الله ما لا

تعلمون) ٦٨^(١) و من الملاحظ أن هذه العبارة تكررت في ما يقرب من ٢٠ آية في القرآن الكريم.



(١) د/ أحمد عطوه إبراهيم مرجع سابق ص ٣٢٢ يتصرف

الفصل الخامس

عودة إخوة يوسف واللقاء الثالث

(يَبْنِي آذَهُبُوا فَتَحَسُّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ^ط
إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا
يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوَفَّ لَنَا الْكَيْلَ
وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا^ط إِنَّ اللَّهَ حَزَبِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا
يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا
لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ آذَهُبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾)

طلب يعقوب من بنيه التسعة أن يذهبوا الى الموضع الذى جاءوا منه ليبحثوا ويعرفوا خبر
(يوسف وأخيه) وتحسسا أى باستخدام جميع وسائل الحس بأقصى ما فيها من إمكانيات.

ولم يذكر أحاهم الاكبر لقناعته أن يوسف وأخاه إنما غيبا قهرا وليس يارادهما , أما
الاكبر فإنه تغيب يارادته وأختياره وهو يستطيع العودة متى شاء. ونصح يعقوب أبناءه وقوى فيهم
الجانب الروحي فبث فيهم العزم واللجوء الى الله فلاستعانه بالله والتوكل عليه.

(لا تياسوا من روح الله , إنه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ٨٧)

فنصيحته لهم تتضمن أمرين:

اولهما : الأخذ بالاسباب (التحسس) .

والثاني : التوكل على رب الاسباب (لا تياسوا من روح الله) .

وهذا يجب أن يكون منهج كل مؤمن بالله

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين).

ونفذ الأبناء ما أمرهم به أبوهم يعقوب:

(فلما دخلوا عليه قالوا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا

الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ٨٨)

هذه الآية تتضمن ثلاث مسائل:

الأولى: بدأوا بتعظيمه وتفخيمه (يا أيها العزيز) مدخلا للاسترحام والاستعطاف (مسنا

الضر وأهلنا) أى الجوع والحاجة وأشرفوا على الهلاك , وتابع البلاء على أهلهم رجاء أن يرحمهم

ويعطيهم الميرة , وأن يرحمهم فى شأن اخيهم , وإثم رغم سؤ حالتهم وإحتياجهم جاءوا ببضاعة

(مزجاة) بدراهم أو ثمن لا يصلح ثمنا للطعام إلا بالتجاوز عنه لأن حاصل وصفها إنما إما قليلة أو

ناقصة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واصفارا لقيمتها.

كل ذلك إستعطافا له وإسترحاما من قبيل الترقيق واثارة الشفقة , وهو الاسلوب

السلوكى المتوارث الى الآن لبني اسرائيل اذا كانوا فى موقع الضعف والهوان .

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين)

الثانية: مبنية على الأولى وهى الرجاء بإبقاء الكيل (فأوف لنا الكيل) أى اعطنا بهذا الثمن

القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك , ولم يقتنعوا بهذه الطلبات بل زادوا على طلبهم (وتصدق علينا

إن الله يجزي المتصدقين) وهو يؤكد السلوك المعهود فى بنى اسرائيل فى رفع سقف طلباتهم وكلمنا

اجبيوا الى طلب زادوا من طلباتهم هل من مزيد .. !! ؟

((لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين))

الثالثة وهى مسألة اقتصادية : (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر

وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) .

تبين أن يوسف كان المسئول الاول والادارى المتصرف , وإنه كان فى بعض الحالات كان يتساهل فى اعطاء الغلال كصدقه .

ومن هذا المنطلق الاقتصادى , تصدق على الغرباء بعد ان اخذ افراد الشعب كفايتهم , وهو النبى ذو الرحمة الذى أنقذ شعب مصر من الجوع بحمايته اقتصاديا , وفى مجال الانظمة لحماية الاقتصاد على الغلال , وضع يوسف نظاما إداريا تخطيطيا للحماية الاقتصادية لدولة مصر وذلك عندما تعامل الشعوب المجاورة لمصر .

" لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين "

ونعود الى توسلات إخوة يوسف ليوف لهم الكيل ويتصدق عليهم هل أجدت؟

الاجابة: لا تكون الا ايجابيا مع نبى الله يوسف . ازاء إخوته وأهله نظر اليهم يوسف عليه السلام , وتيسم , ولما تبسم ظهرت ثناياه (أسنان مقدم فمه) وهى ثنايا مميزة عن ثنايا جميع ما رآه . وهنا رق لهم وحن اليهم وأراد أن يخفف عنهم أمرهم وضعفهم ويذكرهم أيضا بقيق ما فعلوه به (قال هل علمتم ما فعلتم إذ انتم جاهلون ؟ ٨٩).

ويقل سعيد حوى (الأساس فى التفسير) عن ابن كثير أن يوسف تعرف اليهم بنفسه بإذن الله تعالى له فى ذلك والله أعلم بما ضاق الحال واشتد الامر فرج الله تعالى ذلك الضيق . وأتت هذه الآية التى نحن بصددنا تصديقا لقوله تعالى فى أول السورة (....) واوحينا اليه لتبتنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (١٥).

وبذلك عادت اليهم صورة يوسف وما صنعوه , وأنتبهوا الى من يكلمهم إنه هو .. هو .. يوسف .. وصاحوا : (قالوا انك لأنت يوسف) .

وجاء قولهم باسلوب الاستفهام التقريرى الذى أكدوه — (إن) و (اللام) , وقد قالوا ذلك بلهجة ممتلئة بالفرح والتعجب بنجاحهم فى (التحسس) الذى أوصاهم به أبوهم .

وكشف يوسف عن شخصيته وقال :

(...) إنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع اجر

المحسنين (٩٠).

يوسف يقر منن الله عليه بالسلامة من الهلاك في البئر ومن التهمة التي وجهت اليه ومن السجن وبالعزة بعد العبودية , والالفة بعد الفرقة , فيعلن المنهاج السلوكي الذي يجب ان يتحلى به كل انسان:

(انه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع اجر المحسنين).

وكان مشهدا رائعا , وبقدر ما هو مفرح لاختوته ولكن محرج لهم , وكان عليهم ان يعترفوا بخطأهم ويطلبوا الصفح . كان لقاء إمتزج فيه الفرح - لا بقاء أخيهم يوسف ولكنه فرح قرابتهم من حكام له شأن - و الخزي و البكاء

(قالوا تا الله اقد آترك الله علينا , وإن كنا لحاطنين) ٩١ .

إعتراف يانه يستحق ما خصه الله به .

وأعترفوا بأنهم أخطأوا في حقه . ولكن أيضاً طفح علي ألسنتهم الحسد المكوم لما حظى به من نعمة المنصب والمكانة وهنا تتجلى عظمة اخلاق يوسف ... وسماحته والعفو عند المقدرة اذا رد عليهم :

(قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) إذ كان أوحى إلي يوسف و هو في الجب (لتبينتهم بأمرهم هذا و هم لا يشعرون) ١٥ إذ كان يعقوب عليه السلام متأكداً من إنهم دبروا ليوسف أمراً لما جاءوه و علي قميصه دم كذب قال لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان علي ما تصفون) ١٨ .

فقد جاءت المناسبة لينبهم بأمرهم هذا , وجاءت المناسبة ليوسف و هو في موقع القوة و العزة و أيضاً من موقع الإنسانية والكرم ليقول لهم فصفح جميل فقد صفح عنهم الصفح الجميل لقد عفا عنهم يوسف و العفو كما يقال - أقسى ألوان العقاب ولا سيما إن كان من سهم أبي لاحرار نبلاء , و لعل هذا يتفق مع ما قاله الإمام الشافعي .

لما عفوت و لم أحقد علي أحد أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحب عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات

لقد عفا عنهم و تركهم لضمائرهم تجلدهم كلما رأوه و تزل بهم ما يؤلمهم من وخز و تأنيب كلما تذكره , فما يقتل الأحرار كالعفو عنهم .

لا لوم ولا تعنيف , بل صفح ومغفرة , بل وطلب الرحمة لهم من الله . مثل أعلى بل القدوة في ذراها في العفو عند المقدرة , ولم يدر بخلده مجرد خاطر الانتقام فذلك هو الخلق القويم والصفح الكريم , والتسامح العظيم وللسائلين عن القيم والمثل تقول لهم (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين).

هكذا يجب ان تكون القيم كما أراد يوسف أن يعلمها لأخوته , لبني اسرائيل, ولكن نسوها وتكررت لها أجيالهم بعد ذلك بل سلكوا عكسها تماما كأنما أصابهم فيروس الاخلاق والانسانية.

وهذا المشهد على روعته يشير مسألة أخلاقية هامة هي:

اولا:- ما كان من يوسف لأخوته: من بذل وعطاء وكرم وصفح وتسامح ولما ينتقم منهم لما فعلوه من سوء تدبير وحق وكيد وتآمر ... ثم نعتوه بأنه سارق الخ .

ثانيا :- ما كان من رد إخوته عليه فإذا أمعنا النظر في قولهم بعد أن كشف لهم عن شخصيته إذ

(قالوا : تا الله لقد آفرك علينا وإن كنا خاطئين) ٩١ .

إذا تأملنا هذه الآية فيمكن تقسيم مضمونها إلي قسمين أو عبارتين:

(قالوا: تا الله لقد آفرك الله علينا)

(..... إن كنا لخاطئين)

في ترتيب العبارتين لا بد من حكمة تماماً كما في تقديم :

أ- السارق علي السارقة في قوله تعالي (والسارق والسارقة إقطعوا أيديهما) المائدة ٨٨ لأن الرجل أكثر جرأة من المرأة علي السرقة.

ب- الزانية والزاني في قوله تعالي (والزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور ٢ لأن في الزنا فالمرأة الزانية هي التي تمكن من مواقعتها.

كذلك لا بد من حكمة في ترتيب الآية ٩١ من سورة يوسف وفي ذلك

وجهي نظر:

إحداهما: أن إخوة يوسف لم يعترفوا بخطئهم من الأول وقدموا علي الاعتراف بالخطأ ذكر ما هو فيه من نعمة ومرة.

الأخري: أن أخوة يوسف ذكروا ما يستحقه من نعم ومرة هو جدير بما نبهه وصبره ، وخلقته وإنه أمام مرلته ورفعته فإن ما فعلوه معه يستوجب عليهم الاعتراف بخطأهم.

والنظر الأخير لمن يرى فيهم نزوع إلى الخير، والأصل في الأمور البراءة. وأن فطرهم طيبة ، بدليل إنهم ندموا وتابوا وطلبوا المغفرة .

والنظر الأول فهو لمن يرى فيهم بقية من حقد ما زالت متقدة في نفوسهم لم يطفأها ما أغدقه عليهم، وما قدمه لهم من كرم وعطف .

هذا والله أعلم بمراده.

ونقول للسائلين عن طبائع وأخلاق الأجداد التالية إخوة يوسف (بني اسرائيل).

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين).

هذا ما كان من يوسف وأخوته لم ينسهم من بره وعطفه فهل ينسى أباه وأهله وعشيرته ذلك ما استناوله في القص التالي.

الفصل السادس

بنو يعقوب فى مصر

(أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُوا
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ
يُوسُفَ كَلَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿١٤﴾) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٥﴾) فَلَمَّا أَن
جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾) قَالُوا يَتَّابَانَا آسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾) قَالَ
سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوئِهِ وَقَالَ أَدْخِلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿١٩﴾) وَرَفَعَ أَبُوئِهِ عَلَى
الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَّابَتِ هَذَا تَابِئُ رُءُوبِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي
حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾)

إني لأجد ريح يوسف :-

قال المفسرون لما عرفهم يوسف سأهم عن أبيه فقالوا ذهب عيناه فأعطاهم قميصه , قال
المحققون: إنما عرف أن إلقاء هذا القميص على وجهه يوجب قوة البصر بوحي من الله تعالى ولولا
الوحي ما عرف ذلك لأن الفعل لا يدل عليه , ثم قال لهم (وأتوني بأهلكم أجمعين) ويقول الشيخ
الشعرأوى رحمه الله: وهذا تعبير قرآنى دقيق ان يحضروا معهم كل من يمت بصله قرابة لهم أو يعمل
معهم , ولم يقل يوسف (بآلكم) حتى لا يأتوا بالأعيان فقط , ونلاحظ إنه لم يذكر والده فى أمر
يوسف لأخوته أن يأتوه بكل من يمت بهم بصله قربي , لأن فى مثل هذا الأمر . من موقع عزيز مصر
- إجبار للأب على المحي وهو يحل أباه عن ذلك .

(ولما فصلت العير قال ابوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) أى لما خرجت من العريش وهى قرية بين مصر وكثبان قال يعقوب (بنى لأجد ريح يوسف) لولا تسفهوننى وتخزوني وتكذبون فيما أقول (قالوا تا الله انك لفى ضلالك القديم) أى قال حفدته ومن عنده : والله إنك لفى خطأ وذهاب عن طريق الصواب , بأفراطك فى محبة يوسف وهجك بذكره , ورجائك للقائه والضلال هنا يقصد بشدة الانشغال باخوب والسؤال عنه (فلما جاء البشرى القاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم الل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون ٩٦)

روى إنه سأل البشرى وقال كيف يوسف : قال هو ملك مصر , قال ما أصنع بالملك , على أى دين تركته ؟ , قال : على دين الاسلام قال: فالآن تمت النعمة وقد اختلفت الروايات حول من هو البشرى ؟ .

قيل: هو سمعون , وقيل: هو يهوذا الذى قال أنا أذهب بالقميص اليوم كما ذهبت به ملطخا بالدم.

قال ابن عباس , وعن السدى قال لأخوته : قد علمتم أنى ذهبت إليه بقميص الترحه فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة . وهنا نقف أمام مشهد يستحق التحليل والنظر إليه من زوايا مختلفة .

الزواية الأولى :

هذا الاخ الذى اتفق مع بقية إخوته فى مؤامرة (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) والذى رفع صوته مع اخوته اذا قالوا (يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون) والذى علا صوته مع اخوته اذ قالوا (لئن اكله الذئب ونحن عصبه انا اذا لخاسرون)

وهو الذى كان مع اخوته عندما (وجاءوا اباهم عشاء ييكون) وهو الذى رسم او شارك اخوته الكذب عندما (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ...)

وهو الذى كان مع اخوته عندما هياوا الدم الكذب ووضعوه على قميص يوسف

(وجاءوا على قميصه بدم كذب) هو نفسه يتقدم بخطى ثابتة فى غير خجل ولا وجل يتقدم الى ابيه يحمل البشرى بقميص الفرحة , ... قميص البشرى بالعودة !! ليس فى ذلك فتح

الطريق لأجيال بني اسرائيل التالية على تغيير مواقفهم من أقصى اليمين الى أقصى اليسار وعلى التلون وركوب الموجه متى واتته؟ .

وكان الخليق والحقيق بهذا الأخ ان يعارى من سوء ما قام به لا ان يتقدم بقميص الفرحة الذى يثبت سابق كذبه وخداعه

ليس فى ذلك ادانة دامغة له بالتواطؤ والكذب والخداع والتزوير !

ما هذه القدرة على تغيير الوجه .. بوضع قناع جديد ؟ يرسم عليه الابتسامة بعد ان ليس لأبيه من قبل قناع الحزن والبكاء ؟! حقا : (لقد كان فى يوسف واخوته ايات للساثلين) .

الزاوية الثانية: أن نزعة الخير فى هذا الأخ لم تمت ولكن هبت من جديد قوية، فقد كان ضميره يؤرقه طوال السنوات الماضية فزادت خبراته وأرتقي عقله. وفكره وانضبط سلوكه بمعمار الخلق الفاضل ورد رداً جميلاً إلى بيته بيت النبوة واهتدى بالنور الإلهي.

لذلك أراد أن يكون هو حامل قميص البشري ، ولتسرع خطاه نحو أبيه به ليزيل من ذاكرته الأثر السيئ المحفور فيها عن القميص ذو الدم الكذب ، فلماذا نكر عليه إن أراد أن تمحو الحسنه السيئه ويستبدل السيئه بالحسنه ؟.

قال الحسن لما ورد البشير ، ويعقوب لم يجد عنده شيئا يشبه به ، فقال : والله ما اصبت عندنا شيئا ، وما خبزنا شيئا منذ سبع ليال ! ، ولكنه دعى الله قائلاً:

هون الله عليك سكرات الموت . وهذا يدل على : جواز البذل والهبات عند البشائر .

أما إخوة يوسف لماذا عنهم ؟

قالوا يا أبانا إستغفر لنا:

غلبهم الخجل والبكاء وطلبوا من أبيهم أن يغفر لهم ويستغفر الله:

(قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ٩٧)

هل يسامحهم يعقوب ؟ وهل يستغفر لهم؟

إنه نبى كريم بن كريم ثم إنه أب لهؤلاء الجناة الذين أعلنوا - تحت وطأة الظروف

- ملابسات ندمهم وتوبتهم

ثم إن فرحة يعقوب بوجود يوسف حيا لم تجعل له الفرصة أن يفكر في غير يوسف ولقاء يوسف.... لقد نسي ولا يريد أن يتذكر ما فعله ابتأزه حتى لا تنقص فرحته. ولكنهم طلبوا منه أن يستغفر لهم..... فهل يفعل؟

إنه كان في حالة فرحة أخذته بعيدا خارج الحدود الى حيث يوسف لذلك لم يستغفر لهم كطلبهم الذي مثل اعترافهم الكامل بما ارتكبه في حق اخيهم يوسف وفي حق ابيهم (إنا كنا خاطئين) ورغم ذلك لم يرد كما يستحقون ولكنه:

(قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم)

لقد أصر إستغفاره لهم وفي ذلك اقوال متعددة للمفسرين منها :

* إنه أصر إستغفاره لوقت السحر لأن الدعاء فيه مستجاب .

* او إنه أصر إستغفاره ليعرف على حالهم وصدق توبتهم .

* او إنه أصر إستغفاره لسأل يوسف أن كان عفا عنهم .

* او إنه مازال في نفسه غصة منهم ولم تصف لهم نفسه ولكنه يعلم بالاستغفار عنلما

تصفو وتسكن نفسه.

وهنا لا يجب أن يسدل الستار على هذا المشهد حتى نحلل تصرف بني اسرائيل فيه.

ذلك التصرف الذى يدل على الانتهازية ففي زحمة الفرحة وجشاش عاطفة الاب بقاء ابنه الذى غاب عنه طويلا طويلا فرصة إستغلها بنو اسرائيل في الحصول على (صك غفران) ووعده ومساحتهم من كل ما كان منهم , لأن هذه المناسبة سيكون فيها طغيان الفرحة تنسى الأب والأبن ما كان من بنى اسرائيل فيتم لهم الاستغفار ولم لا ... أليس من المتبع إنه في المناسبات السعيدة توزع الهدايا والعطايا والبشارات , ولقد فطنوا إلى كيفية استمالته باثارة مشاعر وحنان الابوة بقولهم (يا ابانا) بما توحى بالموودة والقرب والحنين .

إنه السلوك البرجائى لبني اسرائيل الذى يتبعونه الى اليوم والذى يقضى الا يرضعوا فرصة أيا كانت سعيدة أو حزينة إلا ويحاولون إستغلالها لصالحهم . ولكن نبي الله يرى بنور النبوة ... لذلك لم يخضع لهم بل قال :

(سأستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم ٩٨)

وفيه من ذلك إنه لم يستغفر لهم في الحال , وبعض المفسرين قال يانه استغفر لهم في الحال .
أو إنه آخر إستفارة لسحر يوم الجمعة لأن الدعاء فيه مستجاب

وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنه كان يوصي اصحاب الحوائج وأهل
البلاء أن يتخيروا وقت الإجابة ويدعوا الله بحاجتهم في الثلث الأخير من الليل ويقول إنه الوقت
الذي تشفع فيه يعقوب لنفسه ولابنائه ثم يتلوا قول الله عز وجل (وبالاسحار هم يستغفرون) .

واسرع يعقوب متلهفا لرؤية يوسف ومعه اهله اجمعين وجاءوا الى مصر .

أدخلوا مصر إن شاء الله آمين:

(فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال أدخلوا مصر إن شاء الله آمين ٩٨) .

استقبلهم يوسف عند دخولهم مصر ... إستقبالا كريما يليق بمكانة أبيه عنده وقد وضع
وفصل ذلك المفسرون وكان برفقة يوسف لاستقبالهم عليه القوم من المصريين (وآوى إليه أبويه) أى
أخذهما في حضنه منفعا بجملة اللقاء .. والشوق الجارف لأبيه وما تتفاعل في نفسه من مشاعر
الحب والود والحنان ... فكانت هفة اللقاء , وقال لهم (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) من الجهد
والشقاء والجوع والقطط .

فرحة اللقاء بين الأحبة

ويبدو أن مشاهد الحب وفرحة اللقاء بين الأحباب تتشابه من حيث لغوية التعبير منها ,
ولنقارن بين لغوية النص في مشهد لقاء يوسف بأخيه بنيامين , ومشهد لقاء يوسف بأبوية فسذلك
تشابه تام يصل إلى حد التطابق في الوسائل والتعبير .

ففي مشهد لقاء يوسف بنيامين قال :

ولما	دخلوا	على	يوسف	آوى	إلية	أخاه	قال
------	-------	-----	------	-----	------	------	-----

وفي مشهد لقاء يوسف بأبوية قال :

فلما	دخلوا	على	يوسف	آوى	إلية	أبوية	وقال
------	-------	-----	------	-----	------	-------	------

ولم يكتفي يوسف عندما رأى أهله بعد طول غياب بإحتضان أبوية وتقبيلهما شوقا وهفة وإنما أراد أن يرهما مبرلا يشعرهما من وراة يانه لا يتعال لمنصبه الذي هو فيه , ويضرب لإخوتة المثل كذلك أن المنصب لا يغير نفوس الأتقياء لأنه إلى زوال^١ لذلك:

رفع أبوية على العرش :

(وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٠﴾)

رفع أبويه على العرش تكريما لهما وإعتزازاً لقدرهما حتى لا يكون هو على العرش وهم أدنى منه . (وخرروا له سجدا) خروا سجدا لله الذي جمعهم به فهو شكر لله ولم يكن سجودهم له بغرض العبادة , لأن العبادة هي التي تفعل من الادنى تقربا للأعلى . ولا يقابلها المعبود بمنلها فبان كانت عبادة لغير الله والله سبحانه وتعالى يعاقب عليها وتلك هي الأمور المجرمة .

وكان رد يوسف على أبيه: (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا....) .

هذا هو تحقق ما سبق أن رآه في صباه عندما قال لأبيه (... يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ٤) وهى الان قد تحققت (قد جعلها ربي حقا)
١٠٠ وفى نشوة الفرح وحرارة اللقاء ... لا ينسى يوسف شكر ربه فيعدد منن الله عليه وإحسانه إليه قائلا:

(....وقد أحسن بي اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربي لطيف لما يشاء إنه العليم الحكيم) ١٠٠

رأى يوسف عليه السلام أن الله أتم عليه النعمة وختمها لم شمله بعد أن صبر : وقد أسلمة الصبر إلى المجد والرفعة وقادته عفته إلى الرقي والمنعة , وما أسبغه الله عليه من فضل وما بوأه من مكان وقد مكن له في الأرض وجعله سلطان لم يكن أمامه وهو التقي النقي الوفي إلا أن ينطلق لسبانه شكرا له على إتمامه وإعترافا له بعظيم إحسانه.

يقول الشهيد سيد قطب قبل أن يسدل الستار على المشهد الأخير المثير مشهد يوسف يترع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والإبتهاج والجماعة والسلطان ليتجه إلى ربه في تسيح الشاكر الذاكر !! , كل دعوته وهو في أهة السلطان وفي فرحة تحقيق الأحلام أن يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه بال صالحين رب لا أسالك سلطانا ولا صحه ولا مال . رب إني أسالك ما هو أبقي وأغنى (توفى مسلما وأخفى بال صالحين) .

رفع يديه إلى السماء شاكرا لله كل أنعمه وأفضاله وإحسانه قائلا بلسان الحمد وتواضع الأنبياء:

"رب قد آتيتني من الملك و... إني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفى مسلما وأخفى بال صالحين) ١٠١

ويذكر المفسرون هنا عدة لفتات إنسانية من يوسف تتم عن خلق يوسف منها:

إنه قال: (أحسن بي إذ أخرجني من السجن) ولم يذكر (القاءه في الجب) حتى لا يخرج اخوته ويذكرهم بذنبهم إنه عندما يذكر ما بينه وبين اخوته إنما يذكره على إنه ليس طبعاً فيهم ولا كان منهم بل هو (نزغ الشيطان) ثم يعود يوسف ليرجع كل ذلك الى تدبير اللطيف الخبير اذ يقول فقد قدر لهذه الأحداث أن تجرى وفق مشيئته وبعلمه لتتحقق:

- حكمته سبحانه (إن ربي لطيف لما يشاء إنه العليم الحكيم).

- قد يكون صحيحاً أن ما تعرض له يوسف من الآلام انتجت خيراً جزئياً ، فأبسط ما يقال أن السجن خدم مصالح يوسف الزمنية ، ففي ذلك السجن كان يسزج مسجونوا الدولة . كان يرسل اليه عظماء الحاشية الملكية المشتبه في امرهم ، قد لا ندرك نحن الآن أهمية مركز كل من رئيس السقاة ورئيس الخبازين ، ولكنهما كانا في وقتها رفيعي القدر جدا . امثال هذين كانوا يتكلمون بصراحه مع يوسف ، وبهذا كانوا يعطونه فكرة قوية عن الاحوال السياسية في الدولة وفكرة عن رجال الدولة ، وكل هذه الشئون بصفة عامة ، الامر الذي لا بد من إنه افاده كثيرا فيما بعد .

نعم إنه كان تدبير الله (إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ...) فسبحانه هو المدبر لكل شئ , مسبب الاسباب , مدبر المقدمات التي تفضى الى ما يشاء من نتائج , حقاً :

(..... والله غالب علي أمره لكن أكثر الناس لا يعلمون)

فمن أراد الحقيقة والعبرة والاعتبار يجدها يقينا في سورة يوسف كما ورد بالقرآن الكريم .

(لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين)

وقد عرض العهد القديم أيضا لقصة يوسف وإن كان لمس بعض الحقائق أو يمكن الموافقة عليها وقبولها , ومن ذلك ما ورد في سفر الزمير (من ١٠ : ١٨) حيث أشار الى سجن يوسف حيث جاء ما نصه:

(أرسل أمامهم رجلا يبيع يوسف عبدا . آذوا بالقيود رجله في الحديد دخلت نفسه)

نعم يعبر المرثم عن هذا السجن بهذا التعبير الرائع: (في الحديد دخلت نفسه) أو بتعبيرا اخر (الحديد دخل الى نفسه) اليس في هذا التعبير الكثير من الحق؟ , قد لا تكون هذه هي الحقيقة المقصودة من هذه الآية المقصودة لكن هذه حقيقة راسخة , ان الآلام والقافة ونير الصبا , وكسح جماع النفس. هذه كلها تؤدي الى الارادة الحديدية , وصلابة العود , وقوة الاحتمال , وشدة البأس والجلد . وهذه هي الاساسيات التي لا غنى عنها لتكوين الصفات النبيلة , فلا جزع من الآلام , بل تحملها بصبر وصمت , ورباطة جأش , وتؤكد بأن هذه هي طريقة الله لادخال الحديد في تكوينه الروحي .

و لكن ما عرضه العهد القديم لقصة يوسف في سفر التكوين في اسفاره (من ٤٢ إلى ٤٧) يبدو فيه الاضطراب والتحريف , وعدم القبول المنطقي ومن أمثلة ذلك :

إن يوسف في انجيء الأول لأخوته: (فأتى أخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض ولما نظر يوسف أخوته عرفهم , فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء , وقال لهم من أين جئتم فقالوا من أرض كنعان لنشتري طعاماً , ثم يكرر نفس المعنى: (وعرف يوسف أخوته وأمامهم فلم يعرفوه).

ثم يأتي بكلمات المفروض إنما لا تقال لأن معناها أن يوسف نسي ما فعلوه ونقل الكلمات

بنصها:

(فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم وقال لهم جواسيس أنتم لتسروا عبودة الأرض

جئتم ,)

ثم ينتهي الحوار بينهم بأن قال يوسف لهم: (أرسلوا واحداً ليجئني بأخيكم وأنتم تحبسون فجمعهم الي حبس ثلاثة ايام) ثم بعد الثلاث ايام (وأخذ منهم شعون وقبده أمام عيونهم).

في الأصحاح الثالث و الأربعين :

(كان الجوع شديداً في الأرض وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذي جاءوا به من مصر أن أباهم قال لهم إرجعوا أشتروا لنا قليلاً من الطعام) .

وهنا رفضوا أن يذهبوا إلا اذا أخذوا معهم بنيامين وهنا طوال هذه الفترة ألم يدركوا أن هناك أخا لهم (شعون) مأخوذ كرهينة ؟!

فلماذا كان التباطؤ , و تحت ضغط الجوع و الحاجة سمح لهم يعقوب بأخذ بنيامين , بل هو الذي عرض ذلك : (وخذوا أخاكم و قوموا أرجعوا الي الرجل والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتي يطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين).

لقد التبس علي كاتب هذا الأصحاح أن بنيامين لم يذهب بعد الي مصر ا

ثم إن التضارب و الإضطراب ظاهر إن أول الإصحاح إذ فيه (وكان الجوع شديداً في الأرض و حدث لما فرغوا من أكل القمح الذي جاءوا به من مصر أن أباهم قال لهم ارجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام) .

ثم في الآيه ١٦ " فقال لهم أسرائيل أبوهم (إن كان هكذا فافعلوا هذا , خذوا من أفخر جنى الأرض في أوعيتكم وأنزلوا للرجل هدية) وعدد أنواع الهدايا التي يأخذونها ثم قال : (وخذوا فضة أخري في أياديكم والفضة المدودة في أفواه عدالكم ردها في أيديكم).

يتبين من ذلك إنه , كان لديهم زروع و كروم و جنى الأرض كثيرة فلما كان الجوع الشديد في الأرض ؟!

ثم هل كان يأخذون هذه الأشياء أثماناً لشراء القمح ...؟

الإجابة ... بالنفي لأنه بقول وأنزلوا للرجل هدية

و ما مناسبة تقديم هدية في هذا السياق إلا أن تكون رشوة ؟

فهل هذا يليق بنبي !!

حقاً : (لقد كان في يوسف و اخوته آيات للسائلين)

في الأصحاح الرابع و الأربعين :

بعد أن وجدوا الطاس في العدل (متاع) بنيامين فقال يهوذا :

" ماذا نقول لسيدى , ماذا نتكلم , و بماذا نبرر . الله قد وجد إثم عبيدك , ها نحن عبيد لسيدى نحن و الذي وجد الطاس في يده جميعاً فقال حاشا أن أفعل هذا , اما الرجل الذي وجد الطاس في يده يكون لي عبداً) ...

(ثم تقدم اليه يهوذا و قال استمع يا سيدى ليتكلم عبدك كلمة في أذن سيدى , ولا يحم و غضبك علي عبدك , لأنك مثل فرعون , سيدى سأل عبيده قاتلاً , هل لكم اب أو أخ)

وسرد عليه ما طلبه (يوسف) منهم و هو سرد تاريخ أسرة يعقوب و سردها يهوذا بقصد ترقق قلبه و اعتذر يهوذا اليه بقوله:

(لأني كيف اصعد الي ابي و الغلام ليس معي لتلا انظر الشر الذي يصيب ابي).

في الأصحاح الخامس و الأربعين :

بعد أن سمع يوسف ما قاله (يهوذا) في الأصحاح السابق مباشرة نجد إنه : (فلم يستطيع أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده) فيكشف لهم مباشرة عن نفسه. ولما لم يمض دقائق بين قرأ إسترقاق (بنيامين) و بين الكشف عن نفسه. (ثم وقع علي عنق بنيامين اخيه و بكى , و بكى بنيامين علي عنقه و قبل جميع أخوته و بكى عليهم و بعد ذلك تكلم أخوته معه) ..

وهنا يكون السؤال ... فلما كانت كل هذه العمليات من التدبير و التخطيط لوضع

الصاع في رحل بنيامين ؟

هل فشلت الخطة أمام الدموع ... أو العواطف ...؟

و أين الحكمة في كل ما تم ؟

ثم أين شمعون (الرهينة) من هذا المشهد كله ؟

أين هذه الوقائع الصحيحة للقصة الحقيقية في العهد القديم ؟..... حقاً:

" لقد كان في يوسف و أخوته آيات للسائلين "

وجاء يعقوب الي مصر , هو وبنو اسرائيل , وبقي بها حتي مات يعقوب في مصر ...
وتكاثر أبنائه و زاد عددهم , وكانوا مكرمين معززين بمصر .

ولكن بني إسرائيل عادوا إلي سيرته الأولي وغلبيهم طبعهم فحادوا عن طريق الصواب في
أجياهم اللاحقة , ... و لما مات يوسف استراحوا منه لأنه كان يضبط سلوكهم و يخشونه , فلما
مات انفلت زمامهم , و يعبر القرآن عن ذلك بقوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ
فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } غافر ٣٤ .

تري هل عقولهم مرتع صالح لقبوسات الضلال و الفساد ؟

أليس من العجيب الغريب أن يتوارثوا هذه الصفات ؟

فأصبحت جزء من طبيعتهم وعبثت ايديهم بكل شيء حتي بكنبهم السقي يقدهسوها ,
إمتدت اليها يد العبث بالتبديل و التحريف فهذا دأهم , و تلك جبلتهم , ومن المناسب لهذا السياق
أن نذكر بقصة اليهودي والماجوسي في كتاب الامتاع و الموائسة السابق ذكرها الفصل الأول من
الباب الاول ويتأكد منها. إنهم مجبولون علي الشر بفطرتهم وطبيعة الشر المتأصلة في نفوسهم بغير
إرادتهم و يصدق هذا التفسير قولهم لموسي كما أورده القرآن: " قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا
ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري" طه آية ٨٦/٨٧.

وأيضاً من المناسب أن نجمل في عمالة بعض ما يجب أن يذكر من محاسن ومآس يوسف
عليه السلام ومن أجل ما جاء في وصفه ما وصفه له المناوي حيث قال:

" وأي كريم أكرم ممن حاز مع كونه ابن ثلاث أنبياء مرسلين شرف النبوة وحسن الصورة
وعلم الرؤيا ، ورياسة الدنيا ، وحيطة الرعايا في القحط والبلاء ."

ويكفي أن نذكر إنه بعدما فعل أخوته به ما فعلوه وهو صغير ، واشتراه من أشتراه بثمن
بخس دراهم معدودة ، وتعرض للفتن والدساتس دعا ربه بقوله:

(..... رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) ٣٣ .

واستجاب له ربه ويمكن له في مصر ، وجاءه أخوته وهم لا يعرفونه ثلاث
مرات يلتمسون منه العون والمساعدة ويقولون له:

(..... مسنا وأهلنا الضر وجننا ببضاعة مزجاة)

(فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) ٨٨

(.....) تا الله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لحاططين) ٩١

وكان رده عليهم رغم كل ما فعلوه بعد أن كشف لهم عن نفسه قائلاً:

لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ٩٢

إنه رحيم متسامح ، يعفو عن أساء إليه وهو القادر علي الانتقام.

أبعد ذلك شئ من صفات الكرام؟

لقد أجل ذلك كله محمد (صلي) عندما سئل من أكرم الناس؟ قال: "أتقاهم قالو ليس عن هذا نسألك: قال: "فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله".

نعم إنه يوسف الصديق يوسف المتسامح ألم يقل لمن آذوه وآرادوا به شراً (قال لا تثريب عليكم اليوم) ولم يكتف بذلك بل أضاف (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

ما أعظم وأكرم من يعفو مع القدرة علي الانتقام؟!

حقاً كان عظيماً كريماً وقت الابتلاء بالنعمة ، كما كان عظيماً صابراً وقت الابتلاء بالشدة.

(لقد كان ليوسف وأخوته آيات للسائلين)

للسائلين عنم يكون العفو؟ ومتي يكون؟ .

الفصل السابع

الركائز المحورية في قصة يوسف (الرؤيا - القميص - الذئب)

باستعراض أحداث قصة يوسف نجد أن هناك ركائز محورية أو مفصلية لعب دوراً مؤثراً في نتائج الأحداث أو كانت مقدمات ترتب عليها الأحداث التالية , و من ذلك :

كانت الرؤيا سواء التي رآها يوسف نفسه أو رآها غيره و عبرها يوسف . و كذلك قميص يوسف كان له دور فيما حدث و فيما ترتب علي ذلك من أحداث وأيضاً كان الذئب و إشارة يعقوب إليه متخوفاً منه علي يوسف عن أبيه , و كيف أن إتمام الذئب كان دليل إدانة إخوة يوسف في نظر أبيهم .

وسوف نتناول كل منها في مبحث مستقل

المبحث الأول

{ الرؤيا في حياة يوسف }

يقول المرحوم د/ عبد الحليم محمود - رضي الله عنه - :-

" إذا كان العقل قاصراً عن إدراك ما وراء الطبيعة فهل من سبيل آخر إلي المعرفة ؟ رأي كثير من الناس أن الرؤيا أثناء النوم تكتشف المستقبل , إنما قراءة للوح المحفوظ , و معرفة للغييب المحجوب بإلهام منه سبحانه .

يقول الله تعالى " ... ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " ٢٥٥ البقرة

و تقول السيدة خديجة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم :

" فكان لا يري رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح " و ذلك قبل رسالته .

و مهما قال الباحثون الحديثون في تحليل الأحلام , فإن الرؤيا الصحيحة جزء من النبوة , لا شك في ذلك ولا ريب , و الرؤيا ليست علماً عقلياً , إنما ليست منطقاً و تفكيراً , فعن أي قوة تصدر؟^(١)

و الرؤيا حالة شريفة و معرلة رفيعة فعن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

" لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو تري له "

و قال عليه الصلاة و السلام : (أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً)

و الرؤيا خلاف الحلم , ففي الحديث النبوي : (الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله و رؤيا من الشيطان , و رؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة فيراه في المنام " .

رأي النبي محمد صلى الله عليه و سلم , رؤيا كفلق الصبح إنه سيدخل مكة محرماً سلبياً و إنه يطوف ببيت الله الحرام داعياً متضرعاً .

و قد وردت في قوله تعالى في سورة الفتح " لقد صدق الله و رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم و مقصرين لا تخالفون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً " ٢٧ .

(١) د/ عبد الحليم محمود - فلسفة ابن طفيل ص ٣٣ مكتبة الإيمان

و رؤيا الأنبياء و هي صدق لأنهم معصومون من الشيطان , و جزء صريح من الوحي , لا يحتاج إلي تأويل , و إنما هو تصوير للواقع الملموس المنتظر قريباً بفضل الله , و هذه الرؤيا الصادقة كرؤيا أبيه إبراهيم من قبل , التي رأى فيها إنه يذبح ولده إسماعيل , فلما أصبح الصبح ناذي لده إسماعيل و قال : إني رأيت في المنام إني أذبحك , فقال يا أبت إفعل ما تؤمر , فرؤيا الأنبياء أمر من الله , واجبة التنفيذ و التبليغ و الأداء حسب ما رأي بدون تأويل آخر غير ظاهرها^(١)

و هذه الرؤيا لم تتحقق لأن الله سبحانه و تعالي لم يرد لإبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه وإنما كانت الرؤيا هي أمر , فلما إستجاب إبراهيم إلي أمر الله , قال له (لقد صدقت الرؤيا يا إبراهيم) , و لأنها لم تتحقق - أي لم يتم تنفيذ الرؤيا دفع البعض إلي تفسير الأحلام الغيبية باعتبارها من الإجماع الذاتي , و ذلك خلط بين رؤيا الأنبياء و أحلام العامة .

و الأحلام كثيراً ما تكون شفرة لا يستطيع فكها إلا الله و من علم من رسول , و يعقوب عليه السلام أوحى إليه الله بنفس هذه الشفرة لولده يوسف , و الكتاب الحكيم ينبؤنا إنه (ذو علم لما علمناه) و نجد في كثير من تصرفاته حكمة و معرفة لا يستطيع فهمها إلا من كان عنده علم خاص^(٢)

تكررت في سورة يوسف الرؤيا الصادقة .

إذ رأى يوسف في حياة أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر سجداً له .

" إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر رأيتهم لي ساجدين " ٤ و لكن كما أسلفنا أن رؤيا الأنبياء هي الرؤيا الصادقة , فما بال الرؤيا لصاحبي السجن مع يوسف حين رأى أحدهما إنه يعصر خمراً ... و رأي الآخر إنه يصلب فتأكل الطير من رأسه و فسرها يوسف قائلاً :

" يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ " ٤١

ثم هذا الناجي يسمع عن رؤيا العزيز , و هي كما رآها الملك .

" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " ٤٣

(١) الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب - الرؤيا الكبرى - مجلة الأزهر - عدد مارس سنة ٦٧ ص ٢٢٤ , ٢٢٥
(٢) تحية عيد:عزيز - علم النفس في القرآن الكريم ص ١٥٤ - مطابع الأهرام .

ولكن الملائ من حوله لم يستطيعوا أن يجدوا لها تأويلاً إلا أن :

" قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ "

ولم يهدأ الملك , ولم يفارقه قلقه و فرعه من هذه الرؤيا .

ولكن صاحب السجن مع يوسف - الذي نجا - حمل الرؤيا إلي يوسف ليفسرها , وقال:

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لِعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ }

و إن كان الملائ قالوا أضغاث أحلام , لكن يوسف لم يرها أضغاث أحلام بل رؤيا صدق تمس البلاد والعباد , و فسرها يوسف , وكان تفسيرها في قوله تعالي علي لسان يوسف :

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَأَ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُخْضِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهَا يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ }

ليس في تكرار الرؤيا في سورة يوسف إجابة للسائلين عن موضوع الرؤى و دورها في حياتنا و تفسير الرؤيا .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

ليس في ذلك دعوة إلى توجيه الاهتمام إلي علم تفسير الأحلام و التفريق بين الأحلام والرؤيا

فقد تكشف للباحثين في شئون الرؤيا الاهتمام بعلم تفسير الأحلام فتفسير الأحلام لجأ إليه الناس منذ القدم و كانوا يعتقدون لغرابتها إنما تأتي من عالم آخر , قد يكون عالم الكائنات فوق الإنسانية , إلا أن التنوع الكبير في محتوى الأحلام , كما أن الرمز في معانيها دفع الكثيرين في الشعوب القديمة إلي دراستها و بحثها كجزء من علم العرافة .

فكان تعبير الأحلام في مصر علماً و خبرة له أهله ممن لم يعلم بهم ملك الهكسوس , و قد أخذت عن المصريين الحضارات الأخرى , ويدل علي ذلك ما هو محفوظ بالمتحف البريطاني علي بردية باسم (تشتر بيتي) ... و منهج في التأويل لا يكاد يختلف عما لاحظنا في حلمي صاحبي يوسف في السجن وقد كان قائماً علي التورية والكناية والتشبيه , والمقابلة , والجناس , وذلك كما

تربط في حياتنا اليومية بين العيش بمعنى الخبز , والعيش بمعنى الحياة , ومن أمثلة ما أولو من أحلامهم:

طول العمر ... لمن يرى في المنام إنه يموت .

الترقية لمنصب أكبر لمن يرى نفسه مع من هو أكبر منه .

الثبيت في المنصب لمن يرى إنه يكتب في لوح .

المنصب الخطير لمن يرى إنه يمسك بقوس .

و من الرؤى السيئة :

اشتعال النار في الفراش , فهو نذير بطلاق الزوجة .

رؤية الرجل نفسه في المرأة كناية عن نفس ثانية معه أو زوجة ثانية يتخذها^(١) .

و أول من درس الأحلام دراسة سيكولوجية حقيقية هو (أرسطو طالس) الذي عرف الحلم بأنه : النشاط النفسي للنائم أثناء نومه , و قد بين أن الرؤيا تتبع قوانين علم النفس الإنساني , ولكنها مع ذلك تخضع لرقابة و تصرف الآلهة^(٢) .

وفي العهد الإسلامي

فقد استوقفني ما وجدته في كتب السيرة و كتب الأحاديث ما قام به النبي صلوات الله عليه في تعبير الرؤيا و تأويل الأحلام و هي كثيرة سواء ما رآه النبي صلى الله عليه و سلم نفسه في الرؤيا و قصها علي أصحابه و أولها لهم أو ما رآه أصحابه من رؤى و قصوه عليه و أولها لهم .

فقد كان من عادته إنه إذا انتقل من صلاة الصبح أقبل علي أصحابه فيقول : من رأي منكم الليلة رؤيا فليقصها علي أعبرها له ... فيقص الناس عليه مرآهم .^(٣)

ومن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ما رواة البخاري عن عبد الله بن عباس إنه

قال :

(١) د/ أحمد عبد الحميد يوسف - مرجع سابق ص ٥٧ .
(٢) د/ أحمد فتحي الزيات , د/ مدوح الوكيل - النوم و الرؤيا و الأرق بين الدين و العلم ص ٤٠ - دار الثقافة - المكتبة الثقافية .
(٣) ا/ حسن الشيخة - مقال في منبر الإسلام - إبريل سنة ٦٩ ص ١١٧ إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ذكر لي رسول الله فقال : بينا أنا نائم وضع في يدي سواران من ذهب , ففقطعتهما
وكرهتهما و نفختهما و طارا فأولتهما بكذابين يخرجان , قال عبيد الله الراوي عن ابن عباس أن أحد
هذين الكذابين الأسود العنسى الذي قتله فيروز , والآخر مسليمة الكذاب .

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال , سمعت رسول الله يقول : بينا أنا نائم
أتيت بقدرح لبن , فشربت منه حتى إني لأري الذي يخرج من أظفاري , فأعطيت صلي " أي ما بقي
" لعمر بن الخطاب : قالوا له فما أولت ذلك يا رسول الله : قال : أولته بالعلم .

ومما عبره النبي صلي الله عليه و سلم :

أن زواره بن عمر النخعي قدم عليه , فقال يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذا أتانا
تركتها في الحمي ولدت جدياً اسفع^(٢) أحوى , فقال له النبي هل لك من امرأة تركتها حملاً قال
الرجل نعم , فقال النبي ولدت غلاماً هو ابنك , فقال الرجل مما باله اسفع أحوى ؟ فقال النبي :
هل بك برص تكتمه ؟ قال الرجل نعم , و الذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق , و لا علم به أحد ,
فقال النبي : هو ذاك .

و عن النبي صلي الله عليه و سلم إنه قال : إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فأعبروها علي خير
فإن الرؤيا تكون علي ما يعبرها معبرها .

و كان من الصحابة و من بعدهم التابعون من عبر الرؤيا .

و اهتم بتفسير الأحلام الكثير من العلماء منهم :

محمد بن سيرين من علماء المسلمين في القرن الأول الهجري , و له كتاب : (منتخب
الكلام في تفسير الأحلام) .

و كذلك الشيخ عبد السلام النابلس (١٠٥٠م - ١١٤٣هـ) و له كتاب (تعبير
الآنم في تفسير الأحلام) و غيرهم .

و قد وصفوا لتعبير الرؤيا قواعد و ضوابط (كما تفسير الأحلام الكبير لابن سيرين)
ومن ذلك كل ما له في الرؤيا وجهان :

وجه يدل علي الخير ووجه يدل علي الشر , أعطي لرائيه من الصالحية أحسن وجهيه ,
و أعطى لرائيه من الصالحين أقبحها .

(٢) الاسفع الذي اجاب لون , و الأخوي السود .

و إن الرؤيا تأتي علي ما مضى و خلا و فرط و أنقضى , كما تأتي عما الإنسان فيه , و قد تأتي عن المستقبل فتخبر عما سيأتي من خير و شر .

كالموت , و المطر , و الغنى , و الفقر , و العز , و الذل , و الشدة و الرخاء .

كما أن الرؤيا الصادقة قسمان :

قسم معسر طاهر لا يحتاج إلي تعبير , ولا تفسير .

وقسم مكفي مضمهر تودع فيه الحكمة و الأنباء في جواهر مركبة^(١)

... كما وضعوا للمعايير - معايير التفسير - شروط و خبرات يجب أن تتوافر فيه مثل :

معرفته باعتبار القرآن , و أمثاله , و معانيه .

وأيضاً معرفة أمثال الأنبياء و الحكماء .

واعتبار أخبار الرسول و أمثاله في التأويل كقوله : (خمس فواقس : ذكر الغراب و الحدأة

, و العقرب , و الفأرة , و الكلب - التور)

كما يحتاج إلي العبارات الرمزية مثل قول إبراهيم عليه السلام لإسماعيل : " غير اسكته

الباب "

وقول المسيح عليه السلام و قد دخل علي مومس يعظها:

" إنما يدخل الطبيب علي المريض " .

و قول لقمان لابنه :

" بدل فراشك " بمعنى زوجتك .

كما يحتاج إلي معرفة الرجز و الشعر و إلي اعتبار معانيه .

و من باب أولى معرفته إلي اشتقاق اللغة و معاني الأسماء .

و قبيل هذا و ذلك يحتاج إلي إصلاح حاله , و إخلاصه في أعماله .

كاف للعلماء و المفسرين للقرآن اهتمام كبير بتعبير الرؤيا .

قال ابن عباس في قوله تعالى

(١) ابن سيرين - تفسير الأحلام الكبير - دار الكتب العلمية - بيروت .

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} قال: تعبير الرؤيا.

و قال سعيد بن المسيب و ابن سيرين في قوله تعالى: {لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}
يونس ٦٤ قال كل منها: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له.

وهو قول ابن سيرين في تفسير الطبري^(١).

وكثير من الصحابة كان يعول كثيراً علي تعبير الرؤيا عن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه رأي في المنام أن ديكا رومياً نقره ثلاث نقرات فأرسل إلي أسماء بنت عميس و كانت شاعرة
و مفسرة للرؤيا^(٢) - فقالت له تحذره من أبو لؤلؤة الجوسي ... وفعلاً قتله أبو لؤلؤة الجوسي.

ولما حبس المهدي موسى بن جعفر رأي ليلة كان عليا رضي الله عنه يقول : يا محمد :
{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} قال الربيع فاستدعاني لسيلاً
فجنت فإذا هو يقرأ هذه الآية فعرفني القصة , و قال علي بموسي فجنته به فقام إليه و عانقه
وأجلسه إلي جنبه و أخبره بالرؤيا ثم أخذ عليه موثقاً ووصله بألف دينار و جهزه إلي أهله^(٣)

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

(١) الطبري ١٣٤/١١ و فيه عن أبي هريرة إنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (الرؤيا الحسنة هي البشرى
يرأها المسلم أو ترى له)

(٢) و كان كل من يتزوجها يستشهد

(٣) الاقتباس من القرآن الكريم ج ٢ ص ٦٢ - إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر)

المبحث الثاني

{ قميص يوسف }

للقميص في حياة يوسف دور كبير , و لكل مرحلة من المراحل التي مدت بها الأحداث في حياة يوسف كان لقميصه دور بارز و هام .

ففي الأطوار الأولى , كان عامل الحقد عليه .

و في الطور الثاني , كان دليل إخوته علي أكل الذنب له .

و في الطور الثالث , كان دليل يوسف علي براءته .

و في الطور الرابع , كان دليله عند أبيه علي بقاء يوسف حياً .

ففي مراحل الطفولة , كان قميصه من عوامل إثارة حقد إخوته عليه .

و القرآن و إن لم يذكر شي عن وصف القميص في طفولة يوسف إلا أن مضمون حسب

يعقوب ليوسف و أخيه بنيامين لا يمنع معناه إنه كان يؤثره بالأفضل من القميص ...

و هو أمر لا يحتاج إلي بعيد سفر الآن الشيخ الكبير دائماً يجب أن يري ابنه الأصغر في

أجل حله و أهني كساء , و كل هذا لا يرقمي إلي شيء بجانب فيض الحنان و الحب و الأبناء .

و إذا رجعنا إلي ما كتبه غير المسلمين عن قميص يوسف من ذلك ما ورد في كتاب " حياة

يوسف " نقراً :

" و نحن الآن نستطيع أن ندرك سبب حسد إخوته , فقد كان القميص الذي لا يلبسه إلا

أولاد الموسرين و الأشراف , و أولاد الملوك , و من لا تدفعهم الحاجة ليكدوا في سبيل العيش , أما

كل الذين كان يجب أن يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم فكانوا يلبسون الملابس القصيرة الداكنة , لكي

لا يظهر عليها آثار الأقدار , أو تعيق حركة الأطراف هذا , و كان نصيب أولاد يعقوب من الكد

و الكفاح , و هكذا كانت الملابس التي يلبسونها ... و لكن عندما أعطي يعقوب مثل هذا القميص

ليوسف فقد أعلن بالتبعية أن ابنه المدلل يجب أن يعفي من الكفاح و النضال , فرأي إخوته أن

أخاهم قد تقدم بهذا القميص , و إن له نصيب الأسد في المعيشة ... أما هم فإن نصيبهم فيها التعب

و النصب .

و يضيف الكاتب سبباً آخر للكراهية إخوة يوسف له بجانب القميص و هو أحلام يوسف التي تنبئ عن نقمه عليهم و إذلالهم , و سيكون عليهم أن يخضعوا له و يسجدوا .

عند إلقائه في غيابة الجب كان قميصه دليل إخوته بأن الذئب أكله :

لم يصف لنا القرآن لحظة نزع القميص عن يوسف ... بل ترك ذلك لتصور و فهم القارئ ... لكن آتي بما يدل علي ذلك , و ذلك هو الإعجاز القرآني إذ قال تعالى : { وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ }

ففي ذلك الإعجاز إعجاز البيان والتوضيح إذ لا يمكن أن يأتوا أيهم بقميصه عليه (الدم الكذب) إلا إذا نزعوه عنه .. و في ذلك أدلال لتعقل إن يتصوروا .. ما حدث ...

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

أما سفر تكوين الإصحاح السابع و الثلاثون من سفر التكوين ففيه وصف لعملية نزع القميص:

" فكان لما جاء يوسف إلي إخوته إنهم خلعوا عن يوسف قميصه , القميص الملون الذي عليه , وأخذوه وطرحوه في البئر , أما البئر فكانت فارغة ليس بها ماء."

ثم بعد ذلك يصف الإصحاح ما فعلوه بالقميص :

(فأخذوا قميص يوسف و ذبحوا تيساً من المعزى و غمسوا القميص في الدم , و أرسلوا القميص الملون و أحضروه إلي أيهم . و قالوا وجدنا هذا . حقق أقميص ابنك هو أم لا , فتحققه وقال قميص ابني و ناح علي ابنه أياماً كثيرة) ٣١ , ٣٤

ويقول صاحب أساطير اليهود :

ولم يكتب إخوة يوسف بإلقائه وسط الثعابين و العقارب , و إنما جردوه من جميع ثيابه قبل أن يلقوا به في البئر , و خلعوا عنه بردته المبهرجة و ردائه و سراويله و قميصه (١) ...

... و عندما عثر المديانون علي يوسف في البئر , كان عرياناً إذ كان إخوته قد جردوه من جميع ملابسه . و لكن لا يظهر أمام الناس في هيئة فردية , أنزل له الرب جبريل فكبر التعويذة التي كانت تتدلى من عقب يوسف حتى صارت ثوباً ستر بدنه كله . و ففض إخوة يوسف ليروه و هو

(١) مرجع سابق ص ١٦

يغادر مع المديانيين , و لما رأوه مرتدياً ثياباً صاحوا بالمديانيين قائلين " هاتو ثيابه فقد بعناه لكم عرياناً
بلا ثياب " (٢)

و يضيف لنا الكاتب كيف عاد قميص يوسف إلي أبيه فيقول :

و أشار عليهم " يساكر " بأن يمزقوا قميص يوسف الملون و يلطخوه بدم شاه صغيرة ,
ليجعلوا يعقوب يتوهم أن حيواناً مفترساً التهم ابنه . و قد اقترح عليهم أن تكون الشاه صغيرة لأن
دمها يشبه دم البشر .

عارض شمعون هذا الاقتراح , فلم يكن يريد التخلي عن قميص يوسف , وتوعد من
يحاول انتزاعه منه عنة يانه سيقطعه إرباً , و كان سبب ثورته تلك هو غضبه الشديد من إخوته
لأنهم لم يقتلوا يوسف , و لكنهم توعدوه بدورهم قائلين: "لئن لم تعطنا القميص لنقولن لأبينا إنك
أنت الذي فعلت هذه الفعلة بأخينا".

عند ذلك سلمه شمعون لهم , و حمله نفتالي إلي يعقوب و ناوله إياه قائلاً : "بينما نحن نقود
أغنامنا عائدين إلي البيت وجدنا هذا اثوب ملطخاً بالدماء والتراب علي الطريق . فيما وراء شكيم
بقليل . أنظر هل هذا قميص ابنك أم لا و تعرف يعقوب علي قميص يوسف فغلبه الحزن و خر علي
وجهه و ظل راقداً كالحجر مدة طويلة ثم نهض و أطلق صيحة عالية ملتاعة قائلاً " إنه قميص ابني "
... و لما أكد له بقية أبناءه نفس القول انفجر يعقوب في العويل و النواح قائلاً :

(إنه قميص ابني , لقد أكله حيوان شرير , لأبد إنه مزق يوسف إرباً) (١)

هكذا ... يعقوب هو الذي استنتج من رؤيته للقميص و عليه الدم إن حيواناً الفترسه !!

وعكس ما هو متوقع لم يشك يعقوب في أبنائه !!

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

قميص يوسف يتمزق في معركة الغواية و كان دليل يوسف علي براءته

عندما راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب ولكنه إستعصم بالله و أبي

الرزيلة ... و لما ضيقت عليه الخناق ما كان منه كما يقص آيات الكتاب المبين :

(١) مرجع سابق ص ١٩ , ٢٠

(٢) مرجع سابق ص ٢٧

{رَأَسَتْهَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَأودَتِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } (٢٥ ، ٢٨)

هذا هو حديث القرآن عن قميص يوسف و موقعه في معركة القوان ... كان دليل براءته كما قال الشاهدين من أهلها ...

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

و نقرأ في الإصحاح التاسع و الثلاثون من سفر التكوين :

(ثم حدث نحو هذا الوقت إنه دخل البيت ليعمل عمله و لم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت . فأمسكته بنوبه قائلة اضطجع معي . فترك ثوبه في يدها و هرب و خرج إلي خارج و كان لما رأت إنه ترك ثوبه في يدها و هب إلي خارج إنما نادى أهل بيتها و كلمتهم قائلة انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا . دخل إلي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم . و كان لما سمع إني رفعت صوتي وصرخت إنه ترك ثوبه بجانبني و هرب و خرج إلي خارج . فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلي بيته . فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلي العبد العبراني الذي جننت به إلينا ليداعبني . و كان لما رفعت صوتي و صرخت إنه ترك ثوبه بجانبني و هرب إلي خارج) .

و هنا لم يذكر الإستدلال بتمزق الثوب (قميص يوسف) من قبله أو دبره .. و اكتفى بأن سيده لما أتى البيت صدق رواية زوجته و أودع يوسف بيت السجن .
أما ما ورد في القرآن فإنه ذكر تمزق القميص من دبر ... و إنه كان الدليل علي براءة يوسف ...

و العجيب الغريب أن يلجأ كتاب الأدب التوراتي - اليهود - إلى ما ذهب إليه القرآن في قوله (و شهد شاهد من أهلها) و إن اختلفوا لمن يكون هذا الشاهد .

حقاً {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ }

حتى أن الكاتب الواحد و في نفس كتاب و لكن و لكن بعد عدة صفحات يختلف مع نفسه فيمن يكون هذا الشاهد ومن ذلك فمثلاً ما كتبه كاتب أساطير اليهود و تنقل عنه: (١)

"فر يوسف هارباً تاركاً قطعة من ثوبه في يدي زليخة كانت قد تمزقت وهو يتخلص من قبضة المرأة في حركة سريعة قوية .

و لكن شهوة زليخة تجاه يوسف كانت عنيفة إلى حد إنها أمسكت بمزقة ثوب يوسف الذي لم تفلح في إخضاعه لشهواتها و أخذت تقبل المزقة و تحتضنها في عنف

كما أخذت ثوب يوسف الممزق وضعته بجوارها ثم أرسلت غلاماً لينادي لها علي رجال المرول فلما حضروا راحت تقص عليهم حكايتها المفتراة عن تهجم يوسف عليها

و لم يجبهها الرجال بحرف و لكنهم استشاطوا غضباً من يوسف و هرولوا إلى سيدهم فقصوا عليه ما سمعوه

و صدق فوطيفار كلامها و أمر بجلد يوسف من وحشيتها , و بينما الضربات القاسية تنهال عليه صرخ مستغيثاً بالرب

و فتح الرب فم طفل زليخة و كان رضيعاً لا يتجاوز الأحد عشر شهراً , فكلم الرجال (أي قال لهم الحقيقة) ما تكلمت أُمي إلا بالكذب !!! ...

تأثر فوطيفار بحديث طفله وأمر رجاله بالكف عن إيذاء يوسف , و صعد الأمر إلى القضاء حيث يجلس الكهان قضاة . وأوضح يوسف يانه برئ و قص عليهم بمنتهى الصدق كل ما حدث , لكن فوطيفار كرر علي مسامع القضاة ما حكته له زوجته , وأمر القضاة بإحضار ثياب يوسف التي في حوزة زوجته زليخة . وفحصوا القطع الذي انقطع فيها . وتبين أن القطع كان في الجزء الأمامي من الثوب (هكذا) ومن ثم استنتجوا أن زليخة كانت تحاول الإمساك به بقوة , لكن يوسف لم يدعها تفعل ذلك

وقرروا أن يوسف لم يفعل ما يستوجب الحكم عليه بالإعدام , لكنهم حكموا عليه بالسجن .

(١) المرجع السابق ص ٥٤ , ٥٥ , ٥٦ بإختصار

* و هو استنتاج في غير محله لأن معنى القطع من الأمام إنه كان يتقدم نحوها بخلاف ما جاء بالقرآن : {وإن كان قميصه قد من نبر فكذبته وهو من الصادقين } ٢٧

و لم يعد من العجيب أو الغريب أن يقول كاتب أساطير اليهود في موضع آخر من نفس الكتاب ص ٧٣ و سبق أن أوردت ذلك في هذا البحث تحت عنوان أسينات في حياة يوسف وذكرت أن :

" كانت أسينات قد أنقذت حياة يوسف و هي لا تزال طفلة تحملها الناس في أحضانهم عندما اهتمته زوجة فوطيفار و النسوة الأخريات بالفاحشة و كان سيده يأمر بشنقه , اقتربت أسينات من أبيها بالتبني و أقسمت له مؤكده أن التهمة التي أدين بها يوسف مفتراة .. فأي الشاهدين هو الصحيح ؟ و هل من المهم تحديد من هو هذا الشاهد .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

قميص يوسف رسالة البشري إلى أبيه يعقوب :

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} ٩٣
{فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ٩٦

لقد اختلف فيمن هو هذا البشير الذي ألقى قميص يوسف علي وجه أبيه يعقوب فقيل هو شعون و قيل هو يهوذا .

و أيا كان هذا البشير , إذ لم يهتم به القرآن لذلك اختلفت حوله الروايات ولكن المهم ما روي أن يعقوب سأل البشير و قال :

كيف يوسف ؟ قال هو ملك مصر , قال ما أصنع بالملك ؟ علي أي دين تركته ؟ .

قال علي دين الإسلام , قال فالآن تمت النعمة

ولعل سائل يسأل من أين عرف يوسف أن إلقاء القميص علي وجه يعقوب يعيد إليه البصر ؟

الإجابة فيما أورده المحققون من أن ذلك كان بوحى من الله (يوسف هو نبي الله) و لولا الوحي لما عرف ذلك .. ألم يقل قبل ذلك عند تأويل الرؤية للسجينين (..ذالكما لما علمني ربي..)

٣٧

و قال بعد أن إستقر إليه الحكم و التمكين في مصر :

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } ١٠١

لأن العقل لا يدل علي غير ذلك .

وإن قوله تعالي {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ }

قد يقال كيف وصلت تلك الرائحة إلي يعقوب ؟ ^(١)

اختلف في الجواب فقال مجاهد : هبت ريح لصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام إنه ليس في الدنيا ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال : إني لأجد ريح يوسف) .

و قد روي عن الواحدي باسناده عن أنس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . إنه لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحاق و كساه إسحاق يعقوب و كساه يعقوب يوسف فجعله في قصب من فضة علقها في عنقه فألقي في الحب و القميص في عنقه فذلك قوله (إذهبوا بقميصي هذا) , والتحقيق أن يقال إنه تعالي أوصل تلك الرائحة إليه علي سبيل إظهار المعجزات والأقرب إنما معجزة ليعقوب . قال أهل المعاني و ذلك يدل علي أن كل سهل فهو في زمان الخنة صعب , و كل صعب فهو في زمان الإقبال سهل .

^(١) محمد علي أبو العباس - يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة و كيد النسوة ص ٨١ باختصار مكتبة القرآن

المبحث الثالث

{الذئب بين يعقوب وبنيه}

من نصوص القرآن الكريم نعلم إنه :

بعد أن تأمر أبناء يعقوب علي يوسف و أرادوا تنفيذ المؤامرة قالوا لأبيهم :

{ مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَىٰ يُوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ رَسَلَهُ مَعَنَا عَدَا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ

لِحَافِظُونَ } ١٢، ١١

وياحساس قلب الأب و خوفه علي ابنه قال لهم :

{ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } ١٣ .

وهو بذلك نبههم إلي حجة يحتجون بها عليه و لقنهم الشر ، فلقوه من فمه ، حتى إذا فعلوا فعلتهم و القوه في غيابة الجب و أعدوا لكل سؤال جوابه .. (وجاءوا أباهم عشاء يبكون)
١٦ و قالوا:

{ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبُّ } ١٧ ، وهم يعلمون أن الذئب برئ من دم ابن يعقوب . و أصبح ذلك مثلاً للبريء المظلوم يقال في وصفه " إنه برئ براء الذئب من دم ابن يعقوب " و قال الشاعر

عليّ و الله فيما لفقوا كذبوا ككذب أولاد يعقوب علي الذيب .

و كتبت نواتر كثيرة عن ذئب ابن يعقوب و من ذلك ما حكى الجاحظ فقال:

قال ابو علمقة: إن اسم الذيب الذي أكل يوسف (دمعون) فقيل له إن يوسف لم يأكله الذئب . فقال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكله ، قيل فينبغي أن يكون الاسم لجميع الذئاب .

أما نصوص العهد القديم :

فإن الرواية فيها مختلفة إذ ورد في الإصحاح السابع و الثلاثين من سفر التكوين لم يذكر فيها تخوف يعقوب من أن يأكل الذئب يوسف ، و لكن ذكر إنه بعدما نفذ أبناء يعقوب مؤامرتهم و ألقوا بيوسف في غيابة الجب فهم :

" فآخذوا قميص يوسف و ذبحوا تيساً من المعزي و غمسوا القميص في الدم * و أرسلوا القميص الملون و أحضروه إلي أبيهم و قالوا وجدنا هذا . حقق أقميص ابنك هو أم لا ؟ * فحققه و قال قميص ابني . وحش رديء أكله . إفترس يوسف افتراساً " .

و طبعاً واضح مخالفة هذه النصوص للنص القرآني في المعنى , و يعجب القارئ لما كتبه التوراتيون ^(١) في روايتهم عن قصة يوسف مما كان من يوسف بعد أن استرد شيئاً من جأشه و هو معتقد أن سبغاً و حشياً أكله و يريد الإنتقام من هذا السبع فقال لابنائه :

"ها! إفضوا . خذوا سيوفكم و قسيكم و إذهبوا إلي الحقل فلعلكم تجدون جثمان ابني ... كذلك اجثوا عن السباع و أمسكوا بأول ما ترونه منها و أحملهو إلي عسى الرب أن يرحم لسوعي و يضع أيديهم علي السبع الذي مزق ابني أشلاء فأقتص لنفسي منه" .

ونفذ الأبناء ما أمرهم أبوهم به ... و وجدوا في البرية ذنباً فأمسكوا به و حملوهو إلي يعقوب حياً !! .

أمسك يعقوب الذئب و خاطبه باكياً . و قال له " لماذا أكلت ابني و لم تخف من رب الأرض ... " و أخذ في عتابه و لومه ...

ولكي يعزي يعقوب , فتح الرب لم السبع فقال ليعقوب: و حياة الرب الذي خلقني , و خلقت أنت أيضاً يا سيدي , إني ما رأيت ابنك هذا ولا مزقته أشلاء . لقد آتيت من بلاد بعيدة أبحث عن ابني الذي تعرض لمثل ما تعرض له ابنك ... و الآن يا ابن آدم , ها أنذا بين يديك و بإمكانك أن تفعل بي ما شئت , و لكنني أقسم لك بالرب الذي خلقتني إني لم أر ابنك ولا أكلته , و ما ذقت يوماً لحم آدمي" .

وذهل يعقوب من كلام الذئب فتركه يتصرف إلي حال سبيله , و عاد يبكي علي يوسف وينوح ^(١)

و هنا لنا وقفة قصيرة :

أولاً : كاتب نص العهد القديم جعل يعقوب هو الذي يستنتج أن هناك سبع أكل يوسف ... مزقه ... و لم يشك في أبنائه و هذا محض إختلاق من الكاتب .

(١) لويس جنس برك – مرجع سابق ص ٢٩ باختصار

(١) و نفس فحوى هذه الرواية تذكرها الثعلبي في تفسيره لسورة يوسف جزء أول ص ١٢٥ و هي منقولة عن الإمبرانيات

ثانياً : مع كاتب أساطير اليهود إذ جعل الذنب يدافع عن نفسه و يقول بما ليس في نص العهد القديم .

و هذا أيضاً محض إختلاق من الروائي التلمودي ألم يخلق إخوة يوسف قصة و أكلة الذنب هكذا بنو إسرائيل إلي اليوم يخلقون الأوهام.

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

الباب الرابع

{ ما وراء النصوص من تصورات و عبر و دروس }

الفصل الأول

آل يعقوب في (القصص التوراتية و الفولكلور الشعبي)

تمهيد :

عمد كتاب الأدب التوراتي من قصاصين و كتاب الفولكلور الشعبي إلى إطلاق العنان لأقلامهم في اختلاق وقائع و أحداث نسجوها بخيوط أوهام الخيال الذي يبهج وجدان العامة من بني إسرائيل , يوجب مشاعرهم , حتى احترق و تداعي الرباط الواصل بين النص و المعنى , و بين المعنى و التفسير الحقيقي فتباعد النص بعيداً جداً عن مدلوله .. و خالف النص معناه التوراتي و اللغوي , رغم ما كان يحمله المعنى من شطحات الخيال . فحللت محله رؤى و خيالات الأساطير والمعجزات في إطار هالة من الإهمار بقدرات غير متصورة تفوق كل خيال و تتعدى كل حدود العقل في التصورات . هي أضاليل الأوهام و من خرافات الخيال إذ جعلوا لأشخاصهم التي اختلقوها أو التي بدلوها و غيروا فيها و عدلوا حتى تأتي علي النحو الذي يرضيهم , و التي لم يُعَد لها وجود إلا في خيال مختلقوها أو معدلوها , و جعلوا لها قدرات ... قدرات لم تكن لبشر من قبل ... و لن تكون لبشر من بعد ... حتى لو كان نبياً , كما لم تكن لشيطان أو جان .

قدرات تخترق حدود المكان و الزمان , كما تخترق منطق العقول . تضمنتها حكايات خارقة لكل متصور أن يكون واقعاً , حكايات عجيبة في هالة ملونة براقعة ... مبهرة , يحار الفكر و يتردد .. لا في قبولها لأنه يستحيل أن تقع في مجال الفكر , فمستحيل أن تلقي قبولاً من العقل . و يستحيل تصورها ... أو معرفة الغرض منها .

وتتعدد أمام الفكر و العقل أغراض أو أهداف هذه الحكايات . أو إن شئت الدقة - أهداف و أغراض مؤلفيها و مختلقيها .

* فقد يراد منها : أن تنفذ إلى قلوب أبناء بني إسرائيل - أيام أن كان لهم وجود أو إلى قلوب اليهود - دون أن تمر علي عقولهم , لتأسرهم بسحرها و تملأهم - بل تنفخهم - بخيلاء

الفخر , فينتشون زهوا وتيها يفوق الوصف بلذة العجب التي يُعيبهم أو يُعيب عنهم منطق العقل والمعقول.

والإنسان بطبعه ميال للافتخار بمآثر أسلافه ومن ينتمي إليهم , كما هو ميال إلى تصديق ما يكون في حقهم من إيجابيات وقوة - من منظوره هو - وإنكار ما يكون من سلبيات أو ضعف , يقبل ما ينسب إليهم من محاسن وبطولات ويرفض ما دون ذلك .

* أو قد يراد منها : أن تمر أولاً علي العقل لتثير السخرية منها , إمعاناً لا في الشك في الأصل , بل للتكذيب و الأفكار كنوع من إثارة العقل أن يستهجن ويرفض .

* أو قد يراد منها : أن تثير التفكير فيما ورد من أسفار الكتب المقدسة من نصوص , و ما تحمله هذه النصوص من معان و أهداف , أي يكون الإسراف في اللامعقول ليثير حكم العقل ..

وتعبير آخر يكون الهدف العودة إلى حكم المنطق أو ميزان العقل مما يجبر القراء علي إعادة النظر في مجمل ما يقال و رفض ما لا يتفق مع المعقول.

وترتب علي ذلك أن :

كتابة القصص الأدبية التوراتية أو التي تدور حول قصص الكتب المقدسة عامة , إنما يختلف القصد منها حسب إيمان الكاتب و رؤيته لأصل هذه القصص .

فهناك من الكتاب : من هو منساق بعاطفة الانتماء إلى هذا الفكر الديني حتى إن عاطفته تغلب علي حكم العقل لديه , و تحجب عقله فيندفع بقوة ليسبق أو يزايد علي نصوص كتاب التوراة أو الكتب المقدسة ذاتها ...

و لما لا ... ألم يكتبها أناس ... بشر مثله ... لما لا يفعل فعلهم بل لما لا متفوق عليهم و ييزهم جميعاً و يأتي أو يقول بما لم يأتوا به أو يقوله ؟!

فينسج من خيالاته ... و ييدع في نسج الأساطير حول الأشخاص أو الوقائع التي وردت في الكتب المقدسة ليكمل فيها ما أراده أن يكون .

و لعل من أمثلة هؤلاء الكتاب :

الكاتب الأمريكي " لويس جنزبرج " ^(١) و هو عالم تلمودي ومن قادة اليهود المحافظين له كتابة (أساطير اليهود) جميع مادته من مصادر قديمة تضمنت كثير من المحرفات و شطحات الخيال و رغم إنها غير صحيحة و لكنها راجت كثافة توراتية اعتمد عليها في الوعظ و التعليم حتى أخذت مكانها في الفكر اليهودي وارتبطت بالنصوص المقدسة حتى أصبحت من أهم المحاور التي تأسس عليها الكيان الصهيوني .

وهناك من الكتاب : من يعمد إلي إثارة التفكير و أعمال العقل فيما ذكر من أحداث , ويضعها في ميزان العقل , ولا يطلق العنان للحكم بالهوى أو يستسلم للعاطفة .

ومن أمثال هؤلاء (جيمس فريزر) ^(٢) : الذي كتب عن الفولكلور في العهد القديم , وارجع ما فيه بطريقة علمية منطقية , من تصورات ووقائع إلي النقل عن الثقافات و الحضارات السابقة شرقية و غربية .

و سار " فولتير " في نفس الإتجاه في تحليل سفر التكوين إذ جاء عمله دراسة نقدية للنصوص , و أرجع ما جاء فيه أيضاً إلي أصلها في الثقافات المختلفة .

وعلي الجانب الآخر : نجد الكاتب (جوناتان كيرتش) في كتابه (حكايا مجرمة في التوراة) ^(٣) , يري أن العهد القديم ملئ ببعض أكثر القصص ترويعاً وأكثر كشافاً لفضائح الجنس و العنف في بني إسرائيل , و أن هناك قصص صادمة منعت أو كتمت بقوة السلطات الدينية طوال التاريخ , و إن (كيرتش) يعيد قصصها و اكتشافها , لأن الحاخامين و الكهنة و المسئولين المرتبكين قد سعوا جهدهم لإخفاء اللغة الواضحة للنص العبري الأصلي خلف الكنايات المشوشة أو خلف التأويل الممجوج , و الترجمات العالمية السيئة , و البعض من قصصه الأكثر إثارة قد مضت بصورة تامة من قبل رجال الدين الذين لم يكونوا مرتاحين أبداً في القول لأتباعهم ما الذي حدث في التوراة حقاً ^(٤) .

بل هناك من الكتاب و المفكرين : من شكك بل رفض التسليم بصحة نصوص الكتاب المقدس من حيث وقائعه و أحداثه بل و أشخاصه , و انتقده مثل "موريس بوكاي" الذي درس

^(١) لويس جنزبرج - أساطير اليهود - ترجمة حسن حمدي - دار الكتاب العربي
^(٢) جيمس فريزر - الفولكلور في العهد القديم - ترجمة د/ نبيلة إمام - الهيئة العامة لقصور الثقافة .
^(٣) جوناتان كيرتش - حكايا مجرمة في التوراة - ترجمة - نذير جرمانتي - دار الكتاب العربي
^(٤) نفس المرجع السابق ص ٧

وأعمل فكره و قارن بين العهد القديم و الإنجيل و القرآن و العلم^(٣) , ولم يقتنع إلا بما جاء في القرآن الكريم لأنه الذي يتفق مع منطق العلم و حكم العقل .

أهداف القصة في التوراة :

وقد تركزت أعمال كتاب الأدب التوراتي علي القصة في التوراة باعتبارها المدخل إلي قلوب الناس دائماً في نظر بعض الكتاب أو باعتبارها المدخل إلي استثارة التفكير عموماً في النص .. أو المضمون في نظر بعض الكتاب الآخرين , لأن هناك بعض القصص التوراتية المخزية الخارجة عن المبادئ و الحارقة للسلوك الإنساني الكريم , و لكنها نجت عن وعي القارئ للتوراة بطرق عديدة منها :

الإسكات : عدم السماح بالحديث عنها , و عدم ذكرها , أو ذكر تفاصيلها التي توضحها .

الاضطهاد : و ذلك بلي الوقائع و إبعادها عن حقيقتها بتزييفها .

الرقابة : أما بتأويلها أو استخدام المجاز أو بالتصويه عليها .

التجاهل : (التجهيل بها) يشار إليها مجرد إشارة عابرة مهمة , لا يفهم منها شيء (أي بالمرور عليها مرور الكرام و عدم التوقف عندها و كأنها لم تكن)

والقصص التوراتية , تناوها كثير من كتاب الأدب التوراتي , وما يزال , و كل ينظر إليها من زاويته , من خلال طبيعته هو لرؤية الأمور , و قدرته التحليل , و إختراق النصوص للعبث بما خلفها من معاني و إشارات , أو بقدرته علي توليد معاني من الألفاظ غير ما يراد منها .

و يمكن للتبسيط أن نقسمهم - الكتاب - من هذه الناحية إلي قسمين :

القسم الأول : هم الكتاب التوراتيون الورعون أو الذين يريدون تنظيف النصوص مما علق بها من معاني السوء و الفجور , حتى إذا وقفوا أمام نص , ألفاظه و كلماته تنطق بما يصم الأذان و يخترق الإفهام و يهز الوجدان لأن مقصودها الزنا و الفجور , قالوا : " أن التوراة لا تعني ما توحى به الألفاظ من معان , و أولوها بالرمزية , و إنما تعني الحب الإلهي ."

ونرى أمثلة ذلك واضحة جلية في تأويل نشيد الإنشاد المنسوب إلي سليمان - عليه السلام - و يانه يعبر عن الإلهام الإلهي , فهو مجرد كناية عن حب الله العظيم ما بين (الله وإسرائيل)

(٣) موريس بوكاي - العهد القديم و التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم - مكتبة مدبولي .

ذلك إن كان الكاتب يهودياً متديناً ورعاً .

أو إنه الحب العظيم ما بين (المسيح و الكنيسة و شعب الكنيسة) إن كان الكاتب مسيحياً متديناً ورعاً .

القسم الثاني : هم الكتاب غير المتدينين ولا ورعين , فهم يرون المعنى الذي توحى به ألفاظ نشيد الإنشاد , فيرى في نص الكلمات : (ليقبلني بقبل فيه)

أو (في الليل علي فراشي طلبت من تحية نفسي طلبته فما وجدته ..)

أو (...وجدت من تحية نفس فأمسكته و لم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرو من حبلت بي * أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء و بارائل الحقل ألا تيقظن ولا تنهين الحبيب حتى يشاء ...)

يجدون في ذلك أكبر دليل علي حياة الفجور الليلي الذي كانت تعيشه بني إسرائيل , وهم لا يجهدون أنفسهم في البحث و التفتيش عن هذه القصص , فهي كثيرة . يعثرون عليها أو يعثرون بها في كل أسفار العهد القديم . و لكن مثل هؤلاء الكتاب لا يسلمون من النقد و اللوم و الهجوم عليهم ... و يصفهم الكتاب المعارضون لهم بأنهم كالباحثون و المفتشون بين النفايات عن القدر من الأعمال ليقدموه إلي القراء ^(١) لقصة ساخنة أو عمل صاعق يلفت الأنظار .

إن قراءة قصص التوراة الفاحشة التي عرضت بزهو و الفخار حياة الإباحة و التآمر والأعمال الجنسية المختلفة .. جعلت بغض الكتاب مثل (ميشال فينتورا) و هو محرر صحفي يقول : عما وجدته في التوراة : " نساء (يتزوجن) الثعابين , إخوة يقتل بعضهم بعضاً شعوب تذبذب عن بكره أبيها , قبائل تقيم علي وجهها في الصحراء , أطفال رضع يهجرون , و جريمة تتبع النبوءة , و النبوءة تتبع الجريمة , و راقصون يطلبون برؤوس الأنبياء " ^(٢).

ثم يصل فينتورا إلي استنتاج هو :

إن أي مجتمع يرفع التوراة إلي مركز الكتاب المقدس معرض للجنون و من المضحك-حسبما يضيف - " أن توقع حضارة تستند إلي مثل هذا الكتاب ولا يكون المجتمع غير متوحش وغير محرب ^(٣) .

(١) جونتان كيريتش - مرجع سابق - ص ١٨

(٢) جونتان كيريتش - مرجع سابق - ص ١٨

(٣) جونتان كيريتش - مرجع سابق - ص ١٨

أما عن تلك الكتابات الشعبية و قصص الأدب التوراتي , و الأساطير القديمة التي توارثتها الأجيال , أو تلك التي حددتها أقلام الكتاب التوراتيين المحدثين فإن أي دارس لأي مجتمع يريد أن يتعرف علي الشخصية الجمعية لهذا المجتمع أو الشخصية القومية له , عليه أن يدرس و بعناية الأدب الشعبي و الأساطير الشعبية له , لأنها من أهم الوسائل - أو مفاتيح - فهم شخصية المجتمعات البشرية و معظم كتاب الأدب التوراتي كانوا في تصوراتهم الخاصة التي رسموها حول قصص الكتاب المقدس , كاملي الحرية في إعادة كتابة قصص التوراة , بطريقة ملونة بألوانهم الخاصة و بطرق تعمدوا اختيارها لتكون مثيرة لمن كتبت لهم , و من ستقدم لهم - و هم اليهود - لترفع من معنوياتهم و تعمق الزعم الزائف - المورث في ثقافتهم بأنهم شعب الله المختار .

و علي ذلك فإن ما نسج حول قصص العهد القديم من أساطير المعرفة التقليدية التي تُدعى (هاغاداه) أصبحت المادة الخام المثيرة لحزب القراء و لم تعد فقط مطلوبة للوعظ و الإرشاد ولا مطلوبة للتسلية , بل يظل الهدف الاسمي من ذلك كله , و من التوجيه و التهذيب الديني و الأخلاق , هو إعادة بناء الثقة في نفس بني إسرائيل - وقت إن كان لبني إسرائيل وجود - و في نفس اليهود اليوم , التي حطمها طول المعاناة و الإذلال علي مر التاريخ , و إعطائهم جرعات مخدرة من الافتخار بتاريخ زور و أعيد كتابته من خلال هذه الأساطير التي خالفت في كثير منها حتى مفهوم نصوص العهد القديم - رغم ما بهذه النصوص من تجاوزات للحقائق و مبالغات و افتراءات .

ويعلل كتاب الأدب التوراتي ذلك أحياناً بأنها اكتشاف لبعض النصوص المتنوعة التي منعت كتابتها لأسباب عديدة يحفظون بها , أو يعللونها بأنها عودة إلي نصوص منسية .. فتوجب عليهم أحيائها و إعادةنا إلي الذاكرة .

واعتقد أن القصص التوراتي , و كاتب الفولكلور التوراتي وجدا هما في قصة يوسف الميدان الواسع لأن يمرحوا فيه و يسرحوا , تلك القصة التي وقعت الفصول الأولى منها منذ أكثر من خمسة و ثلاثين قرناً في أرض كنعان , ولكن معظم الفصول تمت علي أرض وادي النيل . وفصولها الأولى و أيضاً فصولها الأخيرة لم تسلم من تحريفات القصص التوراتيون و كتاب الفولكلور ... وسوف نتناول أمثلة لهذه التحريفات مركزاً علي ما كتب عن آل يعقوب في ثلاث مباحث

المبحث الأول : ما كتب عن الإجراءات التي وقعت علي أرض كنعان .

المبحث الثاني والثالث: ما كتب عن الأحداث التي وقعت علي أرض النيل.

المبحث الأول

من الأحداث التي وقعت علي أرض كنعان

" قصة يهوذا مع تامار "

من هو يهوذا ؟ ومن هي " تامار " ؟

يهوذا هو أخو يوسف عليه السلام , والأبن الرابع ليعقوب عليه السلام من زوجته الأولى
لينا ابنة خاله لأبان .

وهو أكثر أسماء أبناء يعقوب ذكراً في العهد القديم .

وهو الذي يرجح إطلاق اسمه في تسمية اليهود .

وهو الذي تقول نصوص العهد القديم إنه أشار علي إخوته بيع يوسف إلي الإسماعيليين .

وهو الذي بعد أن رأى إخوته ما آل إليه حال أبيهم يعقوب حزناً علي يوسف ذهبوا إليه
(إلي يهوذا) و أغلظوا له القول و أنبوه قائلين له: "لو إنك أشرت علينا بإعادته إلي أبيه لفعلنا " .

– باعتباره الأعلى صوتاً فيهم " ذو الكلمة المسموعة – و حرموه من مكانته بينهم ...
ونبذوه ... بل أبعدوه عنهم ... فتركهم و ذهب ...

ذهب يهوذا إلي ملك "عَدَّ لام" الكنعاني وأسمه (برصان) وتعرف عليه –حسب رواية
العهد القديم – ثم تزوج من ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) وحسب نص سفر التكوين^(١):

"فأخذها و دخل عليها فحبلت وولدت له ابناً دعا اسمه "عيرا" ثم حبلت أيضاً وولدت
ابناً ودعت اسمه "أونان" ثم عادت فولدت ابناً ودعت اسمه "شيلة" ويقول الأدب الشعبي السوراني
إنه:

عندما تزوج " يهوذا " بن يعقوب من الكنعانية " بنت شوع " أن روح القدس غضب
غضباً شديداً من يهوذا و صرخ و قال :

" لقد انحدر مجد إسرائيل إلي عَدَّ لام"^(٢).

(١) تكوين ٣٨ (١ – ٥)

(٢) ولماذا لم يجعلوا روح القدس يفضب ويصرخ عندما التقى يوسف في الجب , و عندما جاءوا علي قميصه بدم كذب ! ؟

وكان عقاب الرب ليهودا :

ولكن عن أي جرم أو فعل ارتكبه يهوذا أو أغضب الرب ؟

* هل عن خيانتة لأبيه , وإنه الذي أخذ قميص يوسف و لطحه بدم شاه صغيرة , ووضع
عند قدمي أبيه ؟

* هل لخيانته ليوسف لأنه كان مع المتآمرين و لم يأمر بإرجاع يوسف إلي أبيه ؟

* هل لخيانته لبني إسرائيل لأنه تزوج من كنعانية , و الكنعانيون والكنعانيات كما
يصورهم العهد القديم شريرين و شريرات ؟

* هل لكل ما سبق ؟

إن العقوبة لا تكون إلا لجرم محدد ... فأين هذا بالتحديد ؟

ولا تقع العقوبة إلا علي مرتكب الجرم ... فمن يكون مرتكب الجرم ؟

ثم ما هي العقوبة من الرب ... و كيف كانت ؟

حلت هذه العقوبة بمن أنجبه يعقوب من هذه الزيجة - إذا ما اعتبر أن زواجه من كنعانية
جريمة حسب الثقافة التوراتية - إذ أنجب منها بكره الذي سمي "عير" ومعناه (الأبر الذي لا
ولد ولا نسل له !!) .

و تزوج هذا البكر "عير" من "ثامار" .

و من هي ثامار ؟

* هي ابنة آرام بن سام أبوها اسمه شوع هو الكاهن الأكبر

* ليست كنعانية .

ولأنها ليست كنعانية أوقع الرب كراهة (أم عير بنت يشوع) الكنعانية لهذه الزوجة
(ثامار) ... فلم يعرفها (عير) ... أي لم يجامعها .
ومات عير في اليوم الثالث من زواجه .

وحسب التقليد التوراتي , كقص سفر التثنية (٢٥) فإن يهوذا أعطي (ثامار) لابنه الثاني (أونان) ^(١) قبل انقضاء أسبوع من زواجها من غير ^(٢) ... وبقي أونان عاماً كاملاً مع (ثامار) دون أن يجامعها حتى غضب منه أبوه (يهوذا) وأرغمه علي أن يجامعها ... و نفذ أمر أبيه , و لكن مع مراعاة رغبة أمه بالألا ينجب منها .

" فكان إذا دخل علي امرأة أخيه إنه أفسد علي الأرض لكي لا يعطي نسله لأخيه " ^(٣)

ومات (أونان) أي الحداد ... واحتد عليه أبوه .

وتشاؤم يهوذا من (ثامار) ... و خشي أن زوجها لأبنه الثالث الباقي الوحيد (شيله) سيلقي نفس المصير ... وخافت أمه " بنت يشوع " علي ابنها شيله و أصرت علي عدم تزويجه , وللعجب فإنها اختارت له زوجه من بنات كنعان !!

الأمر الذي أغضب الرب عليها ... كما يزعمون , وكما غضب الرب أيضاً علي يهوذا من قبل ... لإثما عملت شراً .

فكان لا بد أن ينالها جزاء

و كان جزاء عملها أن تموت ... فماتت بعد عام .

فهل يصح يهوذا الخطأ ... و يخضع للتقليد التوراتي المعارف عليه ويزوج أبنه شيله من أرملة أبيه (ثامار) ؟

الإجابة : لا .. إنه تشاءم من ثامار ... و خاف علي ابنه الباقي الوحيد شيله ... إنه وحيد الآن .

وماذا عن التقليد أو القانون التوراتي .. ؟

فاليحتال عليه ...

ليتعلل بعدم تزوج شيله من ثامار بصغر سنه ...

ويرجى النظر في هذا الأمر ... حتى ينسي ...

(١) و معناه الحداد

(٢) هكذا دون انتظار انقضاء العدة , لأن ما ينجبه (أونان) ينتسب إلي الأخ المتوفى (غير) فسواء كان المولود هو ثمرة زواج ثامار من (غير) أو (أونان) فإن النتيجة واحدة و هي نسبه المولود إلي الأول .

(٣) تكوين ٣٨ (١٠)

ولتبق ثامار في بيت أبيها ... بحجة الانتظار حتى يبلغ شيله أشده ويكبر , وفعلاً ... جرت الأيام ... و الشهور ... و السنين ... و بلغ شيله أشده ...

وأنظرت ثامار ... حتى ملت الانتظار و لم يأت يهوذا لزوجها شيله فهل تستكين ثامار ؟
هل تبقى في بيت أبيها معلقة إلي أجل غير مسمي علي أمل أن يأتي يوم يطرق فيه يهوذا عليها الباب لزوجها من شيله ؟

لقد طال الانتظار ... و وصل نهايته ... و فقد الأمل .

و بقي أن تلقن يهوذا درساً ..

و تنتزع لنفسها منه حقاً ...

لتأخذ حقها منه رغماً عنه , حقها الذي قررتة هي لنفسها حتى و إن لم تقرره التقاليد التوراتية .

و لكن ما هو حقها من يهوذا كما تراه هي ؟

حقها أن يكون لها ذرية من آل يعقوب (هكذا تعتقد) .. لإلما دخلت بيت آل يعقوب ... و تزوجت من آل يعقوب ..

فلماذا تحرم من ذرية من آل يعقوب ؟

ماذا فعلت ثامار لتتال من يهوذا ؟

" فعندما كشف لها الروح القدس بأن يهوذا ذهب إلي "تمه" خلعت عنها ثياب حدادها , و جلست علي بوابة خيمة إبراهيم حيث قابلت يهوذا و لم يكن يهوذا قد رأي وجهها طوال السنين التي قضتها في بيته زوجة لابنيه إذ كانت عفيفة طاهرة فغطت وجهها دائماً^(١) .

ظنها يهوذا عاهرة , و ساومها علي أن يجامعها مقابل أن يرسل إليها جدي ماعز وافقت , و أخذت منه ضماناً (رهناً) خاتمه و عصابته و عصاه .

(١) لويس جنز برج - أساطير اليهود ج ٢ ص ٣٤ ترجمة أحمد السماحي - دار الكتاب العربي .
و طبعاً الفضل في ذلك إلي (روح القدس) الطبيب الذي يتجسس لها علي تحركات يهوذا بفرض نبيل و شريف هو التوفيق بين يهوذا أو ثامار و أن تجمع بينهما و لو الزنا ... لأن ثامار كانت عفيفة طاهرة !! - كما أن الكاتب نسي أن (عير) بقي مع ثامار ثلاثة أيام ثم كان أوران الذي بقي معها عام ثم مات فيكون مجموع بقائها في بيت يهوذا سنة واحدة و أسبوعين و ليس سنتين (الباحث)

وهناك قول , أن يهوذا أمر ثامار دون أن يعيرها انتباهه بالمرة , فرفعت عينها إلي السماء وقال : " يا رب العالم , أأغادر بيت هذا الرجل النقي فارغة (أي دون حمل) فأرسل الرب الملاك الموكل بعاطفة الحب فارغم يهوذا علي الالتفات للخلف^(٢) .

وبعد أن تمت الصفقة كما خططت إليها ثامار لأنها صاحبة المصلحة في ذلك ... ولم يجزئ يهوذا بعد ذلك أن يجد في البحث عنها ليسترد " خاتمه وعصابته وعصاه " حتى لا يتعرض للخزي والعار .

و لكن بعض الكتاب يقول :

" ويماكاننا أن نتخيل أن يهوذا عملياً , عرف ثامار من وراء الخمار باعتباره كان دائم الشوق لها , حتى منذ أن كانت زوجة ابنه , و انتهز المناسبة لإرواء ظمأه منها^(٣) و لا يستبعد أن يكون التكرار في هيئة مومس لا يعدو أن يكون لعبة لعبها كل منهما بعد وضع الترتيبات أو بموافقة ضمنية , إذ كان بتقديم " إنكار معقول " لممارستها الحب , أو لإثارة مشاعر أحدهما الآخر , و إذا كان الأمر كذلك فإن بالإمكان قراءة قصة يهوذا و ثامار ليس كرواية معللة , بل كقصة حب جنس إنزلقت بطريقة ما إلي صفحات التوراة^(٤) .

ثامار تنتصر علي يهوذا !!

أحست ثامار بالجنين يتحرك في أحشائها فامتألت سعادة و فخرأ و لكن لما التضح أمر حملها وشاع , شكلت لها محكمة ...

ولما كانت ثامار ابنة للكاهن الأكبر . فإن القانون يقرر عقوبة الموت حرقاً لابنة الكاهن إذا ارتكبت الرذيلة .

وأصبح تنفيذ الموت حرقاً واجباً ...

بحث هي عن دلائل براءتها (الخاتم و العصابة و العصا) ... فلم تجدها ... !! و موعد تنفيذ الحكم " الموت حرقاً " ... يقترب ..

هنا يتدخل عناية الرب لها ...

(١) المرجع السابق ص ٣٥ . طيب جدا هذا الملاك الموكل بعاطفة الحب - فأما قتل روح القدس الخاصة بهم - وربما كانا من أقارب كيوبيتر ... الله أعلم (الباحث) .

(٢) فقد كان أرملاً , أنهى منذ وقت قصير فترة الحداد علي زوجته بنت يشوع .

(٣) جوناتان - مرجع سابق ص ١٥٩ .

لإنها التجأت إلي الرب مستغيثة به ... و كما تقول الأساطير التي نسجت حولها , إنما بعد أن فقدت الأمل في أن تنتزع الإعتراف من حميها يانه أبو الجنين الذي في بطنها ... لجأت إلي الله مستغيثة به قائلة : "استغيث برحمتك يا رب يا من تحب المضطر ساعة شدته استجب لي لكي أعيش و أنجب الأطفال الثلاثة المقدسين !!

سيكونون علي أم استعداد للموت حرقاً من أجل تمجيد اسمك"^(١)

واستجاب الرب لتوسلاتها و أنزل الملاك ميكايل لإنقاذها بوضع دلائل براءتها في مكان يسهل العثور عليها .

وفي نهاية الأمر يعترف يهوذا يانه المذنب وهي بريئة , و لكن تحدث هنا المفاجأة ... أو المعجزة ... أو ما لا أستطيع وصفه ... هو شيء غريب عجيب إذ

"سُمع صوت سماوي يقول : كلاكما برئ !!

لقد كانت مشيئة الرب أن يحدث ذلك "!!^(٢)

وولدت (تامار) ابنتين توأمين :

الأول (قارص) و معناه القوي .

و الآخر (زارج) لأنه خرج من رحم أمه قبل أخيه ثم زاحمه متراجعاً إلي داخل الرحم ليترك الفرصة لخروج (قارص) أولاً .

و كبر (قارص) و (زارج) و أصبحا من جنود بني إسرائيل .

و العجيب أن يطلق بعض علماء التلمود من قادة اليهود المحافظين العنان لخياله ليقبض علي الزمن فيجعل من (قارص) و(زارج) الجاسوسين اللذين أرسلهما يوشع ليتجسسا^(٣) له وخبأهما رحاب الزانية والتي ترجع الروايات إنهما زنيا لها .

أما تامار تلك الزانية القديسة , التي زنت - حسب زعم الكتاب الحاخامين - فهي زنت لأن الله أراد ذلك , و هي قديسة (تقية طاهرة) لأن الله باركها و كافأها ... نعم كافأها , ...

^(١) زانية تستغيث برحمة الله ليعطيها الأطفال الثلاثة المقدسين , و كان هناك وعد سابق بالأطفال و بعددهم و يكونهم مقدسين !! و هي الزانية لديها علم لذني بعددهم و علم بتقوهم , و استعدادهم للموت حرقاً في سبيل الله !! و لما لا ... ألم تستغيث بالرب أن يجعل يهوذا يلتفت إليها , و يجمعها , (الباحث)

^(٢) ص ٣٦ المرجع السابق - و لكن للأسف لم يستجب الرب لكل طلباتها فلم تلد الثلاثة المقدسين بل اثنين فقط !! (الباحث)
^(٣) لويس جينز برج - مرجع سابق ص ٣٧ , مع أن سفر يشوع الذي أورد قصة الجاسوسين لم يذكر اسمهما - و إن حادثة الجاسوسية تمت بعد أكثر من ٤٠٠ عام من نزوح آل يعقوب إلي مصر !! (الباحث)

وكانت مكافأة الرب لها علي عفتها ... (علي عفتها !!) أن جعلها الله أما لسلالة داود الملكية و
جدة كبري (لعاموس) وأبنة اشعيا , و من نسلهما كان المسيح عيسي بن مريم ..! هكذا يقولون !!
والمعجب المثير للدهشة أن يسوع الناصري ينتسب كما في إنجيل متى إلي أربعة نساء في
التوراة بوصفهن الجدات المباشرة أحدهما تامار .

أما الأخريات فهن " رحاب و راعوث و بتشايع " (١) .

و أي منهن لم تكن إسرائيلية و لكن تزوجن برجال إسرائيليين و إرتبطن بنهج جنس
تتناوله الألسن بأفعال الزنا و الإغواء !! هكذا يقولون و هكذا يفترون ... حقاً { لَقَدْ كَانَ فِي
يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّانِينَ } .

تامار في نظر الحاخامات :

إذا أنعمنا النظر في قصة تامار و يهوذا و ما كتب عنها , و قد كتب عنها الكثير , نجد
إنهم - (الحاخامات) يجعلون من (الزنا) إذا نسب إلي رموزهم التاريخية - عملاً مقدساً يهدي إلي
ظهور أبطال و قديس و يجعل من الزنانيات قديسات ... و يجعل لهن أسفار مقدسة يتعبد بها و ينسب
ذرياتهن المصلحين والأنبياء .

و يصفح عن الزنا في هذه القصة , و القصص المشابهة لها , إذ يجد الحاخاميون المخرج أو
التبرير لذلك , بأن ينسبوا ما جري من أحداث إلي تدبير العلي القدير , ... فهو الذي يرسل الملاك
في الوقت المناسب لينفذ مشيئة الله .

و في قصة تامار - علي حد زعم بعضهم - أن تامار كانت دمية تعمل خيوطها بقوة محرك
و من إلهي (٢) .

و بذلك يُسقط الحاخامات عن يهوذا و تامار و بالتالي كل من كان علي شاكلتهم -
جرمة السفاح الجرم , إذ بالإمكان تشبيه تامار بنساء أخريات في التوراة ممن صورن كمغامرات
جنسياً و يصبح الحكم عليهن إنهن محقات بكل معني الكلمة فكما هو النظر إلي تامار - يكون أيضاً
لأبتنا لوط و راعوث المؤابية , إذ لجأن إلي الفراش (الزني) بهدف - يراه البعض إنه سام و نبيل -
هو تأمين أطفال لأنفسهن و بالتالي تأمين البقاء لنسلهن إذ يأتي من نسلهن المصلحين والأنبياء .

(١) قني ١ (١ - ٥) .

(٢) خونتاتان - مرجع سابق ص ٣٧

و لكن الحكم يختلف تماماً و يصبح مجرماً ولا يتفاوضون عنا ارتكبه ابن ملك شكيم مع ديننا
أخت يهوذا - علي حد زعمهم في كتبهم - رغم تقدمه للزواج منها ... إنها أحكام و تبريرات تثير
العجب .

تثير العجب لمن لا يعرف العقلية اليهودية عامة و الحاخامية خاصة , ولكن من يعرفها فلا
يعجب من ذلك ولا يستغربه ... بل يتوقعه ... و أكثر منه .

فلا تعجب - {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ} .

" شجع الحاخاميون علي الاعتقاد أن يوسف يقدم صورة الرجل الذي يفترض به أن يكون
طيباً " يحسن التصرف إزاء الاغواء الجنسي من جانب امرأة محترمة , و يقول (كلا) حتى لو كانت
تعني إقامة دائمة في سجن فرعون .

أما يهوذا , فعلي العكس , يفترض أن يكون مثلاً مؤسفاً من الضعف الجسدي و الفشل
الروحي , و مع ذلك فإن هذا التفسير ينوء بثقله . فيوسف يقود شعبه إلي المكان الذي سيسب
فيه و يسحقون إلي حد ما , في حين أن إجماع يهوذا الفحل , و الودة ثامار سيحلب أعظم منسوك
إسرائيل القديمة , و في النهاية سيحلب المسيح ⁽¹⁾ . لم يرد في التبريل :

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسانين "

و ثمة تفسير مفضل في التقاليد التاريخية الحاخامية يقول أن الغرض من رواية ثامار و يهوذا
التي قفزت فجأة في سفر التكوين وسط قصة يوسف في مصر هو أن تقدم الوجه الآخر للحكاية التي
سنتلها مباشرة و هو فشل إغواء يوسف من قبل زوجة فوطيفار , و صبره و عفته التي مكنته من
الوصول إلي سدة الحكم في مصر و تحققت الرؤيا و سجن له إخوته في النهاية .

و هو موضوع المحبث التالي

مكتبة

المهتدين

⁽¹⁾ جوناثان - مرجع سابق ص ١٤٨

المبحث الثاني

{ من الأحداث التي وقعت علي أرض مصر }

إخوة يوسف بين التوسل و التهديد:

يمكن أن نلم بإبعاد هذا المشهد و كإنه رأي العين من خلال قراءة نصوص سفر التكوين حيث يوجه يهوذا كلامه اللين مستعظفاً للحاكم المتصرف في أمر مصر (و هو يجهل إنه يوسف) وذلك في الإصحاح ٤٤ بقوله له :

" فالآن متى جئت إلي عبدك أبي ، والغلام ليس معنا ، ونفسه ومرتبطة بنفسه * يكون متى رأي الغلام مفقوداً إنه يموت فيرل عبيدك شبية عبدك أينا يجزن إلي الهاوية * لأن عبدك ضمن الغلام لأبي قانلاً : إن لم أحيء به إليك أصر مذنباً إلي أبي كل الأيام * فالآن يمكث عبدك عوضاً عن الغلام عند السيد و يصعد الغلام مع إخوته * لأني كيف أصدق إلي أبي و الغلام ليس معي ، لتلا أنظر الشر الذي يصيب أبي " (٣٠ - ٣٤) .

كلام كله إستعظاف و تذلل ، لعل قلب حاكم مصر (يوسف) يلين أو يشفق بهم و فيه عرض أن يأخذ الحاكم هذا المتحدث يهوذا عبداً بدلاً من بنيامين فهل يؤثر هذا الكلام في يوسف .. أو يجد طريقة إلي قلبه ؟

ذلك ما نجده في نصوص الإصحاح ٤٥ و فيه :

" فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدي جميع الواقفين عنده ، فصرخ : "أخرجوا كل إنسان عني" ، فلم يقف أحد عنده حين عَرف يوسف إخوته بنفسه * فأطلق صوته بالبكاء ، لسمع المصريون و سمع بيت فرعون * و قال يوسف لأخوته "أنا يوسف أحي أبي بعد؟" ، فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لإفهم أرتاعوا منه .

* فقال يوسف لأخوته تقدموا إلي ، فتقدموا . فقال أنا يوسف أخوكم الذي بعمتموه إلي مصر * والآن لا تنأسفوا ولا تفتاظوا لأنكم بعموني إلي هنا . لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم * لأن للجوع في الأرض الآن سنتين . و خمس سنين أيضاً لا تكون فيها فلاحه و لا حصاد * فقد أرسلني الله قدامكم لجعل لكم بقية في الأرض ليستقي لكم نجاة عظيمة * فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلي هنا بل الله" (١-٨) .

كلمات واضحة جلية ورد فعل من يوسف لم يخرج فيه عن مألوف الطبيعة البشرية في مثل هذه المواقف الإنسانية التي هز المشاعر و تملأ فيها الدموع العيون و ينتاب القلوب الخفقان و تزداد ضرباتها .

إنه موقف إنساني بكل معاني الكلمة يدل كما متوقع من نبي كريم مثل يوسف كله حس مرهف و مشاعر رقيقة . لم يكن من يوسف إلا :

التسامح و الصفاء الجميل و عدم التأنيب أو الانتقام أو حتى إشارة إلي تجريح ... مع أنه في موقع القوة ... و صاحب السيادة والهيمنة وكان التواضع الجمل حتى إنه برر لهم خطيئتهم بأنما إرادة الله و قدره هو الذي ساقه إلي مصر ... ليستبقي حياة الناس ... ولم يكن من أمره .. إلا ما أراد الله ... فهو الذي أرسله إلي مصر .

ولكن يأتي كتاب الأدب التوراتي إلا أن يتدخلوا و يلعبوا في ميدانهم الخيالي الفسح بعيداً جداً عن النص و المفهوم المباشر من النص ... فلهم طريقتهم في قراءة النص و في فهم النص . في التفسير عنه فليس لديهم قناعة "لا اجتهاد مع النص" , ولكن لديهم الشطط و تصيد الأوهام ..

وطبعاً لكل وجهة هو مولياها , سنري ذلك فيما سنعرض له من أفكارهم ربما كانت وجهتهم - بجانب رواج أعمالهم - تغذية وجدان اليهود عن طريق نسج قصص ووقائع خيالية حول النص لتصور جرأة و شجاعة أبناء يعقوب (أي بني إسرائيل) ساعة الشدة إذا ما أدهم الخطر , وربما فيها نبرة التشفي من المصريين الذين طردوهم من مصر بعد أن نكلوا بهم و أذلّوهم^(١) .

إنما احتمالات كثيرة , و رؤى مختلفة . نترك القارئ يحكم عليها , ففي كتاب (أساطير اليهود) للكاتب التوراتي الأمريكي " لويس جبرج"^(٢) . يتحدث عن هذا المشهد و لكن بشكل مختلف مائة و ثمانون درجة , و أهم ما تضمنه روايته لهذا المشهد هو أن :

" يوسف اقتاد بنيامين بالقوة , و حبسه في إحدى الغرف فما كان من يهوذا إلا أن كسر الباب ووقف أمام يوسف مع إخوته .

و كان (يهوذا) يغلظ القول ليوسف ثم يلين , و عرض عليه أن يكون يهوذا نفسه أو إخوته عبيداً له بدلاً من بنيامين . ثم لوح له باستخدام القوة قائلاً: "إن راويين أكبر منه سنأأ أما يهوذا فإنه يفوقه قوة .

(١) هذه القصص كتبت بعد الخروج من مصر , و بعد نزول التوراة ... بقرون عديدة .
(٢) مرجع سابق ص ٩٦ و ما بعدها بتصرف

ثم إدعى علي يوسف أمراً عجيباً غريباً ما كان للكاتب (لويس جبريج) أن يقع فيه -
و أنا اعتبرها ليس سقطة من الكاتب , بل إسقاطه^(١) إذ يقول علي لسان يهوذا :

" لا شك أن الأمر كما قلت أنا , و إنك تنوي فعل الفاحشة بأخينا " لذا فأجعل كلماتي
التي سأقوها لك الآن , تجرد طريقها إلي قلبك " .

والكاتب يقول في مكان آخر^(٢) إن طوفيار - الذي اشترى يوسف - كان يسعى لامتلاك
الشباب الجميل لغرض ديني في نفسه , و لكن الملاك جبريل أعجزه علي نحو لم يستطع معه انفاذ
غرضه الديني !! .

وبدأ يهوذا يهدد حاكم مصر (يوسف) تهديداً مبطناً فقال له :

" إنه لأجل جدة هذا الغلام - يقصد سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام - أصاب
فرعون , و آل بيته الطاعون , لأنه احتجزوها في بيته ليلة واحدة رغماً عنها .

وماتت أمه (راحيل أم يوسف و بنيامين) بسبب دعوة دعاها عليها أبوه (يعقوب) في
لحظة طيش .

فلتحذر إذاً لكيلا تصيبك لعنة هذا الرجل (يعقوب) بل وتقتلك .

وجعل الكاتب , يهوذا يرفع وتيرة التهديد , مستعرضاً لقدراته هو وإخوته فقال : لقد
دمر إثنان منا مدينة كاملة من أجل امرأة واحدة^(٣)

واستمر كاتب هذه القصة التوراتية يدير الحوار بين يهوذا ويوسف حتى أوصلها إلي طريق
مسدود ... ولم يجعل أمام يهوذا إلا استخدام القوة ضد يوسف لتحرير بنيامين , وكان لابد من
إدخال الرعب في نفس يوسف - إذ خاطب يهوذا إخوته يسمع من يوسف قائلاً:

"كونوا شجعاناً وتصرفوا كالرجال , وليظهر كل منكم بطولته , فالظروف تتطلب منا أن
نفعل ما في وسعنا " ثم جعل كل واحد منهم يتحدث أو يستعرض قدراته البطولية ليرهبهما^(٤)
يوسف وكان لكل منهم قولته: كالآتي :

(١) و هو في الوقت نفسه يعطي دلالة عما منقتر في التفكير المؤلف الذي يعكس رؤيته للمجتمع اليهودي و الثقافة
الساندوفيه ناحية الجنس .

(٢) ص ٤٣ من نفس المرجع السابق

(٣) يشير بذلك إلي قصة إغتصاب حمور بن ملك شكيب لدينا بنت يعقوب - حسب الرواية التوراتية .

(٤) المرجع السابق ص ٩٩

* يهوذا : " لأرفعن صوتي و ليدمرن مصر " .

* شعون : " لأرفعن ذراعمي ولأهونها به من الوجود " .

* لاوي : " لأستلن سيفي من غمده و أذبح به سكان مصر " .

* زبولون : " لأجعلنها مثل عمورية " .

* دان : " لأحولنها إلي صحراء " .

وهنا يستوجب علي أن أتناول أمرين هامين أمكن إستخلاصها من حديث إخوة يوسف .

الأمر الأول : قول يهوذا : " لا شك أن الأمر كما قلت أنا , و إنك تنوي فعل الفحشاء بأخينا , إنه لأجل جدة هذا الغلام – أصاب فرعون و آل بيته الطاعون لأنه إحتجزها في بيته ليلة واحدة رغماً عنها..."

فالكتاب التوراتي حتى في مجال الأدب التوراتي , لا يستطيع أن يتخلص من الإسمات الجنسية ... و هو الأمر الذي كان و ما زال يتحكم في أقلام كتاهم سواء الأقدمين الذين كتبوا أسفار العهد القديم , أو الحاخامات الذي سطوروا و نقلوا تلمودهم اللثيم أو كتاب الأدب العبري السابقين منهم و المحدثين .

فأصبحت الكتابات الجنسية لا يخلو فيها كتابة لهم و لو بالإشارة أو التلميح إذ لم يكن هناك فرصة للتصريح .

الأمر الثاني : أن هذه الصور من البطولات الخيالية الإسطورية لا تصمد أمام أي منطق عقلي , و لا يقبل بما عقل , و إن الغرض منها لا يعدو أن يكون حشواً لوجدان اليهودي أو النسخ فيه بأجداد مختلفة منسوبة للأسلاف السابقين لعلها ترفع معنويات الخلف لللاحقين و تجمعهم حول أماني القوة و السيطرة .

ثم إنه إذا كانت هذه البطولات الخارقة هي من خصائص أبناء يعقوب فأين نصيب بنيامين منها , و كيف لا يستخدمها و هو ينقاد إلي يوسف حسب كلمات كاتب القصة :

" إن يوسف اقتاد بنيامين بالقوة و حبسه في إحدى الغرف " فكيف لبنيامين إذا كان يمتلك

بعض هذه القوى الخارقة أن ينقاد مستسلاً ! ؟

ناهيك عما جاء فيما يمتلك كل منهم (من آل يعقوب) من خوارق القوة غير المسبوقة في التاريخ البشري .

و بعد أن أسرف الكاتب في وصف هذه القوة الخارقة لكل منهم , كان عليه أن يجد مخرجاً أو تبريراً لعدم تنفيذ ما هددوا به , إلا أن يزيد من جريمة تهديد يهوذا ليوسف فجعله يقول :
لئن لم تستجيب لطلبنا فلأستلن سيفي و اجندلك به أنت أولاً ثم اجندل به فرعون بعدك!!
و لكن ربما تذكر المؤلف أن يوسف هو أيضاً من أبناء يعقوب فلا بد أن يتمتع أيضاً بهذه القوة , فكتب يقول :

" بعدما أطلق يهوذا هذا التهديد أشار يوسف بيده , فدق منسي (ابن يوسف) الأرض بقدمه فأهتز القصر كله , و قال يهوذا: "لا يضرين الأرض بهذه القوة إلا واحد منا" !!
و أصابه الرعب من هذه القوة الهائلة , فاكس صوته بالرهبة , و خفف من لهجته وطريقته .

هنا يكشف الكاتب الروائي بجلاء خبيثة النفس اليهودية بين حالتين :

حالة القوة : إذا أمكنه أن يحطم الأرض و يسقط النجوم و يبيد البشر , لا يتورع .
و في حالة الضعف : ينحني علي نفسه و يقوقع و يتسول الرحمة و يستعطف القلوب .
و هذا ما جاء أيضاً في سفر يشوع .

و هذا ما يؤكد الواقع اليومي فيما نراه بأفعال الصهاينة في فلسطين و نتابع ما كتبه الكاتب الروائي التوراتي في إطلاقات خياله عن يوسف و إخوته , بعد أن ذكر يوسف يهوذا بما فعله مع كنته ثامار . إذ ثارت نائرة يهوذا , و هدد حاكم مصر (و هو لا يعرف إنه يوسف) بأنه ... لو نزع شعرة واحدة من صدره فستغرق مصر كلها في دمها !! .

فرد عليه يوسف بأن ذلك هو طبعه الدموي فقد سبق أن لطح قميصه بالدم و إقم السبع بأكله .

عندئذ استشاط يهوذا غضباً و تناول حجراً وزنه أربعمائة شاقل , رماه إلي السماء يسد واحدة , ثم التقفه بيده اليسرى , ثم جلس عليه فتحول إلي تراب !! .

و يأمر من يوسف .. فعل (منسي) ما فعله يهوذا ... !! .

وكاننا في إستعراض قدرات كسر الأرقام القياسية ...

هنا ضاق يهوذا ذرعاً بما يجري .. وعليه أن يحسم الأمر ويبلغ التحدي مذهبه .. فأمر أخيه
نفتالي أن يذهب ويحصى شوارع مدينة مصر كلها .. طبعاً لإبادتها!!

ويستمر التسلح أو الزيادة من جانب إخوة يوسف إستعراضاً لقدراهم لإرهابه بعزمهم
علي تدمير مصر !!

و لكن هل تقف الزيادة في مجال إستعراض القدرات عند حد ... ؟

لا ... بل أن منسي جمع جيشاً عظيماً من المصريين قوامه خمسمئة فارس و عشرة آلاف
رجل!!^(١)

فهل يسكت يهوذا و إخوته؟ ... و ماذا يفعل أمام هذا الجيش المتأهب لقتال الأحد عشر
رجلاً و ليس الإثني عشر رجلاً (لأن بنيامين حبسه يوسف عنوة في حجرة) !! إن يهوذا صرخ
صرخة عظيمة جعلت هذا الجيش الجرار يولي الأدبار وسقط بعضهم علي بعض ... و طارد يهوذا
وإخوته فلوله!!.

وهل يكفي يهوذا بذلك؟

لا بل إنه صرخ صرخة أخرى كان من آثارها التدميرية تقدمت من قوتها أسوار مصر
وجاسان!!

* ووضعت كل حبلتي في الأرض جنيها . !!

وكانه يوم القيامة , (يوم تضع كل ذي حمل حملها وتري الناس سكارى وما هم بسكارى)

* إن فرعون سقط من فوق عرشه !!

هكذا صور لنا الكاتب الروائي التوراتي هذه المعركة أو المشادة و إستعراض القدرات بين
يوسف و ابنه منسي من جهة و بين إخوته من جهة أخرى ... و قد أضفي عليهم الكاتب كل ما
وسعه خياله من شطحات لتصور قدرات إستطورية غير مسبوقه ولا ملحوقه في تاريخ البشر .

و السؤال الذي يطل برأسه من بين سطور كتاباته هو :

لماذا يقحم هنا المصريين ... وإهم ولوا الأدبار وسقط بعضهم علي بعض؟

(١) المرجع السابق ص ١٠١ و كانه أطلق شفرة سرية فتجمع لدية في التو و الحال هذا الجيش !!

الإجابة نجدها في عقدة اليهود من مصر و المصريين التي لم يفكها الزمان , و لن تنساها الأجيال .

فهم دائموا التذكير بما من جهة , و من جهة أخرى رفع شأن بني إسرائيل ... و الكلام في ذلك يطول .

و إن لم يتمكن اليهودية من السيطرة علي مصر أو المصريين في واقع التجارب فلا بأس أن أشبعوا غرورهم بنسج الأساطير التي برعوا فيها و إن فصتها الفعل و استمعها الفروق .

أما الكتاب المسيحيون الذين تناولوا قصة يوسف فلم يتردوا في هاوية الضلال مثلما تروي التلمودين و في وصفهم قدماً المشهد تقرأ ما كتبه (ف ب - ماير) ^(١) :

" فوجد الطاس في عدل بنيامين " يا له من إكتشاف رعب هناك علي قارعة الطريق وجد الكأس رئيس الوزراء الذي في يده سلطان الموت و الحياة , وجد محباً في القمح بكيفية تدل علي إنه مسروق . و لكن كيف أتى إلي العدل ؟ هذا ما لم يستطيع الإخوة إدراكة . فلا هم عرفوا ولا اعتقدوا أن بنيامين يعرف عنه شيئاً , كان الأمر لغزاً لم يستطيعوا أن يجدوا له حلاً ...

تذكر الجميع تردد أبيهم الغريب في نزولهم إلي مصر . و خيل إليهم يانه كان يتباً بمصيبة قادمة .

كذلك رأوا أن كل الظواهر الخارجية ضدهم . لم يكن ثمت شك في أن الكأس وجد في عدل بنيامين ... و لم يكن ممكناً لهم إلا أن يحسوا بعجزهم عن تبرئة أنفسهم أو إلتماس أي عذر , لأنه مادامت القرينة قائمة فالجرمة ثابتة .

أما الإخوة فإنهم في إنكسار قلوبهم لم يجدوا دافعاً - ليطلبوا الإلتجاء إلي الكأس أو الإحتكام إليها , أو يطلبوا أن يمتحنوا مرة أخرى إمتحاناً حاسماً لإثبات براءتهم أو أصحهم إتهم " وقعوا أمامه علي الأرض " (ص ٤٤ : ١٤) متمنين بذلك أحلام حياة و هم لا يدرون أن يكون يوسف قد إستعادت ذاكرته هذا المنظر الذي رآه في حلمه قديماً .

و لكن من ذا الذي يتقدم ليكون الناطق بلسانهم ؟.

كان رأوبين يميل دوماً إلي تبرير نفسه . ثم إنه كان واثق من حسن النتيجة حتى إنه ضمن سلامة بنيامين بحياة بنية , و لكنه لزم الصمت .

(١) مرجع سابق ص ٩٧ - ١٠٢ باختصار

و شمعون كان علي الأرض هو الخروض للجريمة ضد يوسف و لكنه لم يتجاسر علي النطق
بإية كلمة .

و بنيامين البرئ الذي يكفل ذلك الشاب الذي أحبه يعقوب . قد ضبط متنسباً بالجريمة .
و لم يكن لديه ما ينطق به .

لم يكن هناك سوي يهوذا ... لم يحاول تقديم ظروف مخففة أو تفسير الماصي أو تلمس
المعاذير لبنيامين أو نسانتر الإحوة , إنما ارتقي بكلمتين علي رحمة يوسف " ماذا نقول لسيدي , ماذا
نتكلم و بماذا نبرر ؟

إصرارهم عني قلب الحقائق و إختلاق الأكاذيب ولا يخجلون من وصوح كذهم
وإفتراءاتهم حتى علي نصوص الكتاب المقدس .

ومن ذلك ما أورده الكاتب التوراتي عن ابنه دينه من همور (اسينات) وزوجها من
يوسف وهي موضوع أنبخت التالي

المبحث الثالث

{ بر الوالدين و حقوقهم في حياة يوسف و إخوته }

البر قيمة دينية من القيم الجامعة وهي أغزر الكلمات الإسلامية وأدقها تصويراً لمدلولات واسعة تشمل كل مناحي الخير الذي يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان: (الفقير , و المسكين , واليتيم , والضعيف , والأرملة وكل محتاج).

فالبر إحدى الصفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها فكل عمل صالح أو نية طيبة أو سلوكاً ممدوحاً إنما هو شعبة من شعب البر.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن البر والإثم فقال صلى الله عليه وسلم " استفت قلبك , البر ما اطمأنت إليه النفس , و اطمأن إليه القلب".

و كلمة البر في ظل الأخلاق الإسلامية بلغت ذرا الرقي و صعدت إلى أرقم الاختلاجات , فليس هناك معنى من معاني الخير ولا سلوكاً إيجابياً إسلامياً إلا وله ارتباط بالبر , و قد جمع الله تعالى قواعد البر في الإسلام و ربطه بالإيمان وقواعد السلوك , و كل كمالات القيم الإيجابية في آية واحدة من سورة البقرة - إحدى إعجازات البيان - في آية البر :

{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } ١٧٧

وآية البر هذه هي أجمل الآيات في تحديد معنى البر من النواحي الواقعية والعملية والعلمية والسياسية والاجتماعية , فهي ترشد فيما ترشد إلى أن " البر " لا يرتبط بشيء من المظاهر والصور والأشكال وإنما يرتبط بالحقائق و روح التكليف فأشتملت الآية على جعل عظمة و قواعد عميقة و عقيدة مستقيمة , و من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها , و أخذ بمجامع الخير كله^(١).

(١) أحمد عبد الرحيم السارح - الفضيلة و الفضائل في الإسلام ص ١٢٨ سلمة مجمع البحوث الإسلامية

أرقمي معان البر:

ويكتب البر أجمل معني وأرقاه إذا كان البر لذوي الأرحام و يبلغ ذرا الرقي إذا كان هذا البر موجه للوالدين فهو بر الأبرار الذين أبروا أبنائهم عند ما كانوا صغاراً فتحملوا في تربيتهم المشاق والمصاعب وتكبدوا العناء والمتاعب , فتعبوا لإسعادهم , فكم سهرت الأم وأمهدت و كم شقي الأب وكدح فجلب الهناء والفرح لهم؟

إقتران بر الوالدين بعبادة الله بل بتوحيده :

وبر الوالدين يأتي في مقابلة , عقوق الوالدين , فإذا كان بر الوالدين هو ذرا الرقي من القيم والفضائل , فإن عقوقهم هو الدرك الأخط. الأسفل من بين القبح والردائل.

وإعلاء لفضيلة بر الوالدين , فإن الله سبحانه وتعالى قرنه بعبادته بل بتوحيده فقال تعالى:
"فأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً , وبالوالدين إحساناً" النساء ٣٦

بر الوالدين يفضل الجهاد:

جعل الإسلام , بر الوالدين و السعي في سعادتهما أفضل من الجهاد في سبيل الله , كما جعل رضاء الله في رضاها و سخطه في سخطهما .

أقبل رجل إلي رسول الله فقال : أبايك علي الهجرة و الجهاد , و أبتغي الأجر من الله تعالي , فقال: "هل من والديك أحد حي , قال : نعم بل كلاهما , قال: أفيتغي الأجر من الله؟. قال نعم. قال: فأرجع إلي والديك فأحسن صحبتهما^(٢).

وفي رواية أخرى في البخاري , عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما , قال : قال رجل للنبي صلي الله عليه و سلم : أأجاهد ؟ قال ألك أبوان ؟ قال : نعم , قال : ففيهما جاهد .

وعن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه , أن رجلاً قال : يا رسول الله ما حق الوالدين علي ولدهما ؟ قال : هما جنتك و نارك " رواه ابن ماجه .

قرن الله شكره بشكرهما:

(٢) رواه مسلم

في سورة لقمان , جعل شكر الشاكرين لأنعمة التي لا تحصى مرتبطاً ومتماً لشكر الوالدين , والوقوف بين يديهما موقف الذي يستجديهما الرضا , فقال تعالى : " إن أشكر لي و لوالديك إلي المصر".

و جاء في بعض المرويات أن رجلاً من بني سلمة كان باراً بأبويه , فلما ماتا جاء إلي النبي صلي الله عليه و سلم , و قال : يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاقمسا ؟ قال : نعم , الصلاة عليهما و الإستغفار لهما , وإنفاذ عهدهما و إكرام صديقهما , و صلة التي لا توصل إلا بهما .^(١)

هكذا يعلمنا الإسلام إن البر يكون للوالدين أحياءً وأمواتاً .

بر الوالدين من مكفرات الذنوب:

فمن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلي الله عليه و سلم , فقال : يا رسول الله , إني أصبت ذنباً عظيماً , فهل لي من توبه ؟ .

قال : هل لك من أم ؟ قال لا . قال ألك خاله ؟ قال نعم , قال فبرها" رواه الترمذي

إقران عقوق الوالدين بالشرك بالله:

كما اقرن بر الوالدين بعبادة الله سبحانه

"وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً".

كذلك قرن عقوقهما بالشرك به

ففي الحديث النبوي :

" ألا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالها ثلاثاً .

قالوا : بلي يا رسول الله .

قال : الإشراف بالله و عقوق الوالدين "

فأين يقف يوسف و إخوته من فضيلة البر ؟

(١) هاشم معروف الحسيني - صور مشرقة من وحي الإسلام ص ١٠٣ دار التعليم - بيروت

لا يحتاج العقل إلي بعيد سفر ليصل إلي المواقف التي تبرهن علي بر يوسف لأبيه ... فهي متعددة ... و متناثرة في السورة من بدايتها إلي نهايتها , فبر يوسف بوالده واضح بين من أول السورة منذ أن كان يوسف صغيراً .

فعندما كان صغيراً : يستمتع بقربه من أبيه و دفء حنان أبيه وهذا ينعكس في مخاطبة يوسف لأبيه .. فتأمل قوله له : " يا أبت ... "

(يا أبت ...) ما أجملها كلمة و أعذبها جرساً في أذن أبيه , أن أباه ليطرب و يسعد بهذا النداء الحبيب إلي قلبه ... (يا أبت) هو غاية البر الذي يملكه يوسف وقتل ... و يعبر عن فيض حبه لأبيه .

ويرد عليه أبوه بقوله (يا بني) .. كلمتا النداء من الابن لأبيه و من الأب لابنه ... كلها تدل علي فيض العاطفة بينهما وحرارة الحب و المودة .

وذلك جعل يعقوب يفرغ كل حبه ليوسف حتى إنه لا يحتمل أن يغيب يوسف عن عينيه : " قال إني ليحزنني أن تذهبوا به , و أخاف أن يأكله الذئب ...

لا يستطيع أن يغيب يوسف عن عينيه ... أو يفارقه .

وانتهت علاقة يوسف بأبيه مبكراً ... يالقائه في غيابت اجد وهو ابن سبع عشرة

عاماً...

وكلاهما لم ينسى الآخر ... يعقوب ... نعلم مدى حزنه { ... وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِيتَتْهُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } ٨٤

{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ٨٦

{ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } ٨٧

ومضت السنوات الطوال علي فراقه و ما يزيد طولها إلا شوقاً و لهفة ولكنه كان علي يقين إنه سيلقاه يوماً ... و تتحقق له الرؤيا ... و لكن متى ؟

وكذلك كان حال يوسف ... شوق إلي أبيه و لهفة ... و حفظاً لمهده و إنتماً بخلقه حتى في موقفه من امرأة العزيز .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

ففي موقفه من امرأة العزيز :

و في قوله تعالي {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَرَسِرَفَ عَنْهُ
السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِنِينَ } ٢٤

كانت القوة الدافعة له في موقفه الشجاع العنيف هو إيمان عميق بربه ملأ جوارحه و ملك
عليه نفسه .

و يقول بعض المفسرين - أخذاً من كتب أهل الكتاب - إنه رأى أبوه يعقوب في هذه
اللحظة فنهزه هذا - و هو تأويل يري بعض الكتاب الأعراض عنه أولى - لكن الذي يستحق أخذه
في الإعتبار هو وفاء من ألوان البر بأبيه حتى لا يندس إسم أبيه الذي يقترن به إسمه .

كان هذا هو البر بأبيه في غياب أبيه .

ليس من بر الوالدين ... الإستقامه في السلوك الذي يرضى أبيه .

و إلتزامه بعقيدة أبائه - هي من البر - إذ كانت هذه العقيدة هي الضابط الآمن الذي
حكم تصرفاته و مسيره في حياته , و ملك عليه جوارحه حتى خلجات نفسه و هو أحسن حياله ..
فأنظّم علي ذلك سلوكه و تقوم .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

و كان باراً بإخوته لأبيه بعد أن مكن الله له :

{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ
اانْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ أَلَّا تَرَوُنَّ أَنَّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ
لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَتَرَاوُدُ عَنْهُ آبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ } ٥٨ - ٦١

توضح لنا الآية أن يوسف - عليه السلام - عرف إخوته و لم يعرفوه , وذلك أمر طبيعي
لأنه غاب عنهم و هو صغير ... ثم كبر لتغير شكله . و تغير موقعه و شأنه ... أما هم فكانوا
رجالاً ثبت شكلهم هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إن الأطفال تتغير أشكالهم في حالة غوهم , كما أن ذاكرة لاوعي الطفل تحويه حداً , يرسخ داخلها أشكال الناس و أقوالهم بشكل نشط بل أقوى من ذاكرة الكبار , لذلك عرفهم عليه السلام مباشرة حيث استخرج من أرشيف الذاكرة هيئة إخوته^(١).

و هم الذين كادوا له و تأمروا عليه . إنه الآن صاحب منصب و سلطان .. ماذا يفعل بعد أن عرفهم .. و هم الآن في قبضته و تحت نفوذه و إرادته ؟

الآية التالية {وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ }

أي بعد أن أكرمهم .. و أعطاهم مؤنتهم فإنه بذلك بدأهم بالعدل و الإحسان و أوجد بذلك طريقاً إلي عقولهم و قلوبهم أراد أن يطمئن علي أن أخيه بنيامين ما زال حياً و كذلك أبوه فقال لهم – بالتأكيد بعد أن تسامر معهم و أعطاهم الأمان و أزال من نفوسهم الراهبة . فحدثوه عن أبيهم و أخ لهم من أبيهم – (أريد أحاكم من أبيكم) مؤدى هذا الطلب وجهين .

الوجه الأول : إنه ليزيدهم من المؤن بدليل قوله لهم { لَا تَرَوْنَ أَنِّي أُولِي الْأَكْبَالِ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُرَلِّينَ } ٥٩

و الوجه الثاني : حتى يحضروا أخوه بنيامين فيطمئن عليه ليعلم منه أحوال أبيه و هذا منتهي البر بأخوته لأبيه .

و منتهي البر لأخيه بنيامين

و قبل هذا و ذاك البر لأبيه فهو الأصل .

و يستمر بر يوسف بأبيه متدفقاً فياضاً في تصاعده و ترقية حتى إنه :

{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ } ٦٢

فكانت العلة في جعل بضاعتهم في رحالتهم هي علتين إحداهما مترتبة علي الأخرى (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلي أهلهم) هذه هي العلة الأولى أي المقدمة ثم كانت العلة الثانية التالية (لعلهم يرجعون).

و كان من أوجه تفسير ذلك كما سبق توضحه :

(١) نسبه عبد العزيز العلي المطوع – مرجع سابق

* إنه خشى أن لا يكون عند أبيه دراهم إذ كانت السنة بسنة جدب و قحط . فيضطر أخذ ذلك منهم به .

* أراد أن يتمتع به أبوه وإخوته مع حاجته إليه فرده عليهم دون أن يشعرهم عنه عليهم أو تفضله .

* ليكون أدمى إلي عودتهم إليه إذا وجدوا في رحابهم من طعام قد قبضوه فيتخرجوا من مساكنهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤديه علي صاحبه .

أليس في ذلك البر في أعظم و أجل صورة ... ! ؟

لقد أحس إخوة يوسف بذلك البر ... و لكنهم فسروه يانه إحسان و ليس بر ذوى القربى لأنهم حتى هذه اللحظة (وهم له منكرون)

وإنهم {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ... } ٦٥

لقد عاينوا الإحسان في موطنهم عن بعد من صاحب الإحسان (يوسف عليه السلام) واستيقنوا إنه محسن حقيقي مع عدم المطالبة بالمقابل , فأحسن يحسن لمن أساء إليه بدون مقابل , وهذا ما فهموه من سلوك يوسف عليه السلام , لقد أعطاهم الطعام بلا مقابل و بدون عقد , وبدون تسديد فواتير , وبدون ضمان^(١)

و يتصاعد بر يوسف بأهله متمثلاً في إحتفائه بنيامين .

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ٦٩

ما وجه البر في إنه آوى إليه أخاه ؟

يمكن أن نقول إنه ليس وجه واحد عليه ... بل أوجه متعددة يمكن أن نرى منها .

* إنه الاشتياق إلي بنيامين و الرغبة في الإستئناس به و الوقوف علي حاله و حالة أبيه . ليري ظروف أبيه و أهله كلهم من خلال عيني بنيامين .

* إنه الخوف عليه من أن يغدر به إخوته كما غدروا بيوسف من قبل ف يريد أن ينبهه إلي الحيلة .

(١) نسبية عبد العزيز المطوع - مرجع سابق ص ١٢٩

* إنه أراد أن يتفق معه علي أفضل وسيلة و أقرب طريقة للشملة وإصلاح حال ونفوس , إخوته .. و تقديم ما أعوج فيها و تغييرها مفهم إلي الأفضل و طريقة استبقائه معه وإستخدام بقية الأهل .

و لم يقف بر يوسف بأهله عند حد .

فعندما كشف لهم عن نفسه :

{ قَالُوا أَيْنَك لَأْتِ يُوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ٩٠

لم يترك لحظة التعاريف هذه تضيع في الجاملات أو العتاب و الحديث عن الماضي , بل إجابة الإجابة المباشرة (أنا يوسف و هذا أخي)

ثم قام يشكر الله لما من عليه من نعم ثم اعطاء الدرس الدعوي إلام بتعريفهم بأحد القوانين الإلهية الهامة الباقية علي طول الزمان

{ ... إنه من يتق الله و يصبر كان الله لا يضيع أجر المحسنين }

و لم يكن أمامهم إلا الإعتراف الذليل بالخطأ

{ قالوا إنا لله لقد آترك الله علينا و إن كنا لخاطئين }

هنا يسعفهم يوسف من وهجة الذل ... و يحفظ عليهم ماء وجوههم و يفيض عليهم البر فيضاً لا يتركهم في حالة إنزعاج أو خوف أو يعتصرهم الندم و يسود وجوههم الحزى (قال لا تثرىب عليكم اليوم)

لا حساب ... ولا عقاب , ولا حتى عتاب أو لوم ...

أدب إلهي .. لقد وعى يوسف القانون الإلهي الذي يقرب القلوب و يملأها حب وود و صفاء لقد .. وعى قوله تعالى:

{ ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } .

(لا تثرىب عليكم اليوم) كلمات أو قرار لا أقول صك عفران - بل هو التسامح السذي يزرع من نفوسهم كل غل و ينقي قلوبهم من كل حسد , و يزرع فيها وينمي الحب و الشر - لقد

عاجلهم يوسف بكرم ، وراع فيهم آحدة الأخوة و وشيخة القراية - إما صلة الرحم . و لم يذلم
بعتاب أو يحجلهم بتأنيب - إنه صفح الأقوياء الأجزاء أصحاب المروءة .

زاد يوسف من بره أكثر وأكثر فكأن منه الإحسان يانه لم يكتف بهذا القرار ... بل توجه
بالدعاء لهم .

(... يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين) .

بالك نبي الله يوسف .. من بر كريم .

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

للسائلين عن كيف يكون البر ... و لمن يكون .

لقد أعطي يوسف المثل و القدوة لإخوته و لأبنائهم من بعدهم . يُعرفوا الصفات الكمال
... و البر .. و الرحمة ...

ثم إنه في هذه اللحظة ... لحظة البر بهم ... و ما كان بره بهم إلا براً بوالده فما هو يبراً
أباه فيقول :

{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيْرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ } ٩٣

بعد أن أسر يوسف إخوته بيره و كرمه أقرب من قلوبهم و أزال الحقد من نفوسهم ..
فأصبحوا منه قرييون و لقلبه محبوبون .. لذلك فإن أمرهم فهم الطائعون .

و نجد في هذه الآية الكريمة (٩٣) يصدر لهم ثلاث أوامر ..

(اذهبوا بقميصي هذا) .

(فالقوه علي وجه أبي) .

(و أتوني بأهلكم أجمعين) .

و نلاحظ في النص إنه - عليه السلام - قال فالقوه علي وجه (أبي) ولم يقل (أيكم) ،
و لم يقل (أبانا) .

ففي لفظه (أبي) دلالة علي شدة شوقه لأبيه و هذا من فرط حبه لأبيه و لهفته إليه .

أما لفظة (أهليكم) ولم يقل أهلي .. لأن يقصد أولاد أخيه و أزواجهم وهم أهل إخوته ...
و خاص بهم .

و لكن مجمل ما يستفاد من الآية إنه البر بأبيه و إخوته و أهلهم أجمعين .. و البر هو عطاء
دون مقابل إلا ما يشعر به البار من راحة للنفس ... و رضاء في القلب .

و ذهب إخوة يوسف بقميصه و نفذوا ما أمر به يوسف ... ليس كحاكم صاحب جواه
وسلطان و بيده الأمر و النهي .. و لكن كأخ كريم و محسن متسامح بار بأبيه و أهلهم أجمعين ...
فماذا حدث لحظة لقاء يوسف مع أبيه ... ؟

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } ٩٩

كما إن يعقوب و أبناؤه و أهلهم أجمعين دخلوا مصر و كان عددهم حسب روايات
التوراة إنهم كانوا سبعين نفساً و سموهم . و لما أقتربوا من المكان الذي أعده يوسف لاستقبالهم في
أقليم شرق الدلتا - فض يعقوب واقفاً يتوكأ علي ابنه (يهودا) و عينيه تفحص مواكب الا
و تتصفح الوجوه لتقع أخيراً علي وجه يوسف الحبيب .

(فلما دخلوا علي يوسف آوي إليه أبويه) فأقبل علي أبيه يعانقه في شوق مضطرم و بلهفة
الظمان يريد أن يعرض حرمان السنين منه .

كان مشهداً رهيباً مهيباً ولقاءً مثيراً هز وجدان جميع الشهود و لبروعة المشهد و هيبة
الموقف و رهبته - اجتمع يوسف بأبويه (آوي إليه أبويه) و حدتها دون إخوته ليمتزج القلبان
الملهوفان و تذوب ذاتهما في بعضهما فقد توحدت مشاعرهما

(و قال إدخالوا مصر إن شاء الله آمنين) و أمنهم من كل شيء فقال لهم اسكنوا مصر إن
شاء الله آمنين من الجهد و القحط آمنين من إفتراق الأبن عن أبيه .. آمنين أن يروع الشيطان بين
الأبناء ..

ذلك سنام البر و ذروته من يوسف لأبيه ولإخويه ولم يكتف يوسف بذلك يوم اللقاء
العظيم (ورفع أبويه علي العرش) تكريماً لوالديه أجلسهما معه علي السرير سرير العرش.

وحسب رواية التوراة فإن امه راحيل ماتت يوم أن ولدت بنيامين وإن التي رفعها مع أبيه علي العرش هي خالته لينه و الخالة هي بمرلة الأم وقال ابن جرير وآخرون أن ظاهر القرآن يفرض بقاء امه إلي يومئذ فلا يعول علي قول أهل الكتاب فيما خالفه و هذا أقوي والله أعلم^(١).

(وخرجوا له سجداً) أي سجد له أبواه و إخوته الباقون تعظماً و تكريماً و كان هذا مشروعاً

لهم .

و هنا يمكن أن نلخص هذا المشهد الإنساني الرائع وحده أعظم مظاهر البر بالوالدين .

١- إهتمام بالاستقبال و التكريم بأعظم و أروع الاستعداد في هفة و شوق .

٢- الحفاوية البالغة بأبيه و من معه بتقديم أجمل آيات التكريم .

٣- إختصاص أبوية بالإيواء معه منفردين ليطفئ نار شوقهما و منهما

٤- هينة كل وسائل الإقامة الآمنة لهم في مصر .

٥- رفعه أبوية علي العرش تعظيماً و إجلالاً و تقديراً لقدرة و مكانته

و بقي آل يعقوب (بني إسرائيل) في مصر ينعمون بخيراتهما و ينعمون في رحابها .. تفرهم

النعمة و يعمهم الثراء و يرحون في حناها حتى شاع فيهم الفساد و بطر النعم .. فأرسل إليهم الله

بعد ذلك موسى من نسل (عمران بن لاوي)

(١) قصص الأنبياء - ابن كثير - تحقيق ايمن صالح شعبان - ص ١٨٣ - المكتبة التوفيقية

خاتمة القصة و خاتمة السورة

أروع ما ختمت به القصة والسورة

(وهي إعجاز من إعجازات القرآن اللامحدودة)

كما جاء في المقدمة , فقصة يوسف وردت كاملة في هذه السورة التي تقع في مائة واحد عشر آية , (وهي عدد السنوات التي عاشها يوسف - حسب بعض الأقوال) و منذ أن تبدأ قصة يوسف تسير مفصلة حتى تنتهي . فما وقع له مع إخوته و ما حدث له في مصر بعد شرائه وتربيته , و مراودة امرأة العزيز له و سجنه , و تعبيره رؤيا خادمي الملك , ثم تعبيره رؤيا الملك و خروجه - و ولايته علي خزائن الأرض , و مجيء إخوته و عودتهم , و مجيء أخيه و عودة إخوته لأبيهم بدونه , و كمال القصة بقدوم أبيه و أهله ... كلها تفصل تفصيلاً دقيقاً لأن التفصيل مقصود .

أولاً : لإثبات الوحي و الرسالة كما أسلفنا .

و ثانياً لأن لهذه التفصيلات قيمتها الدينية في القصة ^(١) و قد صارت القصة و كأنها هي تأويل للرؤية , و لما توقعه يعقوب من وراءها حتى إذا تحققت إنتهت القصة ^(٢) .

قدم لقصة يوسف في هذه السورة بثلاث آيات ثم تلاها قصة يوسف بعد ذلك كاملة في ثمان وتسعين آية . ثم توجه يوسف بعدها الي الله بالشكر والحمد والدعاء والرجاء في بقية السورة من خلال العشر آيات الأخيرات حيث توجه يوسف الي الله الي رب العالمين :
شاكراً لافضاله . حامداً لآلانه , معترفاً باحسنانه مؤمناً بقدرته و حكمته داعياً وقائلاً :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

(١) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن ص ١٣٧ دار المعارف بمصر
(٢) المرجع السابق ص ٥٠

لقد تحقق ليوسف ما أراد برجوعه إلي أهله , بل برجوع أهله اليه , و هو المعزز المكرم ...
عزيز مصر ... و كريمها .

وتحقق لجمع آل يعقوب الدخول الي مصر آمنين .

وتحقق لمصر و من حولها . السلام و الآمان .

كل ذلك بفضل الله ... و رعايته و لطفه ... مما يسوجب علي يوسف أن يتوجه الي الله
بكلية شاكراً حامداً لله فضله فراح يعدد نعم الله عليه الظاهرة (رب قد آتيتني من الملك , وعلمتني
من تأرييل الاحاديث).... (ومن) في الحالتين للتبعيض .

فانت يارب القادر القاهر (فاطر السموات والارض).

أنت كنت ولي في الدنيا ... انت كذلك ولي في الآخرة .

(أنت ولي في الدنيا والآخرة).

كل تلك النعم العظيمة بنضلك وإعناك .. فيارب أسبغ علي أعظم وافضل نعمك وهي
دعوتي اليك: (توفي مسلماً والحقني بال صالحين) ويقصد بال صالحين آباءه الأولين إبراهيم وإسحاق
ويعقوب .

قال قتادة : لم يتمن الموت أحد نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه
النعم وجع الشمل اشتاق الي ربه عز وجل وقيل أن يوسف لم يتمن الموت وإنما تمني الوفاة علي
الاسلام⁽¹⁾ تلك هي قصة يوسف , وإن كانت أنتهت بجمع شمل آل يعقوب , وزال ما بنفوسهم من
حقد علي يوسف أو كيد له , فما زال للقصة أثر باقيا كمبرة وعظلة , ففيها آيات وآيات في كل
مناحي الحياه لمن يريد أن يعتبر .

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين)

فالعبرة في هذه القصة أو جوهر الخطاب إنه موجه الي محمد صلي الله عليه وسلم , لأنه لم
يكن مع يوسف واخوته , ولا عاصرهم.

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون).

(1) القرطبي مجلد ٥ ص ٣٤٩٨

وكما هو موجه الي محمد صلي الله عليه وسلم فهو أيضا موجه الي دعاة الاصلاح من أمة محمد صلي الله عليه وسلم (وما اكثر الناس ولو حرصت المؤمنين) أي انك لن تقدي من حرصت وتعلقت نفسك بمديتهم . (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) وانك يا محمد تبدل جهدك وتحرص كل الحرص علي هدايتهم لتفهمهم وانتشلهم من الضلالة , ولا تطلب منهم اجرا علي ذلك , ان اجرك الا علي الله , ولو كانوا يعقلون ذلك لإبتعوك لما فيه مصلحتهم , لان ما يعلمهم آياه إنما هو القرآن , الذي فيه نفع وذكر للعالمين , وقد جعل الله الذكر في ل القرآن فكل آياته ذاكرة لله مذكرة به .

(وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعْرَضُونَ ﴿١٠١﴾)

كثيرة جدا آيات الله في السموات والارض من آيات كونية وآيات معجزة , يمرون عليها ولكنها لا تستوقفهم , ولا يتدبرونها لإفهم لا يريدون التدبر بل هم يعرضون عنها رغم وضوحها ونطقها بقدرة الله وعظمته. إن الانسان محدود القدرات في النظر والسمع والعقل وحتى عقل الانسان محدود وسنوات النضج العقلي أيضاً محدودة ... أما الكون وما به من آيات غير محدود وعلم الانسان بما في الكون جد محدود ... رغم أن الآيات كثيرة منها الواضح البين وكثير منها أيضاً الغامض المبهم ... لا يعلمها إلا العالمون من وهبهم الله القدرات العقلية وآيات الله الكونية لا حد لها ولا عد ... لم يعيها الانسان كلها لماذا؟

أولاً : لأن العقل المحدود القدرات والحواث المحدودة الامكانيات لا تتمكن من ذلك مع اختلاف بين البشر في القدرات.

ثانياً من الناس من لا تشغله آيات الله في الكون , هو لا يريد أن يشغل ذهنه بها , لإنه مشدود إلي ما في الحياة من مباحج ومتع فهو يمر عليها (علي هذه الآيات) وهم معرضون كيف ؟

* يرون الحق فيحيدون عنه .

* يرون النور فيعرضون عنه.

* يرون الطريق المستقيم فيبعدون عنه.

هؤلاء هم من علي شاكلة أخوة يوسف هم أبناء بني اسرائيل.

(وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) آية ١٠٦ .

فيها تنبيه وتحذير إلي أن الشرك يتسرب الي قلوب الناس حتي الذين يؤمنون بوجود الله وقدرته ... فالشرك يتلبس عليهم في أمور كثيرة . عندما ينسبون أي عمل أو قدرة إلي غير الله أو يطلبون العون والمساعدة من غير الله أو يعظمون غير الله , أو يعجبون بقوتهم , وإمكاناتهم في تصريف الامور وأن الشرك ظلم كبير وله عواقب زعذاب أليم :

(أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله , أو تأتيهم الساعة بغتة , وهم لا يشعرون) .

أفأمن هؤلاء المكذبون عقوبة من عذاب الله تغشاهم وتسلهم؟

أو تأتيهم القيامة بأهواها فجأة من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون ؟

والاستفهام إنكاري وفيه معنى التوبيخ^(١)

" لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

(قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من

المشركين) .

قل يا محمد لاهل مكة إن ملة إبراهيم هي ديني وأنا أدعو اليها أنا ومن آمن بي , يدعون

إلي الله أيضا علي بيان ورحمة واضحة^(٢) ترهه سبحانه عن الشركاء والانداد

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ

يَسْمُرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ

الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾) آية ١٠٩ .

لم يرسل الله رسلا إلا رجالا - أي (المرأة لم تكن أبدا رسولا) فالأنبياء لا يكونون نساء

ولا ملائكة وهذه الآية ترد علي من أنكر أن يكون النبي من البشر , لان مهنة الرسول أن يلبسهم

(١) تفسير الصابوني مرجع سابق ص ٥٩

(٢) تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٢٠٤

بالعالم (المتجمع) التحام بلاغ _ ولم يسأل الحق أيا منهم , ولم يستأذن من أي واحد الرسل السابقين بل تلقي التكليف من الله دون اختيار منه وكل رسول مكلف بأن ينقل ما يبلغ به .

ولم يوجد رسول مفوض ليبلغ ما يجب أو يشرع , وأن هؤلاء الرسل (من أهل القري) .
لأنهم أهل رقة وعلم وأدب في تناول وتعامل ولينظروا في رقة الارض وينظروا نظرة اعتبار , ماذا حدث للمكذبين بالرسل , إنهم سيجدون أن الهلاك والعذاب حاق بكل مكذب .

ولو اعتبروا وآمنوا لكانت لهم دار الآخرة خير . أفلا تعقلون فؤمنون!!^(٣)

(حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا

فَنُجِّىَ مِنْ نَشَأٍ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٠﴾

يأس الرسل من اجابة القوم تيقنوا من تكذيب قومهم بما جازا به من الله جانهم العذاب
بهلاك قومهم ونحي من نشاء (الرسل ومن آمن بالرسل) ولا يرد عذاب الله عن القوم المشركين^(٤)
(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين
يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).

أي لقد كانت في قصة يوسف واخوته _ أو في قصص الامم _ كل العبرات والعظات
لكل زني عقل وكذلك في كل قصص القرآن .

ولم يكن ما أوحينا اليك (بحديث يفترى) أي بحديث كذب بل هو الحق المصدق بين يديك
(أي تصديق التوراة والانجيل) وهو الظاهر في آياته في القرآن الذي بين يديك (آيات الله المقروءة)
والظاهر في آياته الكونية (القرآن المنظور) ففي آيات القرآن تفصيل كل شئ وليس مجملا أو عاماً
فصل وميز بين الحلال والحرام ووضح الشرنع والاحكام ففیه الهدى لمن أراد الهدى , وفيه الرحمة لمن
آمن بالله ورسوله والقرآن , فلمن أتبعك الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .

ومن آيات الاعجاز القرآني , ان جاءت سورة يوسف مبتدأه بقوله تعالي: (الم تلك آيات
الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا
اليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) .

(٣) تفسير الشعراوي ص ٧١٢٩ و ما بعدها بتصرف

(٤) تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٢٠٤

وبعد ذلك استمر سرد واحداث القصة حتي نهايتها وختمت السورة بقوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

والتأمل لمقدمة السورة ، وختامتها ، يري توافق البداية والختام في القصة ، كما يري توافق
البداية والختام في عبارات السورة .

فمن يعمن النظر في كل مواقف او وقائع القصة واحداثها يجد إنها تناولت كل شيء يعين
الانسان في حياته وما يتساءل الانسان عن اي شيء في اي مجال من مجالات الحياة الا وجد فيها ما
يرد علي تساائله حقا:

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين)

فهذه السورة بجانب إنما كانت لتسليمة محمد صبي الله عليه وسلم وتقوية عزمه، ايضا هي
دروس وعبر للنبي وللمؤمنين ودروس لهم لتعريفهم بأخلاق وطباع اليهود لما كان في علم الله إنه
سيهاجر الي المدينة وفيها يهود سيكيدون كيداً له كثيرا.

فهي لكل السائلين عن طباع واخلاق بني إسرائيل .

أرجعوا الي هذه السورة العظيمة وتدبروها

(لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين)

بنوا اسرائيل الذين استوعبوا واختزنوا في اعمالهم كل ما كان من اخوة يوسف مع
يوسف قبل توبتهم ثم اجترؤه بعد ذلك وأخرجوه سلوكاً لهم اتبعوه خلال تاريخهم الطويل
حتي أصبح طبعاً فيهم وعلامة عليهم.

لهذا يثور تساؤل هام عن أخوة يوسف ، وتصنيفهم ، أو الحكم عليهم هل هم

أخيار أم أشرار؟

نحن نسلم لأنهم أعترفوا إنهم كانوا خاطئين وتابوا إلى الله، وقد عفا عنهم أخوهم يوسف ،
وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم.

ونعرف الظروف التي أحاطت بهم وربما أرغمتهم على الاعتراف بالخطأ وطلب العفو
..... والله أعلم بما في قلوبهم.

لكن محصلة أعمالهم ومواقفهم علام تدل؟

هل علي توالف صفة الخيرية أم الشرية؟

نبدأ مناقشة الأمر بكل الموضوعية وأياً كانت النتيجة ، إنهم خلفوا من بعدهم خلف
أضاعوا القيم وسلكوا طريق الشر الذي سلكه بنو يعقوب في البداية ، بدليل كثرة الأنبياء فيهم
وما كثرة الأطباء المعالجين لشخص إلا لكثير أمراضه أو عضالها ، وعموماً قبل أن نبدأ بمناقشة الأمر
يجب بالتذكير بأخوة يوسف ثم تحليل مواقفهم لهم:

أولاً: عددهم أحد عشر أختاً ذكراً وأنثى واحدة وجميعهم أبوهم يعقوب لكن لعلات أربع.

ثانياً: أن أخوة يوسف الذين كادوا له فهم جميع أخوته ذكور من أبيه ، وما عدا بنيامين

شقيقه.

كانت بداية ذكر إخوة وسف في سورة يوسف في الآية السابعة:

"لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين "

ثم جاء في الآية الثامنة:

(اذ قالو ليوسف وأخوه أحب إلي أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) وهي بمثابة

مقدمة لحديث حكم يصدر بعدها منطوقه وهو نص الآية التاسعة: {اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً
يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}.

ثم كان منهم ما كان من تآمر ، وكذب ، وخداع ، وتزوير للحقائق إلخ.

بما حفلت به نصوص آيات السورة ومجريات وقائع القصة من مواقفهم وسلوكياتهم التي

تتناهى مع السلوك السوي والذي ينم عن نفس غير سوي.

وأول علامة للنفس الغير سوية تفكير غير سوي، غير منطقي ، فعندما يتبع إنسان هواه ، ويستمر في ذلك تطمس بصيرته ، ولا يستطيع أن يواجه نفسه بالحقيقة، وتفكيرهم إنهم إذا قتلوا يوسف سيحبهم أبوهم وإنهم بعد ذلك سيصبحون صالحين!

كيف يجيبهم إذا قتلوا أعز من عندهم وهو ذو البصرة النافذة؟

وكيف يصبحون صالحين إذا ارتكبوا جريمة قتل بشعة قصداً؟

نجد هنا نموذج للتفكير غير المنطقي لأنفس عطلت قدرتها علي التفریق بين الحق والوهم ، فهم يفكرون علي هواهم ، ثم يتهمون والدهم يانه في ضلال

وبعد أن مكن الله ليوسف في الأرض تغير موقف أخوة يوسف 180 درجة كيف؟

جاءه أخوته وهو لا يعرفونه ثلاث مرات يلتمسون العون والمساعدة ، ويقولون له :

(..... مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة)آية ٨٨

(فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) آية ٨٨

وأخيراً عرفهم بنفسه وقال لهم:

(..... إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) آية ٩٠

فقالوا له (..... تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) آية ٩١

ثم عند التقائهم بأبيهم يطلبون منه أن يستغفر لهم .

والحقيق أن موقع أخوة يوسف كأبناء نبي ابن نبي وتربوا في بيت نبوه طاهر ، ثم

تصرفهم مع يوسف أثار حولهم علامات استفهام كبيرة؟

إذ كيف يصنفون وكيف يحكم عليهم هل هم أشرار؟ أم إنهم أخيار؟

والإجابة علي هذه التساؤلات تكون بتحليل مواقفهم التي أثارها كثيراً من الجدل فالكثير

من العلماء يجدهم أهم أخيار منهم الشيخ متولي الشعراوي إذ يقول:

"أخوة يوسف وهم أولاد يعقوب، هم أسباط ، ولا نأخذ موقفهم من يوسف ليكون في

قلوبنا شئى ضدّهم، لأن هؤلاء من خيار البشر ، ولكنهم لم يكونوا أشراراً ، لأن الشرير هو من

يتصاعد عنده السوء فإذا كان هناك شرير غضب علي إنسان فإنه يقول: عندما سأضربه ثم يقول سأحطم عظامه من الضرب ثم يتصاعد من الشر.

ولا يقول : أقتله ثم يقول سأضربه ثم يقول سأوبخه أو أعفو عنه.

أخوة يوسف تصاعدوا في الخير فقالوا أطرحوه أرضاً يعيش في الصحراء بعيداً ، ثم تصاعدوا في الخير ، ألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إذا فهم ليسوا أشراراً، والحق يقول : (لا تقصص رؤياك علي أخوتك فيكيدوا لك كيداً).

معني الكيد: "إحتيال المستور لمن لا يقوي علي مواجهته، إذا فلا يكيد إلا الضعيف أما القوي فإنه يواجه" أ.هـ

أما صاحب الظلال فيقول: (ثم يغلي الحقد ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم بالوقائع، وتتضخم في حسهم اشياء صغيرة ، وهون أحداث ضخام، هون الفعلة الشنعاء المثلثة في إذهاق روح، روح غلام بري لا يملك دفعاً عن نفسه، وهو لهم أخ، وهم أبناء نبي- إن لم يكونوا أنبياء- هون هذا وتتضخم في أعينهم حكاية يثار أبيه لهم بالحب ، حتي توازي القتل - أكبر جرائم الأرض قاطبة ، بعد الشرك بالله) أ.هـ

والرجح إنهم ليسوا أنبياء لأن الأنبياء معصومون ، وليس في قلوبهم غل ولا حقد علي أحد ،. ثم من قال أن أبناء النبي أو قريبه لا بد أن يتسم بالصلاح والخيرية؟ والمثال علي ذلك ابن سيدنا نوح ، وكذلك أبو جهل.

وهناك مؤشرات إنهم غير أخيار علي الأقل فيما قبل التوبة والاستغفار:

أولاً : أن تراجعهم من القتل إلي الإلقاء في الجب ربما كان لحسابات خاصة بهم وظروفهم التي قدروها فقد كانت فكرة القتل اقترح مطروح لم يلق الأغلبية لاعتبارات خاصة بهم، أما فكرة الكيد ليوسف وتغييبه عن الساحة هي في حد ذاتها الهدف من القتل ووصلوا الي هدفهم بالطريقة التي نفذوها ، وهي في حد ذاتها مؤشر لوجود الشر في نفوسهم ، قد يكون علي درجات مختلفة بينهم ، ولكنه موجود لأنه لو عارض واحد منهم فقط وياصرار لما أمكنهم أن ينفذوا جريمتهم ، ومع ذلك وتجنباً للتعميم نقول أن كفة الشر بينهم كانت أرجح من كفة الخير حسبما أدت النتيجة إليه، علي فرض أن من بينهم من ينكر ما فعلوه ولو بقلبه.

ثانياً : آراء بعض العلماء:

قال ابن كثير - رحمه الله - "أعلم أنه لم يقم دليل علي نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل علي خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم إنه أوحى إليهم ، وفي ذلك نظر ، ولم يذكروا من دليل سوى قوله تعالي:

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) البقرة آية ١٣٦ .

هذا قيد احتمال لأن بطون اسرائيل يقال لهم الأسباط، ويذكر تعالي إنه أوحى إلي الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكره إجمالاً لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من أخوة يوسف ، ولم يقم دليل علي أعيان هؤلاء وإنما أوحى إليهم والله أعلم.

وطالما أن أخوة يوسف عليه السلام ليسوا أنبياء فليسوا معصومين ، ومما يؤكد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين أخوته إنه لم ينص علي واحد من إخوته سواه فدل ذلك علي ما ذكرناه ، ويستأنس لهذا بما قاله الإمام أحمد عن ابن عمر أن رسول الله (صلي) قال (الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق)

ثالثاً : من نصوص آيات القرآن :

١- قوله تعالي (وكذلك يجتبيك ربك) آية ٦

يجتبيك : أي يختصك بأنواع النعمة والرحمة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) آية ٦

أي يفهمك من معاني الكلام وتعبير الرؤيا ما لا يفهمه غيرك .

وبذلك يستبعد أن أخوة يوسف من الانبياء .

٢- إنه بالرجوع إلي هذه السورة العظيمة وإلي سلوكيات بني اسرائيل بعد يوسف نتأكد أن معلمهم وأجبارهم فهموا واستخلصوا ما أشير إليه من سلوكيات إخوة يوسف مع يوسف واختزنوها في أعماقهم وأخرجوها في تعليمات في كتبهم سلوكاً في حياتهم اتبعوه عبر تاريخهم الطويل .

ونتدبر بعض الآيات التي تكشف طبائعهم وأخلاقهم في سورة يوسف:

أولاً : (إذا قالوا ليوسف وأخوه أحب إلي أبينا منا ونحن عصبة) آية ٨

تظهر من هذه العبارات ما يتمكن من طباعهم من حقد , وعنصرية تستثيرهم , ومن حقد يحركهم وذلك واضح من :

أ- (ليوسف وأخوه) ولم يقولوا (اخونا) وهذه نزعة العنصريين .

ب- (احب الي ابينا منا) تعميق للعنصرية وإنفجار الحقد علي يوسف .

ج- (ونحن عصبة) تأكيد للعنصرية - بسبب إختلاف الأمهات وإبراز الاستقواء بالكثرة وتكررت هذه العبارة مرتين .

د- (إنا أبانا لفي ضلال مبين) اتساع حقدهم ليشمل أباهم لزيادة حبه ليوسف ومن ليس معنا فهو ضدنا .

ثانياً : (اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً

صالحين) ٩

أ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا) حسب الانتقام و الاستهتار بقيمة الانسان وأواصر القربى.

ب (يخلو لكم وجه ابيكم) فداحة الوسيلة للوصول الي ضئيل الهدف

ج (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) فيها الامن من مكر الله و الاحتيال علي الله و هو من الكبار

ثالثاً (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا علي يوسف وإنا له لناصحون) ١١

أ - (قالوا يا أبانا) المداهنه والتزلف بروابط القربى للترقيق.

ب - (مالك لا تأمنا علي يوسف) إحتيال بتزييف الرغبة وإخفاء الهدف.

ج - (أرسله معنا عقدا يرقع ويلعب) الإحتيال بالترغيب .

د - (وإنا له لناصحون) الوعد الكاذب.

رابعاً : (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبه إنا إذا لخاسرون) ١٤

أ - (لئن أكله الذئب) أجاده المجادلة وتمويه الهدف بالتأكيد الباطل

- ب - (ونحن عصيه) الأغرار بالقوة والتهيه بالكثرة وتكرارها تأكيد ترصيحتها في نفوسهم.
- ج - (إنا إذا لخاسرون) الإسراف في المخادعة.
- خامساً: (وجاءوا أباهم عشاء يكون) ١٦
- أ - (وجاءوا أباهم) لا يستطيعون مواجهه كأفراد .
- ب - (عشاء) وقت الخفاء - فهم يميلون إلى الغموض.
- ج - (يكون) إتقان التزييف والإدعاء الكاذب .
- سادساً : (يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب و ما انت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين) ١٧
- أ- (يا أبانا) إجادة فن التودد.
- ب - (ذهبنا نستبق) اتفاق مقدمات الكذب و التمهيد له .
- ج - (تركنا يوسف عند متاعنا) إختلاق الوقائع الكاذبة .
- ء - (فأكله الذئب) القاء مسئولية إجرامهم علي الغير .
- هـ - (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) محاوله دحض الأدلة ضدهم.
- سابعاً : (وجاءوا علي قميصه بدم كذب) ١٨ إختلاق الوقائع الكاذبة
- ثامناً (قالوا سنراود عنه أبانا وإنا لفاعلون).
- أ - (قالوا سنراود عنه أبانا) إتقان الجدل والمساومه.
- ب - (وانا لفاعلون) إصرار علي تحقق رغبتهم و لو ضحوا بأقرب الناس اليهم .
- تاسعاً : (... فلما أتوه موثقهم قال الله علي ما نقول وكيل) ٦٦
- سهولة إعطاء الموائيق وعدم إعتبارها فلا يهتم الوفاء بها
- عاشراً : (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)
- من وسائلهم في تقويه مواقفهم الاساءة الي الشرفاء

الحادي عشر: (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من

المحسنين) ٧٨

(يا أيها العزيز) التعظيم والتبجيل لمن له سلطة عليهم من باب المداهنة والمالأة .

(إن أبانا شيخاً كبيراً) ظاهرها مساومة وباطنها إستجداء العطف والمسكنة.

(إنا نراك من المحسنين) مدح الغرض منه إثارة الشفقة والإحسان إليهم .

الثاني عشر : (قالوا تالله تفتنوا تذكرو يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) ٨٥

(قالوا تالله تفتنوا تذكرو يوسف) حقد يطفح من قلوبهم كلما ذكر يوسف وعدم احساسهم

بمشاعر الغير .

(حتى تكون حرضاً) .. بل يلومونه حتى لو كان اقرب الناس اليهم

(أو تكون من الهالكين) ويخبرونه ويخوفونه من محبة ذكر يوسف بالهلاك

الثالث عشر : (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجتنا ببضاعة

مزجاة فأولي لنا الكيل و تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين) ٨٨

(مسنا الضر وأهلنا) غاية التذلل والمسكنة بقصد إستدرار العطف .

(وجتنا ببضاعة مزجاة) تعبير عن الفقر والحاجة بقصد الترتيق .

(فأول لنا الكيل) دائماً يطمعون في الكأس الملائنة .

(وتصدق علينا) طلب المعونة والصدقة والاحسان بلا مقابل .

(إن الله يجزي المتصدقين) المسكنة و تسول العطف حرفة المتقنه .

الرابع عشر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا و ان كنا لخاطئين) ٩١

(... لقد آثرك الله علينا) غلب علي منطقهم الحقد لسبق منطق الاعتراف بالخطأ

(وان كنا لخاطئين) نظروا أولاً لما أسبغه الله عليه من نعمه وأخروا اعترافهم بالخطأ و مسا

كان لهم أن يعترفوا بالخطأ لولا ضعفهم وحقارة موقفهم

الخامس عشر: (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) ٩٥

(القول هو لاهل يعقوب وأحفاده في كنعان الذي يقيمون معهم و هم بقية بني اسرائيل)
(.. تالله انك لفي ضلالك القديم) تأكيد إستمرار نار الحقد التي تنسيهم واجب وأصول
الأدب مع يعقوب .

السادس عشر : (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) ٩٧

التذلل والمسكنة لا تقع منهم إلا إذا كانوا في حالة ضعف وانكسار .

وهذا المسلك الغير سوي علي العقل لمعظمهم بين سخيمة نفوسهم إذ (سولت لهم انفسهم) وطبعاً سولت لهم شراً وليس الخير وقول يعقوب لهم (هل آمنكم عليه إلا كما آمنتم علي اخيه من قبل).....أي أنكم لستم أمناء . وقول يوسف لأخيه بنيامين (لا تبتس بما كانوا يعملون) يعملون الشر لا الخير، ثم إنهم عندما قالوا عن بنيامين (إن يسرق فقد سرق إخ له من قبل) كان رد يوسف عليهم (أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون) وإن كان الرد بقي في نفسه ولم يعلنه لهم. ثم قول يعقوب لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وطبعاً لم تسول لهم أنفسكم إلا أمر الشر وحتى لما اجتمع شمل يعقوب مع ابنه وأنفضح أمرهم قالو لأبيهم (قالو ياأبانا إستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) .

والتأمل في القصة وأشخاص القصة يجد إنما تدور حول محور فضيلة الصبر والعمل الجاد والقائم علي حسن التوكل علي الله. صبر يوسف علي أخوته وصبر يوسف علي امرأة العزيز، وصبر يوسف في السجن، وصبر يوسف علي تحمل مسئولية تدبير أمر مصر في سنوات اليسر ، ثم سنوات العسر، وصبر يعقوب علي جحود أبنائه، وصبره علي فقد يوسف.

وتكون نهاية الصبر الفرج وصدق الله العظيم:

(إن بعد العسر يسرا إن بعد العسر يسرا)

وبقيت كلمة أخيرة هي أنني لا أنكر سوء خلق وطوية بني اسرائيل بل أؤكد ذلك وياصرار ولكنني في نفس الوقت لا أعمم هذا النظر عليهم جميعاً ذلك أن :

الناس منذ أوجدهم الله في هذا الكون فيهم العقلاء وفيهم السفهاء، فيهم الأخيار وفيهم الأشرار، وعندما كانت الانسانية تتكون من أسرة واحدة هي آدم وزوجته قتل أحد الأخوين الآخر وهذه حقائق سجلتها الكتب السماوية وسجلها القرآن في قوله تعالي:

(واتل عليهم نبأ إبنی آدَمَ بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) المائدة ٢٧

أما عن الخير والشر في بني اسرائيل فلنأخذ منهم عينة احصائية ، وخير عينة لا يجور حولها خلاف هم أبناء يعقوب (بني اسرائيل) الاثني عشر سبطاً :

- كان منهم الفضلاء وهما يوسف واخوه بينامين.
 - كان منهم الأشرار وفيهم من تكمن فيه نوازع الخير إذا وجد من يفجرها، ومنهم من تقوده فطرته ليسير في طريق الشر وهم الباقون.
- وبعملية حسابة بسيطة نجد أن : نسبة الخير في بني إسرائيل هي $100 \times \frac{2}{12} = 16.6\%$

نسبة الشر في بني اسرائيل أو من ينحازون إلى الشر هي الباقي أكثر من ٨٠%.

واعتقد أن هذه النسبة موجودة بينهم في كل عصورهم ففي كل مكان وزمان لا تنعدم بينهم القلة الخيرة الذين يشذون عن قاعدة سبيل الشر، والشذوذ عن القاعدة لا ينال منها بل هو تأكيد لصحتها ولعل عرض القصة من خلال نصها في التوراة ونصها في القرآن الكريم يوضح مدى ما صححه القرآن من تحريفات في نصوص التوراة ومدى شطحات وسقطات الأدب السوراني وغوصه في لجج الأساطير وأوحالها ، وبحق يقول الله لرسوله في نهاية القصة

"ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك " بتصحيحاته وعبارته ، وهذا من الإعجاز الرباني معجزة القرآن الباقية

وأخيراً هذا ما فتح الله علي به و النعمة و المنة منه وحده و الشكر و الحمد لله وحده ...
وان كان فيما كتبه خطأ مني وحدي و من نزع الشيطان استغفر الله منه وأرجو من يقع علي خطأ ان ينهني إليه وله الشكر الجميل

وما كان من توفيق فمن الله صاحب المن والنعماء أشكر الله وأحمده عليه

وبعد

انشدكم الله اخي القاريء وأتمني عليك أن تعطي هذا الكتاب بعد قراءته إلى أخوه
لك أو أصدقاءك وجيرانك لتتوالي قراءته أي (اقرأه ودع غيرك يقرأه , بل أذعوهم لقراءته) لتعرف
طبيعة عدونا

والله يتولانا وإياكم بأمره ويوفقنا وإياكم للعمل علي رد كيدهم الي نخورهم إنه ولي
التوفيق

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن

المراجع

م	اسم المرجع	الناشر
١	القرآن الكريم	
٢	صفوة التفاسير - الشيخ الصابوني (سوره يوسف / الرعد / ابراهيم)	مكتبة الغزالي دمشق
٣	في ظلال القرآن - سيد قطب	دار الشروق
٤	جامع البيان في تفسير القرآن (ابي جعفر محمد بن جرير الطبري)	الريان للتراث
٥	تفسير الشيخ الشعراوي	اخبار اليوم
٦	تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب)	دار الفكر
٧	تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن لابي عبدالله الانصاري القرطبي)	دار الريان للتراث
٨	تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس	الانوار المحمديه
٩	الاساس في التفسير (سعيد حوي)	دار السلام
١٠	تفسير سوره طه (دراسه لغويه اسلوبيه مقارنه د / ابراهيم عوض)	دار النهضه العربيه
١١	التفسير القرآني للتاريخ د / راشد البراوي	دار النهضه
١٢	اعراب القرآن الكريم و بيانه (الاستاذ محي الدين الدرويش)	دار ابن كثير - دمشق - بيروت
١٣	اسباب نزول السيوطي	دار العنان
١٤	الإقتباس من القرآن الكريم (سلسلة الذخائر)	الهيئة العامة لقصور الثقافة
١٥	سورة يوسف قراءة تحليلية د / أحمد عطا إبراهيم	دار الغريب
١٦	نسيبة عبد العزيز العلي - قصة يوسف نموذج حياة (رؤية تربوية)	الكويت
١٧	قصص الأنبياء لابن كثير تحقيق د / السيد الجميلي	المكتب الثقافي

١٨	قصص الأنبياء لابن كثير تحقيق أيمن صالح شعبان	المكتبة التوفيقية
١٩	قصص الأنبياء (الثعلبي)	المطبعة الحمديّة
٢٠	د / عادل طه - حياة الأنبياء بين حقائق التاريخ و المكتشفات الأثرية	مكتبة القرآن
٢١	د / توحيد الزهيري - القرآن معجزة كل العصور	مؤسسة الشعب
٢٢	د / جمعة علي عبد القادر - إنحافات المنان في قصص القرآن	مطبعة رشوان
٢٣	فتحي رضوان القصص في القرآن	
٢٤	حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل - قصص القرآن	مكتبة الصفا
٢٥	محمود المصري - قصص الأنبياء	دار التقوى
٢٦	الشيخ الشعراوي -- قصص الأنبياء و المرسلين	مكتبة التراث
٢٧	الشيخ الشعراوي - مائة سؤال و جواب في الفقه الإسلامي	مكتبة التراث
٢٨	الأشباه و النظائر (لمقاتل بن سليمان البلخي) تحقيق د / عبد الله شحاته	الهيئة العامة للكتاب
٢٩	معجزة القرآن نعمة صدقي	عالم الكتب
٣٠	أحمد بهجت براءة يوسف	جريدة الأهرام
٣١	أحمد عبد الحميد يوسف - مصر في القرآن و السنة	الهيئة العامة للكتاب
٣٢	تحية عبد العزيز إسماعيل - علم النفس في القرآن الحكيم	مطابع الأهرام
٣٣	الإمتاع و المؤانسة	سلسلة الذخائر
٣٤	ابن القيم الجوزية الداء و الدواء تحقيق محمد جميل غازي	مطابع المدني
٣٥	ابن القيم الجوزية - عدة الصابرين و ذخيرة للشاكرين	مكتبة التراث
٣٦	أبو الأعلى المودودي - شهادة الحق	الدار السعودية - الرياض
٣٧	الشيخ محمد غزالي (خلق المسلم)	دار القلم دمشق
٣٨	ابن تيمية العبودية	دار المدني - جدة
٣٩	محمد عبد اللطيف - الحل الإسلامي ماهة و كيفية أعماله	الشرق الأوسط للثقافة
٤٠	د / عبد الرشيد عبد العزيز - الإسلام و اللغة و التاريخ	مكتبة التراث
٤١	د/ عبد الحكيم محمود - فلسفة ابن طفيل	مكتبة الإيمان

منبر الإسلام	حسن الشيخة - منبر الإسلام - عدد إبريل ٦٩	٤٢
	منبر الإسلام العدد يناير ٢٠٠٦	٤٣
وزارة الإعلام السعودية	د / نواف الخليفي المنهج الإقتصادي في التخطيط لسنبي الله يوسف	٤٤
	محمد مصطفى بسيوني - حقيقة الرجولة مجلة الأزهر اغسطس ٢٠٠٧	٤٥
مكتبة القرآن	محمد علي ابو العباس - يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة وكيد النسوة	٤٦
سلسلة البحوث الإسلامية	د / محمد سيد طنطاوي - حديث القرآن عن الأمان	٤٧
دار السعادة للطباعة	د / محمد سيد طنطاوي - حديث القرآن عن الرجل و المرأة	٤٨
دار الفتح العربي	الشيخ السيد سابق - اليهود في القرآن	٤٩
المطبعة المحمدية	د / محمد عبد الستار نصار و آخرون - العقيدة الإسلامية و الأخلاق	٥٠
دار الكتاب اللبناني	د / محمد بيسار - العقيدة و الأخلاق و أثرهما في حياة الفرد و المجتمع	٥١
مجلة الأزهر	الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح - منهج الدعوة الإسلامية	٥٢
دار المعارف	سيد قطب التصوير الفني في القرآن	٥٣
دار الكتاب العربي	محمد عبد الله السمان - التربية في القرآن	٥٤
دار الثقافة	عبد المعز خطاب - الأمة الملعونة في القرآن	٥٥
مكتبة النهضة	د / منير حسيب فوزي - العلوم السلوكية الإنسانية في الطب	٥٦
البيطاش للنشر الإسكندرية	د / محمد عبد الفتاح عبد الهادي - سيكولوجية الصهيونية	٥٧

٥٨	العهد القديم (التوراة العبرية)	
٥٩	التوراة السامرية تحقيق د / أحمد السقا	دار الأنصار
٦٠	علي العروا (نقض للتوراة اليونانية) تحقيق د / أحمد السقا	دار الأنصار
٦١	إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن (التلمود في طبائع و عقائد اليهود)	دار الكتاب العربي
٦٢	أ.د / محمد خليفة حسن (مدخل نقدي إلي أسفار العهد القديم)	دار الثقافة العربية
٦٣	أكرم إبراهيم - التوراة في ميزان الحقائق المسيحية	دار جفراء دمشق
٦٤	ف.ب. ماير - حياة يوسف - ترجمة القمص مراد داوود	مكتبة الحجة
٦٥	صلاح ذكي أحمد - نظرية الأمن الإسرائيلي	دار الوسام بيروت
٦٦	د / رشاد عبد الله الشامي - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح	دار المعرفة
٦٧	د / إسماعيل راجحي الفاروقي - اصول الصهيونية	مكتبة وهبة
٦٨	د / إبراهيم خليل - الدم و العلم و التوراة و الإنجيل	مكتبة الزهراء
٦٩	د / محمود عمارة - اليهودي في الكتب المقدسة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	
٧٠	الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب - الرؤيا الكبرى - مجلة الأزهر - مارس ٦٧	
٧١	د / أحمد فتحي الزيات , د / محمود الوكيل - النوم و الرؤية بين الدين و العلم	وزارة الثقافة إبريل ٦٨
٧٢	الإنجيل الأربعة (كتاب الحياة) ترجمة تفسيرية	دار الثقافة القاهرة
٧٣	محمد عطية واكد - فضائح إسرائيل ج ٢ (كتب قومية)	سلسلة كتب ثقافية
٧٤	د/ محمد الحسيني إسماعيل بنو إسرائيل من التاريخ القديم حتى الوقت الحاضر	مكتبة وهبة

دار الوفاء	د / يحيى محمد ربيع - الكتب المقدسة بين الصحة و التحريف	٧٥
مكتبة مدبولي	موريس بوكاي - العهد القديم و التوراة و الأنجيل و القرآن و العلم	٧٦
دار الكتاب العربي	لويس جيب بروج - (أساطير اليهود) ترجمة حسن حمدي السماحي	٧٧
دار الكتاب العربي	جوناثان كيرتش - حكاية محرمه في التوراة - ترجمة نذير جزماني	٧٨
قصص الشافعية	جيمس فيزر - الفلكلور في العهد القديم - ترجمة د / نبيلة إبراهيم	٧٩
دار العلم للملايين بيروت	محمد جواد مغنية - اصول الإلحاد في الفقه الجعفري	٨٠
دار الجامعات الإسكندرية	د / شكري الدقاق - تعدد القواعد و تعدد الجرائم	٨١
دار الجيل للطباعة	د / رؤوف عبيد - مبادئ الإجراءات الجنائية	٨٢



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	الإهداء
٣	التعريف بالقرآن الكريم
٧	نص سورة يوسف
١٢	التعريف بالعهد القديم و التوراة
٥٦	المقدمة
٧٦	الباب الأول (التعريف بأشخاص السورة
٧٦	الفصل الأول : بنو إسرائيل
٩٥	الفصل الثاني : يوسف ابن يعقوب
١٠٨	الفصل الثالث : التعريف بسورة يوسف
١١٩	الباب الثاني : (يوسف وسهام الكيد)
١١٩	الفصل الأول : الحقد
١٢٤	الفصل الثاني : التوجه للمؤامرة ضد يوسف
١٣٢	الفصل الثالث : تخطيط المؤامرة وتنفيذها واختلاق أدلة البراءة
١٣٢	المبحث الأول: الاعداد للمؤامرة
١٣٧	المبحث الثاني: تنفيذ المؤامرة
١٤٢	المبحث الثالث : اختلاق دليل (واقعة) البراءة
١٤٦	المبحث الرابع : اختلاق الدليل المادي (المزيف) للبراءة
١٥٢	الفصل الرابع: (يوسف تقوده الأقدار إلي مصره)
١٥٢	المبحث الأول : يوسف في مصر (في سوق النخاسة)

١٥٨	المبحث الثاني : يوسف والبلاء العظيم
١٧٤	المبحث الثالث : بلاء الاغراء يزيد يوسف تمسكاً بدينه
١٨١	المبحث الرابع : يوسف في السجن
١٩٤	الباب الثالث : (الخروج من السجن والتمكين من حكم مصر)
١٩٤	الفصل الأول : الخروج من السجن
٢٠٦	الفصل الثاني : يوسف في القصر مكين أمين
٢١٣	الفصل الثالث : اللقاء الأول لأخوة يوسف معه
٢٢٦	الفصل الرابع : عودة أخوة يوسف (اللقاء الثاني)
٢٤٥	الفصل الخامس تكرار عودة أخوة يوسف (اللقاء الثالث)
٢٥١	الفصل السادس بنو يعقوب في مصر
٢٦٣	الفصل السابع : الركائز المحورية في قصة يوسف (الرؤيا - القميص - الذئب)
٢٦٤	المبحث الأول : الرؤيا في حياة يوسف
٢٧١	المبحث الثاني : قميص يوسف
٢٧٨	المبحث الثالث : الذئب بين يعقوب و بنيه
٢٨١	الباب الرابع: (ما وراء النصوص من تصورات و عبر و دروس)
٢٨٧	المبحث الأول: من الأحداث التي وقعت علي أرض كنعان " قصة يهوذا مع ثامار"
٢٩٥	المبحث الثاني: من الأحداث التي وقعت علي أرض مصر " إخوة يوسف بسين التوسل والتهديد "
٣٠٣	المبحث الثالث : فضيلة بر الوالدين
٣١٤	<u>الخاتمة</u>
٣٣٠	<u>المراجع</u>